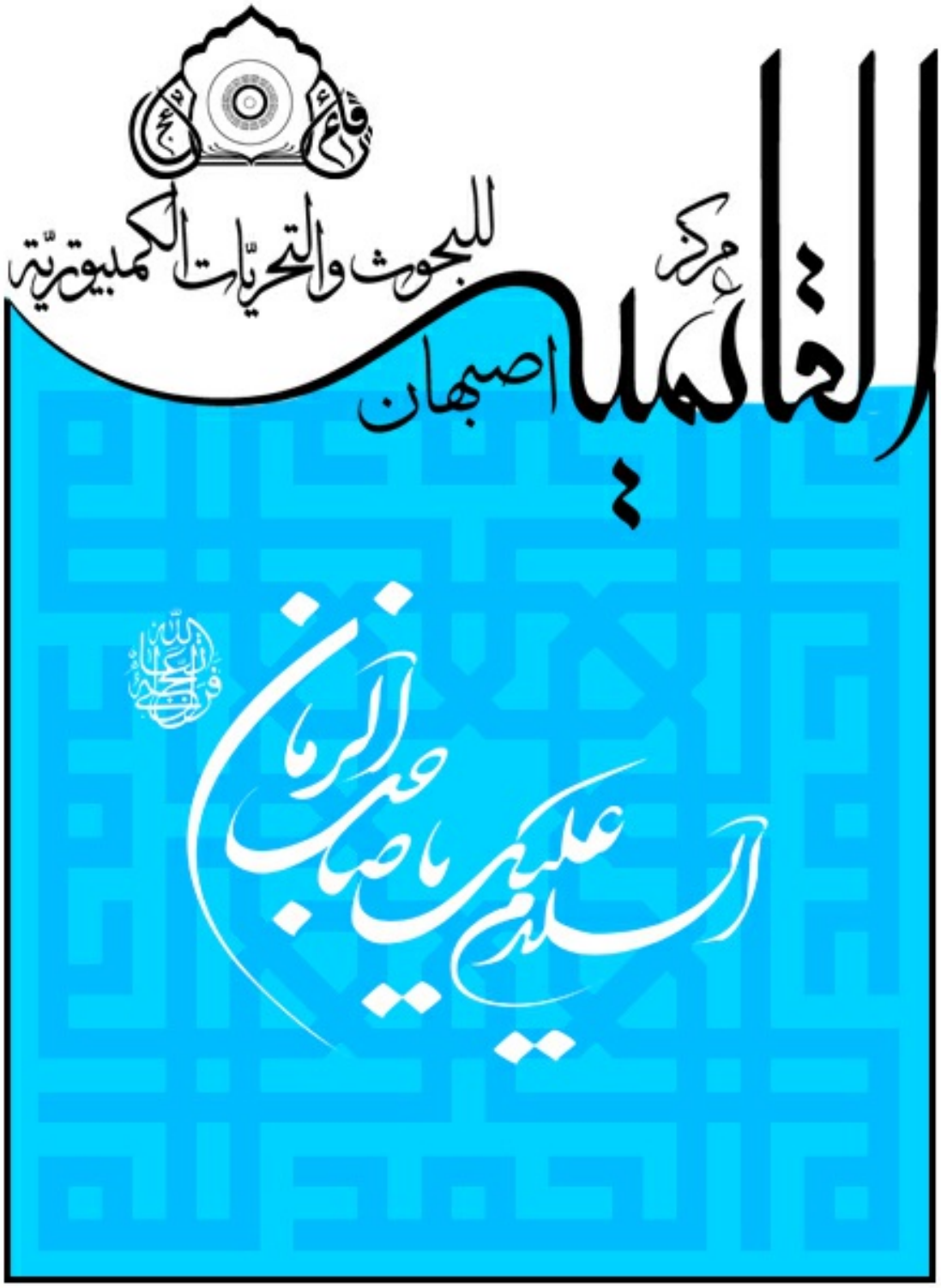

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سعيد بن جبير

شيخ التابعين وإمام القراء

(٤٧هـ - ٩٥)

تأليف

سلام محمد علي البياتي

إصدار

بسم الله الرحمن الرحیم

سعید بن جبیر: شیخ التابعین و إمام القراء

کاتب:

محمد علی البیاتی

نشرت فی الطباعة:

العتبه الحسینیه المقدسه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
سعید بن جبیر: شیخ التابعین و إمام القراء ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۰
هویه الکتاب ----- ۱۰
مقدمه اللجنه العلمیه ----- ۱۵
تصدیر ----- ۱۷
المُقَدِّمَهُ ----- ۱۹
الفصل الأول: سعید بن جبیر ----- ۲۷
اشاره ----- ۲۷
اسمه وشهرته ----- ۲۹
کنیته وألقابه ----- ۳۰
نشأته ----- ۳۰
صِفاته ----- ۳۱
دراسته ----- ۳۳
شیوخه ----- ۳۹
منزلته العلمیه ----- ۴۱
الفصل الثانی: نتاجه الفکری ----- ۴۵
اشاره ----- ۴۵
أ: التفسیر ----- ۴۸
اشاره ----- ۴۸
الإسرائیلیات ----- ۵۳
أسلوب سعید فی التفسیر ----- ۵۷
اعتماد النحویین علی سعید ----- ۶۲
استنباطه ----- ۷۳

حدیث «أنا مدینه العلم وعلیّ بابها» ---- ۷۶
أخبار سعید عن ابن عباس ---- ۸۲
أسرار القرآن الکریم ---- ۸۸
اختلاف البحث القرآنی من حیث الأسلوب بین القدماء والمتأخرین ---- ۹۳
نماذج من تفسیر سعید بن جبیر ---- ۹۸
ب: أسباب النزول ---- ۱۰۶
اشاره ---- ۱۰۶
نماذج مما رواهُ فی أسباب النزول ---- ۱۰۸
ج: القراءه عند سعید ---- ۱۱۱
مدخل إلی علم القراءات ---- ۱۱۱
دور سعید فی نشوء المدارس المتخصصه بعلم القراءات ---- ۱۱۲
منزله سعید بین القرّاء ---- ۱۱۶
(نماذج من القراءات المقارنه) ---- ۱۲۰
د: الحدیث عند سعید ---- ۱۳۵
اشاره ---- ۱۳۵
نماذج مما رواه سعید من الحدیث الشریف ---- ۱۴۰
سلاح رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ---- ۱۴۱
فی الحشر ---- ۱۴۱
فی الصبر علی الأذی ---- ۱۴۲
فی الختان ---- ۱۴۲
فی باب التوکل علی الله ---- ۱۴۳
الخلفاء اثنا عشر خلیفه ---- ۱۴۳
مثل أهل بیتی مثل سفینه نوح ---- ۱۴۴
الخلفاء والأوصیاء أوّلهم وآخرهم علیهم السلام ---- ۱۴۴
ومما رواه عن ابن عباس عن (زمزم) ---- ۱۴۴
الوصیّ والخلیفهُ بعد رسولِ الله صلی الله علیه وآله وسلم ---- ۱۴۵

حديث حزب الله ---- ۱۴۵
أشراط الساعه ---- ۱۴۶
أنفاس أهل النار ---- ۱۴۶
الحجر الأسود ---- ۱۴۶
رُوَاتُهُ وتَلاميذه ---- ۱۴۷
ه : آراء سعيد الفكريه وسلوكه الاجتماعى ---- ۱۵۴
اشاره ---- ۱۵۴
رأيه فى الرُّقيه ---- ۱۵۵
رأيه فى خُطبه الجمعه؛ - مظاهره إسلاميه - ---- ۱۵۶
رأيه فى النفس البشريه ---- ۱۵۶
رأيه فى الخَشيَهِ ---- ۱۵۷
رأيه فى العباده ---- ۱۵۷
فى الموت ---- ۱۵۹
رأيه فى المال ---- ۱۶۰
زهده ---- ۱۶۱
رأيه فى الخضاب ---- ۱۶۱
الفتوى عند سعيد ---- ۱۶۳
الزواج المنقطع - مُتْعَهُ النساء -!!! ---- ۱۶۶
فتواه فى شهاده أهل الكتاب عند الضروره ---- ۱۶۷
الصَّلاهُ عند سعيد بن جبير ---- ۱۷۱
الدُّعاءُ عند سعيد ---- ۱۷۳
التوكل على الله ---- ۱۷۴
الفصل الثالث: صله سعيد بمشاهير عصره ---- ۱۷۷
اشاره ---- ۱۷۷
فى مكه المكرمه ---- ۱۸۰
سعيد يرحل إلى الكوفه ---- ۱۸۲

الحجاج والياً على العراق ---- ۱۸۴
سعید یصبح إماماً وقاضیاً ---- ۱۸۸
سعید یسهم فی ثوره ابن الأشعث ---- ۱۹۱
ظروف الثوره ---- ۱۹۲
الحجاج ینکث الأمان ---- ۱۹۳
الفصل الرابع: اختفاء سعید وعزلته ---- ۱۹۷
اشاره ---- ۱۹۷
سعید ینتقل بین الأمصار ---- ۲۰۰
إلی أصبهان ---- ۲۰۰
فی أذربیجان ---- ۲۰۳
فی مکه المکرمه ---- ۲۰۴
سعید یتصل بإمام زِمانه علی بن الحسین علیهما السلام ---- ۲۰۶
الفصل الخامس: الحجاج ینشط فی البحث عن سعید ---- ۲۰۷
اشاره ---- ۲۰۷
القبض علی سعید فی مکه ---- ۲۱۱
سعید فی الطریق إلی واسط ---- ۲۱۳
قصّه سعید والراهب واللبوه ---- ۲۱۶
الفصل السادس: سعید بین یدی الحجّاج ---- ۲۲۷
اشاره ---- ۲۲۷
المحاوره بین سعید والحجاج ---- ۲۳۱
اشاره ---- ۲۳۱
المجموعه الأولی ---- ۲۳۲
المجموعه الثانیه ---- ۲۳۷
الحجاج بعد مقتل سعید ---- ۲۴۱
الفصل السابع: سعید بن جبیر والحجاج فی المیزان ---- ۲۴۵
اشاره ---- ۲۴۵

نُبوءَه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی الحجاج ---- ۲۵۹
الفصل الثامن: مرقد سعید بن جبیر ---- ۲۶۱
اشاره ---- ۲۶۱
عماره القبر ---- ۲۶۷
عماره المسجد ---- ۲۶۹
تجدید عماره المرقد ---- ۲۶۹
الخاتمه ---- ۲۷۲
المصادر والمراجع ---- ۲۷۳
المحتویات ---- ۲۸۸
تعریف مرکز ---- ۲۹۵

سعید بن جبیر: شیخ التابعین و إمام القراء

اشاره

سرشناسه: محمد علی البیاتی

عنوان و نام پدیدآور: سعید بن جبیر: شیخ التابعین وإمام القراء / محمد علی البیاتی

نشر: العتبه الحسینیه المقدسه، قسم الشؤون الفکریه والثقافیه

محل نشر: کربلای معلی - عراق ۱۴۳۷

مشخصات ظاهری: ۲۷۷ ص

یادداشت کلی:زبان: عربی

موضوع: سعید بن جبیر- زندگینامه - تاریخ

موضوع: سعید بن جبیر-. نقد وتفسیر

موضوع: سعید بن جبیر- سیاسته وحکومته.

ص :۱

هویه الکتاب

مصدر الفهرسه:

رقم استدعاء مكتبه الكونجرس:

المؤلف الشخصى: البياتى، سلام محمد على

العنوان: سعيد بن جبير: شيخ التابعين وإمام القراء

بيان المسؤوليه: تأليف سلام محمد على البياتى؛ [تقديم اللجنه العلميه. السيد محمد على الحلو].

بيانات الطبعه: الطبعه الأولى

بيانات النشر: كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه قسم الشؤون الفكريه والثقافيه. شعبه الدراسات والبحوث الاسلاميه ١٤٣٧ ه -= ٢٠١٦ م

الوصف المادى: [٢٨٥] صفحه

سلسله النشر: قسم الشؤون الفكريه والثقافيه؛ (١٦٧)

تبصره ببليوغرافيه: يحتوى على هوامش - لائحه مصادر (الصفحات ٢٦٣-٢٧١).

موضوع شخصى: سعيد بن جبير، ٤٥-٩٥ هجرياً -. نقد وتفسير.

موضوع شخصى: سعيد بن جبير، ٤٥-٩٥ هجرياً -. تفسير.

موضوع شخصى: الحجاج بن يوسف الثقفى، ٤٠؟ - ٩٥ هجرياً - سياسته وحكومته.

موضوع شخصى: ابن الاشعث، عبد الرحمن بن محمد، - ٨٥؟ - ثوره القراء.

مصطلح موضوعى: التابعين واتباع التابعين - نقد وتفسير.

مصطلح موضوعى: المفسرون الشيعه - القرن ١ هجرياً

مصطلح موضوعى: تفاسير الشيعه - القرن ١ هجرياً تاريخ ونقد

مصطلح موضوعى: الامويون - تاريخ - القرن ١ هجرياً

مصطلح موضوعى: العلماء والمجتهدون - نقد وتفسير

مؤلف اضافی: الحلو، محمدعلی، ۱۹۵۷ -، مقدم

تمت الفهرسه قبل النشر فی مکتبه العتبه الحسینیه المقدسه

ص:۲

مقدمه اللجنه العلميه

فى العقود الأخيره للقرن الهجرى الأول تصاعدت النقمه الجماهيريه ضد الحكم الأموى، بعد أن أحالت ثوره الإمام الحسين عليه السلام مشاعر الناس إلى أدوات ضاغطه باتجاه إضعاف الحكم الأموى الذى تزعمه البيت المروانى بعد نهايه آل أبى سفيان بموت يزيد وظهور الصراع بين آل مروان ومناصرى الحكم الأموى من جهه وبين آل الزبير ومعارضى الأمويين من جهه أخرى، وتنامت حاله المعارضه الفكريه الى معارضه مسلمه أقضت مضاجع الامويين، وفجأه تبرز حركه ثوريه معارضه أخرى بزعامه عبد الرحمن بن الأشعث الذى خلع الحجاج فى الكوفه وآزرته جميع التوجهات المعارضه للحجاج الذى أوغل فى دماء المسلمين، وأنهك المجتمع الكوفى بتعسفه وجبروته حتى وجد الناس أنفسهم فى بلاء لم ترفعه المعارضه المسلحه وهى بانتظار من يقودها باتجاه التغيير والإصلاح، وفعلاً كانت حركه عبد الرحمن بن الأشعث قد حققت طموحات الثائرين عندما خلعت الحجاج واستولت على الكوفه ولما ردت الحجاج وجنوده المرتزقه، وانهزم الحجاج حتى ساوم عبد الملك بن مروان على أن يعزل الحجاج ويعطى لعبد الرحمن بن الأشعث ما يريد الا أن قراء الكوفه أصروا على مواصله القتال وكان على رأسهم سيد القراء وأشهرهم الذى عرفته الكوفه وأجيالها القادمه بطلاً كما هو عابداً، وقارئاً، كما شجاعاً،

ومقاتلاً كما هو متنسكاً، وأحرز سعيد وأصحابه تقدماً على صعيد القتال لولا الأقدار التى حالت بينه وبين النصر النهائى الذى توقعه الجميع لسعيد ولأصحابه، وانتهت المعركه بأن سجّل سعيد نصراً آجلاً تستذكره الأجيال كلما مر اسم سعيد على ذهنها، وبات هذا الرمز تنصع حقائقه كلما حاول الأمويون الطعن فيه، والنيل من شأنه، وكأنما ملحمه سعيد بن جبير أيقظت الضمائر الراقده فى سبات الاستكانه والتسليم، لتنتفض لسعيد ولتاريخه المشرق، ولم تزل مواقفه أنموذج العالم الذى دعاه علمه لقول كلمه الحق وإعلانها بوجه الحاكم الجائر الذى استعبد البلاد، وأذل العباد، وجعل ناسها شيعاً يقتل بعضهم بعضاً، ويكفّر بعضهم بعضاً، وقد أطاح سعيد بأُسطوره الخلافه التى ادعاها الأمويون وورثها المروانيون، واستطاع أن يهزم جبروت الحجاج وأن يكسر هيبته، وعرف المسلمون شخصيه سعيد، واختص بها العراقيون، وذاب فيها الواسطيون، فالمسلمون عرفوه ثائراً، خرج على ظلم الحجاج وتعسفه، والعراقيون ألفوه عالماً ثائراً، ومواليا لأهل البيت عليهم السلام محدثاً عنهم، والواسطيون لا زالت دماؤه الزكيه تستنشقها أجيالهم لتذكى فيهم روح الولاء وكان أحدهم وهو الاستاذ سلام محمد على البياتى قد حفّزته ذاكرته التى تعيش بين أوساط ضريح سعيد الطاهر، وتستزيد من ولائها ولاءً يُضاف إليه ليحبّر كتابه الموسوم سعيد بن جبير شيخ التابعين وإمام القراء، سارداً لنا من تاريخه نفحات، ومن علومه شذرات، ومن مواقفه ما أبهر العقول وقطع دابر الإشكالات، واستطاع أن يقدّم دراسته وهو يرفل بحب سعيد كما قد رفل بولاء ساداته الميامين أئمه الهدى صلوات الله عليهم أجمعين.

عن اللجنه العلميه

السيد محمد على الحلو

ص:۶

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَجْتُ الحياه الجامعيه طالبَ علم يَضرِبُ فى أهدافِهِ خَبْطَ عَشواءَ، ولا سلاح لدَيْهِ إلّا فِطرَةٌ فتيّةٌ وعَقْلٌ مُتَحَفِّزٌ للتفاعَلِ والتطور؛ وكنت أحسبهَا سنوات من الجلوس على المقعد الدراسى تعقبه شهاده جامعيه تشبع الغرور العلمِى الذى يَعْتَورُ الشبابَ فى أوّلِ سفرتهم فى الحياه الجامعيّه.

ولكن بعد بضع محاضرات بدأت تتكشف أمامى معالم الطريق الذى ولجته؛ فإذا بِهِ طريق واسع طويل فيهِ رجالٌ عاهدوا اللهَ على الأخذِ بيَدِ أمثالى فى مفازتِهِ، يدلونهم على معالمه؛ فبدأ تفكيرى يتبلوَر وهدفى يتكشّفُ عَنه غمام الغرور؛ فاستبدلتُ بالغرور سلاح الطموح أصقله وأشحذه بالسهر والمثابره والعمل الجدّى والسير الحثيث؛ أمَحِّصُ كل خطوه أخطوها مخافه أنْ تَزِلَّ قَدَمٌ فى مهالك جهل، أسْرِعف رحلتى بالمشوره والوعى والإقتداء والطاعه لأساتذتى غير كالٍ ولا مالٍ؛ تحفزنى الغِبْطَهُ للمستشار حين أستشعر صواب المشير مُتمثّلاً بيقينِ الإشارهِ راجعتُ نفسى؛ تُرى هل أصلح لعمل نافع أشعر بعد إنجازه بالفخر والاعتزاز بما بذلته فيه من جُهْد!!

لا أدرى؛ ولكن لِمَ لا أجَرِّب حظى مستفيداً من ظروفى عبرةً؟ فأنا شابٌ غادرتُ مسقط رأسى مدينه الحى - حى واسط - مثل كثير غيرى، سعياً وراء لقمه

العيش الأفضل وأملاً فى فرصه علم تسنح فى حاضره كبيره مثل بغداد، ولم يكن لرحيلى أنْ يترك فراغاً يخشى خطرهُ ولا زَوبعه يُتَحاشى ضَجيجُها! وسألتُ نفسى؛ لو سألنى سائل: ما الذى حصدته فى رحلتك؟ وهل وَفَّرْتَ بعضاً لِتَبْذُرَهُ فى وطِنِك ليزهوَ فوق قبرك؟؟؟ لا شىء! إذن لِمَ لا أوظِّف ما يُصَبُّ فى إناءِ ذِهنى من العِلمِ عسى أن أكون ممن أسهم فى وضع لَبناتٍ فى صرح خير أمَّةٍ أخرِجت للناس! ونشأت فكرةُ الكتابه عن جارى ونزيل دارى (سعيد بن جبير).

وبدأت البحث ومشوره شيوخى وأساتذتى وهم يُزْجُون بى ألاّ أكبو ويَرعون مسيرتى خطوه خطوه، ونقله نقله.

وكثرت البحوث وتنوعت الأطعمه وهى ما تَزْدادُ إلاّ لذاذه؛ ولكن بحثى عن سعيد ظل يُسايرها ويُلازمُها ملازمه الماء للآكل الأكول، فكان رساله تخرجى؛ تدفعنى إليه رغبه فى إصداره كتاباً وإن ظلّت لهفه الإحاطهِ بأصول البحث العلمى لا تفارقنى.

ولذا تجدنى أكتب هذا البحث ولست مُطمئناً للأرض التى أسيرُ عليها، ولا خَلِيَّ بالٍ من خوف التخبّط وإنْ كنتُ غير مبال بالجهد والتَعب بعد ما خرجت بحصيله هى أنّ العقلَ آلهٌ خارقه القوه لا يصح التفريط بها أو تركها بلا تغذيهٍ أو شحذٍ، وإلاّ رانَ عليها الجهلُ بِدَرَنِهِ.

وأخيراً فلا فخر لى إلاّ بشيوخى وأساتذتى، ولهم لا لغيرهم فضل ما صرت إليه وما برزت فيه بين أقرانى فى الدراسه وأنا أستغلّ آله العقل التى صقلتها وضبّطتها عقولٌ نيره كتب الله لها درجات من الفضل فاقت ثواب المجاهدين لأنّ مدادَ يراع أولئك العلماء يُوزَنُ بدم الشهداء فيما عملوا فجزاهم اللهُ عَنِّى خيراً.

المُقَدِّمَهُ

لو عَرَّجَ الزائر من بغداد إلى محافظه واسط جنوباً إلى مدينه الحى على شط الغرّاف حتى يبلغها، فإن هو أرسل النظر جنوبها فستثيرُ انتباهَهُ قُبَّهٌ سامقه على بُعْدِ ميلٍ واحد من مركزها ولو تحرّى متسائِلاً عنها لَطَرَقَ سَمْعَهُ اسمٌ يُثير دهشته - إنْ كان مِمَّنْ أَلَمُوا ولو بنزرٍ ضئيل أو يسير من تُراث أمّتنا - مرقد التابعى سعيد بن جبير!!!

ويتساءَل المشاهدُ مَبْهُوراً؛ ترى كيف تسنى لقبر سعيد بن جبير أنْ يبقى قرابه ١٣٠٠ عامٍ يصارع الزمن؟

عندئذٍ سيجد الجواب فى شخص سعيد نفسه؛ فسعيد بن جبير ليس بالنكره الذى لا يُعنى المؤرخين شأنُهُ كشأن من عاشوا وماتوا مغمورين لا هَمَّ لهم إلاّ أنفسهم لم تكن لهم أدوار مشرفه أو حتى متميزه فى شكلها أو وجودها أو أثرها؛ فمثل (سعيد بن جبير) لا يُنسى ولا يُهملُ قبره لسبب من الأسباب ليندرس ويتعب المؤرخين تحديد هويّته.

إنَّ سعيدَ بن جبير كان علماً من أعلام الاسلام(١) ، أنصفه الله وخلد ذكره

١- (١) مجمع البيان، تأليف: الحسن رضى الدين الطبرسى: ج ١٠، ص ٥٥٩، ط ١٣٨٢ ه -، طهران.

فجاوره الطيّبون وحافظ على ذكره المؤرخون، وأنصفوه فى كل شىء - إلاّ- بعض من عَمَّمَ ولم يخصِّصْ وخلط ولم يُمَحِّصْ حين صَوَّر سعيداً واحداً من الذين (... كانوا يتسببون أحياناً فى خلق روح الكراهيه والعداء من الأمويّين...)(١).

وصوّروا مثلاً بقصه سعيد مع الحجاج فصار الحجاجُ محسناً وسعيد خارجاً عليه(٢).

وليس عجباً أن ينفردَ سعيد بن جبير بهذه المنزله بين أعلام الإسلام، فهو أعلمُ التّابعين على الإطلاق(٣) ، وخاصّه فى علم التفسير(٤).

وكان يُسمّى جَهْبَذ العلماء(٥) ، وكانَ يختم القرآنَ فى ليلتين(٦) ، وكان يؤم الناسَ فى شهر رمضان(٧).

وسعيد اتّفق المسلمون على ثقته(٨) ؛ فهو ثقةٌ ثَبتٌ فقيهٌ، جليل القدر متأكد

١- (١) الموالى فى العصر الأموى، تأليف: محمد الطيب ابن النجار: ص ۴۳، ط ١٣٨۴ ه - ١٩۴٩ م، القاهره.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) إيمان أبى طالب عليه السلام، تأليف: فخار بن معد الحائرى: ص ٣٢١، ط ١٣٨۴ ه - ١٩۶۵ م، النجف الأشرف. الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلى: ج ١، ص ٣۶٩، ط ١٣۴۵ ه - ١٩٢٧ م، القاهره.

۴- (۴) المنتخب من كتاب ذيل المذيّل، تأليف: محمد بن جَرير الطبرى: ص ١٢۵، ط ١٣۵٨ ه - ١٩٣٨ م، القاهره.

۵- (۵) مناقب آل أبى طالب عليهم السلام، تأليف: محمد بن على بن شهر شوب: ج ۵، ص ٧٠، طبعه حجريه، طهران.

۶- (۶) الطبقات الكبرى، تأليف: ابن سعد: ج ۶، ص ٢۵٩، ط ١٣٧٧ ه - ١٩۵٧ م، بيروت.

٧- (٧) مجمع البيان، تأليف: الطبرسى: ج ١٠، ص ۵۵٨.

٨- (٨) مجمع البيان للطبرسى: ج ١٠، ص ۵۵٩.

متمحّص(۱) ، حتی لتراه بین التّابعین کأبی ذرّ بین الصحابه فی صفاته، فلقد کان مستقیماً غیر متزلزل فی إیمانه(۲) ، تلقّی العِلمَ عن الإمام السجاد علیه السلام، وابن عبّاس(۳) وعبد الله بن عمر(۴) وغیرهم حتی وَصَلَ منزلةً جعلتْ ابنَ عباس یجیز له أن یُحَدِّثَ فی حضرته، إلاّ أنّ أدبَ سعید کان یمنعه فیعتذر ویقول:

(أحَدِّثُ وأنتَ ها هُنا؟)، فیرد علیه ابن عباس مُشَجِّعاً: إنْ أصَبْتَ فَذاکَ؛ وإنْ أخطأتَ عَلَّمْتُکَ)(۵).

ولیس هذا فحسب، بل کان ابن عباس یدفعُ إلیه أهل الکوفه إذ یقول لهم: تسألونی وفیکم ابنُ أمّ دهماء(۶) – وهو لقبُ سعید اشتهر به – بهذه الصفات ارتفعَ إلی إمامهِ المصلّین فی الکوفه ثم إلی ولایه القضاء(۷) ، حتی نَحّاهُ الحجاج لألْسِنَهِ من عادوا إلی ضلاله الجاهلیه وَعَنَنِها(۸) ؛ إذْ عَزّ علیهم أنْ یَرَوْا أسوداً حَبَشیاً یرقی إلی هذا المنصب، حتی لو کان ذلک بفضل الإسلام.

استقضی الحجاجْ مکانه أبا بُرده بن أبی موسی الأشعری علی أن یأخذ هذا

۱- (۱) تهذیب التهذیب، تألیف: ابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۱. الطبقات الکبری، تألیف: ابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۹.

۲- (۲) مجمع البیان للطبرسی: ج ۱۰، ص ۵۵۹.

۳- (۳) إیمان أبی طالب علیه السلام للحائری: ص ۳۲۱.

۴- (۴) وفیات الأعیان، تألیف: ابن خلکان: ج ۲، ص ۱۱۲، ط ۱۲۹۹ ه –، القاهره.

۵- (۵) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۶.

۶- (۶) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۸. المعارف، تألیف: ابن قتیبه: ص ۱۹۷، ط ۱۳۵۳ ه – ۱۹۳۴ م، القاهره.

۷- (۷) وفیات الأعیان لابن خلکان: ج ۲، ص ۱۱۲.

۸- (۸) العَنَنُ: السباب.

بِمَشْورهِ سعید بن جُبیر وینتفعَ بعلمهِ (۱).

کان سعیدُ أحدَ أشهرِ خَمسهٍ عاصروا الإمامَ السّجّاد علیَّ ِبْنَ الحسین علیهما السلام، وهم سعیدَ بن المسیب، وسعید بن جبیر، ومحمد بن جبیر بن مطعم، ویحیی بن أم الطویل، وأبو خالد الکابلی(۲).

وکان سعید بن جبیر یأتم بعلی بن الحسین علیه السلام، وکان الإمام یُثنی علیه(۳). ویری بعض المؤرخین أن الحجّاج قَتَلَهُ لهذا السبب(۴).

(ولمّا ازدادَ جَوْر بنی أمیه وتجبّروا علی العباد واستذلوا المسلمین وأماتوا الصلاه قاتلهم سعید بن جبیر مع ابن الأشعث وکان هذا حافزاً للحجّاج علی قتله(۵) ، وقد تمکن منه بعد فشل ثوره ابن الأشعث بعد سنوات، وذلک حین قبض علیه خالد بن عبد الله القسری - إذْ کان عامل الولید علی مکه - وسلمه إلی الحجاج فقتله(۶) ، وَدُفِنَ فی ظاهر واسط (۷).

۱- (۱) وفیات الأعیان لابن خلکان: ج ۲، ص ۱۱۵. تاریخ الکوفه، تألیف: حسین بن أحمد البراقی: ص ۲۹۹، ط ۱۳۷۹ ه - ۱۹۶۰ م، النجف الأشرف.

۲- (۲) قاموس الرجال، تألیف: محمد بن عمر الکشّی: ص ۱۱۰، طبع فی کربلاء.

۳- (۳) قاموس الرجال، تألیف: محمد تقی التستری: ج ۴، ص ۳۵۴، ط ۱۳۴۰ ه -، طهران.

۴- (۴) قاموس الرجال للکشی: ص ۱۱۰. الاختصاص، تألیف: الشیخ المفید: ص ۲۰۵، ط ۱۳۷۹ م، طهران. منتهی المقال، تألیف: الشیخ أبی علی الحائری: ص ۱۴۶، ط ۱۳۰۰ ه -، طهران.

۵- (۵) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۷. الکامل فی التاریخ، تألیف: ابن الأثیر: ج ۴، ص ۱۳۰، ط ۱۳۸۵ ه - ۱۹۶۵ م، بیروت.

۶- (۶) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۴. تاریخ الرسل والملوک، تألیف: الطبری: ج ۶، ص ۴۸۸، ط ۱۹۳۹ م، القاهره.

۷- (۷) الرجال، تألیف: محمد بن الحسن الطوسی: ج ۳، ص ۹۱، ط ۱۳۸۱ ه - ۱۹۶۱ م، النجف الأشرف.

وذلك فی عام (۹۵ ه -)(۱) ، وكان سعید ابن تسع وأربعین سنه(۲).

ولم یقتل الحجاج بعده أحداً وكان سعید قد دَعا علیه فی حضرته قائلاً قبل أن یقتله؛ (اللهمَّ لا تسلطه علی أحدٍ یقتله بعدی)(۳).

(ومات سعید وأهل الأرض من مشرقها إلی مغربها مُحتاجون إلی علمه)(۴).

وهلك الحجاج بعده بمدّهٍ وجیزه(۵) لم یعرفْ خلالها طَعْماً للنوم وكان كلما نام رأی سعید بن جبیر یأخذ بمجامع ثوبه وهو یقول له: فِیمَ قتلتنی یا عدو الله! فیهبّ الحَجّاجُ مذعوراً وهو یَصیح: ما لی ولسعید بن جبیر، ما لی ولسعید بن جبیر، إلی أن أزاحَ الله ظله وظلمه ولم یَبْقَ إلاّ تأریخه الأسود.

أمّا سعید فقد ظلّ ذكرهُ باقیاً، صار مَزاراً للمسلمین یُجَدِّدون عمارته بین حین وآخر حتی هَیَّأ الله له أحد الأتقیاء - وهو كنعان أغا - فبنی فوق القبر قُبه

۱- (۱) مروج الذهب تألیف: علی بن الحسین المسعودی: ج ۳، ص ۱۰۵، طبع القاهره. الرجال للطوسی: ج ۳، ص ۹۰-۹۱. البیان والتبیین تألیف: الجاحظ: ج ۳، ص ۶۳، ط ۱۳۸۸ ه - ۱۹۶۸ م، القاهره. إیمان أبی طالب للحائری: ص ۳۲۱. مرآه الجنان وعبره الیقضان فی معرفه ما یُعتبر من حوادث الزمان، تألیف: عبد الله بن أسعد الیافعی: ج ۱، ص ۱۹۶، ط ۱۳۹۰ ه - ۱۹۷۰ م، بیروت. وفیات الأعیان لابن خلكان: ج ۲، ص ۱۱۶. تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۳. تذكره الحفاظ، تألیف: شمس الدین الذهبی: ص ۷۶، ط ۱۳۷۴ ه -، بیروت.

۲- (۲) الطبقات الكبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۶. وفیات الأعیان لابن خلكان: ج ۲، ص ۱۱۶.

۳- (۳) مروج الذهب للمسعودی: ج ۳، ص ۱۰۲.

۴- (۴) الطبقات الكبری لان سعد: ج ۶، ص ۲۶۶. رجال الطوسی: ج ۳، ص ۹۱. حیاه الحیوان الكبری، تألیف: كمال الدین الدمیری: ص ۱۷۱، ط ۱۳۸۳ ه - ۱۹۶۳ م، القاهره.

۵- (۵) وأمر هلاك الحجاج لیس من الصعب تحدید وقته لأن سعیداً كان قد دعا اللَه أن لا یسلطه علی أحدٍ بعده وقد استجاب اللهُ دعاءَ سعید علیه - لأن سعیداً كما سیمرُّ بنا مستجاب الدعاء منذ شبابه - كما سیأتی تفصیله.

فخمه (عام ١٠٥٣ ه - ١٦٤٣ م)(١).

وفى عام (١٩٠٠ م) ارْفِقَ بالقبه مسجد مسقوف بقباب صغيره معقوده بالآجر شبيهه بالسقوف ذات الريازه العباسيه القديمه؛ شيَّدَتْهُ أسرةُ آل شعرباف.

وفى عام (١٩٦١ م) بدأ أهل مدينه (حى واسط) بتجديد عماره المرقد؛ وعند عمليه الحفر عثروا على بئر قديم مندثره تقع على بعد أمتار من القبه القديمه فأعيد ترميمها وعادوا لاستعمالها وخاصه صيفاً عند انقطاع الماء فى نهر البتره الذى يبعد حوالى ١٠٠ م جنوب المرقد.

والمرقد الآن تتولى رعايته مديريه الأوقاف العامه ولجلال قدر سعيد بن جبير انتشرت حوله مدافن الموتى ممن يتبرك ذووهم بدفنهم حول ضريح هذا العالم الشهيد.

وبعدُ؛ فقد سعيت جهد الإمكان أنْ ألتَزِمَ الأسلوب العلمى فى بحثى عن شخصيه سعيد بن جبير.

لقد قسمت بحثى هذا إلى سبعه فصول:

تناولت فى الفصل الأول من البحث: اسمه وشهرته ثم نشأته ودراسته، وقابليته العلميه وتبلور شخصيته كعلم من أعلام الإسلام وألحقتُ بالفصل المراجع والمصادر التى اعتمدتها فيه.

وذكرت فى الفصل الثانى نتاجه الفكرى وأثرَهُ كراويهٍ للتفسير وأسلوبه كمفسّر ومنزلته بين مُفَسِّرى عصره، وناقشت ما ذكِرَ من روايات حول تأليفهِ كِتاباً فى التفسير وما قيل عن ضياعه وإمكانيه تحقيقه من بطون التفاسير اعتماداً على من أخذ عنه.

وذكرت فى الفصل الثانى أيضاً، أعلميَّتَهُ بأسباب النزول للآيات والسور وما

١- (١) تاريخ عماره القبه والضريح كان محفوراً على قطعه من المرمر فى الجهه الشرقيه من القبر الذى كان مترين فى متر حسب مشاهدتى له قبل تجديده حديثاً.

رواهُ فی ذلک وأسلوبه فی الرّبط بین الخاص والعام من الأغراض التی تسببت فی نزول بعض السُّوَر والآیات مع ذکر الشواهد علی ذلک.

ثم تطَرّقت فی هذا الفصل إلی أثره فی علم القراءات وإلی منزلته فی هذا الباب ومدی ما بلغه وما انفرد به من قراءات مقارنه بقراءهِ شیخِهِ عبد الله بن عباس وشیخ شیخه علی بن أبی طالب علیه السلام.

ولم أنسَ أن أبدأ هذا الباب المهم بمدخل رأیته مُکَمِّلاً لأرکان البحث لتمام الموضوع سَمّیته (إختلاف الآراء فی قراءه سعید وقراءه غیره) وَذیَّلتُهُ ببحث مقارن، ثم ألقحتُ به (دَوْرُ سعید فی نشوء علم القراءات) ثم أنهیت الباب بِنَماذج مقارنه.

کما تَطَرَّقْتُ فی هذا الفصل إلی مکانهِ سعید بَیْن المُحَدِّثین وأثرِهِ فی علم الحدیث، ألحَقْتُ به نماذج مختاره من روایته فی الحدیث وأنهیتُ البابَ بأسماء من رَوَوْا عنه.

وتناولتُ فی الباب الأخیر من هذا الفصل آراءَ سعید الفکریه فی المجتمع والسلوک الإنسانی، ثم تطرقت إلی فُتیاهُ، وبعدها تحدثت عن صَلاته ودعائه وکیفیه تأدیته الفروض العبادیه، وختمت الفصل الثانی بهامش للمصادر الخاصه بالفصل.

أمّا فی الفصل الثالث: فتناولتُ بالبحث، صله سعید بمشاهیر عصره وصلته بالحجاج والتی حاولتُ فیها تحدید الجذور التاریخیه لها قبل أن یبرز الحجاج علی المسرح السیاسی والیاً للأمویین؛ کما بیّنت نوع هذه الصله وکیفیّتها وتطورها.

وتحدّثت فی نهایه الفصل عن اشتراک سعید فی ثوره ابن الأشعث والأسباب التی دفعت سعید للمشارکه فی الثوره ومرکزه الحربی فی کتیبه القرّاء، ثم ختمتُ الفصلَ الثالثَ بالکلام عن أسباب فشل الثوره وتفرق رجالها، واختفاء سعید بن جبیر عن عیون الحجاج وجواسیسه.

وفی الفصل الرابع: عالجتُ فتره الاعتزال السیاسی والتخفّی التی عاشها سعید والتی دامت اثنی عشر عاماً ظلّ یتنقّل فیها بین الأمصار بحثت فیها نوع نشاطه، ومن ثم اتصاله بالإمام علی بن الحسین علیه السلام وشکل هذه الصّله وما ترتّب علیها من أمور ودور عمر بن عبد العزیز فی حمایه سعید.

وفی الفصل الخامس تحدّثت عن سعی الحجاج ونشاطه فی البحث عن سعید وتتبع أخباره وبثّ العیون خلفه، ودور خالد بن عبد الله القسری - والی الحجاج للولید بن عبد الملک - فی إلقاء القبض علی سعید وبعض من اشترک معه من الثوّار، وکیف تم ذلک وفی أیّ ظروف ثم إرساله إلی الحجّاج.

وختم الفصل بالبحث فی رحله سعید إلی الموت وما حدث له فی الطریق إلی واسط.

وفی الفصل السادس تحدّثت عن موقف سعید بین یدی الحجاج وما حدث بینهما من تحاور، وناقشت اختلاف الروایات فی تصویر ما حدث له مع الحجّاج قبل أنْ یأمرَ بقتله؛ وقد بحثت هذه المسأله بتفصیل لأبیِّنَ أسباب الاختلاف بین المؤرخین فی ذِکْرِ ما دار بینهما؛ وَخِلْتُ نفسی خلصت إلی الرأی الصائب من تلک الآراء، ثم ختمت الفصل بتبیان ما ترتب بعد ذلک من أمور.

وأما السابع فللمقارنه بینهما. وفی الفصل الثامن، خصصت البحث فی مرقد سعید وموقع المرقد، وناقشتُ بعضَ الآراء فی تحدیده ثم مبلغ اهتمام المسلمین به والمحافظه علیه وما أجروه علی المرقد من عمران علی امتداد العصور، ثم ختم البحث بتوجیه الأنظار إلی ما بلغه المرقد الشریف من عمران بما یلیق بمنزله (شیخ التابعین) سعید بن جبیر، والله ولیُّ التوفیق.

سلام محمد علی البیاتی

الفصل الأول: سعيد بن جبير

اشاره

اسمه وشهرته

نشأته

صفاته

دراسته

شيوخه

منزلته العلميه

مصادر الفصل الأول

ص:١٧

اسمه وشهرته

هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الوالبى(۱) ، وُلِدَ فى عام (۴۵ ه -)، وكان مولى لبنى والبه بن الحارث، وهى بطن من بنى أسد بن خُزيمه(۲) ، كانت تسكن فى منطقهِ وادى الرُّمَّهِ بين جَبَلَىْ إبان(۳) - فى نجد - وقد سكن قسم من القبيله (أذربيجان)، حيث وُجِدَ هناك موضع يسمى والبه(۴) - وهو الذى لجأ إليه سعيد بعد فَشل الثوره التى شارك فيها بقياده عبد الرحمن بن الأشعث كما سيأتى فى الفصول التاليه - وسعيد حبشى الأصل(۵) ، أصله من الكوفه وهى مكان ولادته

۱- (۱) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۶، ط ۱۳۷۷ ه - ۱۹۵۷ م، بيروت. المعارف، تأليف: ابن قتيبه: ص ۱۹۷، ط ۱۳۵۳ ه - ۱۹۳۴ م، القاهره. الاحتجاج، تأليف: الحسن رضى الدين الطبرسى: ص ۳۵۶، ط ۱۳۸۶ ه - ۱۹۶۱ م، النجف الأشرف.

۲- (۲) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۶. البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ج ۳، ص ۶۳، ط ۱۳۶۸ ه - ۱۹۴۹ م، القاهره. المعارف لابن قتيبه: ص ۱۹۷.

۳- (۳) معجم قبائل العرب القديمه والحديثه، تأليف: عمر رضا كحاله: ج ۳، ص ۲۴۳، ط ۱۳۶۸ ه - ۱۹۴۹ م، دمشق.

۴- (۴) معجم البلدان، تأليف: ياقوت الحموى: ج ۵، ص ۳۵۵، ط ۱۳۷۶ ه - ۱۹۵۷ م، بيروت.

۵- (۵) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ج ۲، ص ۱۱۲، ط ۱۲۹۹ ه -، القاهره.

ودار نشأته، وكان ينزل مكه طالب علم(۱).

كنيته وألقابه

يُكنّى بأبى عبد الله وأبى محمد(۲) ، وله من الولد غيرهم عبد الملك وعبد الله.

وله ألقاب عده منها (ابن أم دهماء) وهذا لقبٌ سَمّاهُ به شيخه عبد الله بن عباس(۳) ، و (ابنُ أبى الجهم)(۴).

نشأته

لقد استعنتُ فى بحثى عن نشأته بما كان يصرح به سعيد نفسه، لأنّ فى أقواله خير معين لى فى استنتاجى لبواكير نموه الشخصى فى تلك الفتره.

يكاد يتفق المؤرخون على أنّ سعيداً لمّا قتله الحجاج كان عمرهُ حوالى (۴۹) عاماً(۵) ، وهذا يعنى أنه ولد فى الفتره التى تَلَتْ استشهاد الإمام على بن أبى طالب عليه السلام.

۱- (۱) رجال الطوسى، تأليف: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى: ص ۹۰-۹۱، ط ۱۳۸۱ ه - ۱۹۶۱ م، النجف الأشرف. مجمع البيان فى تفسير القرآن، تأليف: الطبرسى: ج ۱۰، ص ۵۵۹، ط ۱۳۸۲ ه -، طهران. الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلى: ج ۱، ص ۳۶۹، ط ۱۳۴۵ ه - ۱۹۲۷ م، القاهره.

۲- (۲) وفيات الأعيان لابن خلكان: ص ۱۱۲. الرجال، تأليف: الحسن بن على بن داود: ص ۱۶۹، ط ۱۳۴۲ ه -، طهران.

۳- (۳) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۸.

۴- (۴) غايَهُ النهايه فى طبقات القراء، تأليف: محمد بن محمد شمس الدين أبو الخير ابن الجوزى، تحقيق: ج. برجشتراسر: ص ۳۰۶، ط ۱۳۵۱ ه - ۱۹۳۲ م، القاهره.

۵- (۵) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۶. المعارف لابن قتيبه: ص ۱۹۷. الاحتجاج للطبرسى: ص ۳۵۶.

تلك الفتره التى استقطب الصراع فيها بين أهل العراق وأهل الشام، والتى تميزت باندفاع أهل العراق نحو العلوم الدينيه وما تستتبعه من العلوم اللغويه والعلوم الأخرى، وتقوقع أهل الشام حول ملاذ الدنيا وخدمه سلطانها.

من يتفحص أقوال سعيد وهو يتحدث عن ذكرياته، يجد أنَّ لبيئه الكوفه أثراً كبيراً فى تنشئته تلك النشأه الدينيه.

فهو يذكر أنه فى أيام صباه كان يجهل أموراً كثيره، يَستعين على معرفتها بما كان يسمعه من إرشاد يوجهه له الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من الخيّرين، يقول سعيد: (رآنى أبو مسعود البدرى فى يوم عيد وَلِيَ ذُؤابه؛ فقال يا غلام، لا صلاه فى مثل هذا اليوم قبل صلاه الإمام...)(١).

صِفاته

كان سعيدُ منذ الطفولهِ مُؤمناً وَرِعاً مستجاب الدعاء يؤدّى الفرائض بأوقاتها ويأسى على فواتها؛ (كان عنده ديك، يقوم إلى الصلاه إذا صاح؛ فلم يصح ليله من الليالى فأصبح سعيد ولم يصلِّ؛ فشقّ ذلك عليه فقال سعيد: ما له؟ قطع اللهُ صوته! فما سُمِعَ ذاك الديك يصيح بعدها، فقالت له أمه: أى بُنَى لا تدعُ على شيءٍ بعدها...)(٢).

وظلّت هذه السَّجيّه ملازمه له؛ فهو لمّا أُخِذَ إلى الحجاج قال لأصحابه: (ما أرانى إلّا مقتولاً، وسأُخْبِرُكُمْ أنى كنت أنا وصاحبين لى دعونا حين وجدنا حلاوه الدعاء، ثم سألنا اللهَ الشهاده؛ فَكِلا صاحِبَىَّ رُزِقَها وأنا أنتظرها)(٣).

١- (١) تذكره الحفاظ، تأليف: شمس الدين الذهبى: ج ١، ص ٧۶، ط ١٣٧۴ ه -، بيروت.

٢- (٢) حليه الأولياء، تأليف: أبو نعيم الأصبهانى: ج ۴، ص ٢٧۴، ط ١٣٥۴ ه - ١٩٣٥ م، القاهره.

٣- (٣) المصدر السابق.

ولمَّا كُبَّ على وجهه – ساعةَ قتله – قال: (أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الحجاجَ غير مؤمن بالله، واللهُمَّ لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدى)(١).

وأماتَ اللهُ الحجّاج بعد مده وجيزه بالآكله، ولم يتسلط على أحد بعد سعيد(٢).

كان سعيد حسن المعشر طيّب الصحبه متواضعاً(٣) ، يتكسبُ من عرق جبينه(٤).

وتَمَيَّزَ سعيد بصحّه البَدَنِ فما شكى من عله حتى مات، يلهج بالشكر على ما أنعم به عليه الله من عافيه، فإذا أكل الطعامَ شعر بلذّته وإذا فرغ منه قال: (اللهم أشبعتَ وأرويتَ فهنئنا وأكثرتَ وأطبتَ فزدْنا)(٥).

وهذه الصفه البدنيه لمّا خالطها الإيمان الخالص أكسبه خصلةً حميده هى الصبر(٦).

كان سعيد يكره التمثيل بالحيوان(٧) ، وما ذلك إلاّ لعمق تفقهه بدينه ومعرفته لدقائق أحكامه، حيثُ إنّه جمع بين الحياء والإيمان(٨).

١- (١) الكامل فى التاريخ، تأليف: ابن الأثير: ج ۴، ص ١٣٠، ط ١٣٨٥ ه – ١٩۶۵ م، بيروت.

٢- (٢) إيمان أبى طالب، تأليف: فخار بن معد الحائرى: ص ٣٢١، ط ١٣٨۴ ه –، النجف الأشرف.

٣- (٣) عيون الأخبار، تأليف: ابن قتيبه: ج ٨، كتاب الحوائج، ص ١۶۵، ط ١٣٨٣ ه – ١٩۶٣ م، القاهره.

۴- (۴) عيون الأخبار لابن قتيبه: ج ٣، كتاب السؤدد، ص ٢۵٠.

۵- (۵) عيون الأخبار لابن قتيبه: ج ٩، كتاب الطعام، ص ٢٢١.

۶- (۶) حليه الأولياء للأصبهانى: ج ۴، ص ٢٨٢.

٧- (٧) حليه الأولياء للأصبهانى: ج ۴، ص ٢٩۶.

٨- (٨) حليه الأولياء: ج ۴، ص ٢٩٧.

تَمَثّل سعيد الإسلام فی شخصيَّتِهِ، فغلبت عليه التقوی وسكنه الوَرَعُ فلم يكن يتعرضَ لأحدٍ بالكلامِ (۱).

كان سعيد ذكياً يحسن التصرف فی المواقف المحرجه؛ فلقد سأله الحجاج لمّا أراد قتله؛ ما تقول فِیَّ؟

قال: (قاسط عادل)، فقال قوم: ما أحسن ما قال – حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل –.

فقال الحجاج: يا جَهَلَهُ؛ إنّه سَمّانی ظالماً مشركاً؛ وتلا لهم قول الله تعالی: وَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً۲,۳.

وقوله تعالی:.... ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۴.

دراسته

أتقن سعيد القراءه والكتابه فی سِنٍ مبكرهٍ، وكان متعطشاً للعلم، توّاقاً للمعرفه، ساعدته علی ذلك قراءته المستمره للقرآن حتی بلغ به أنْ يختم القرآن فی كل ليلتين(۲).

وكان يملك مواهبَ وقابلياتٍ فَذّه أهَّلَتْهُ للدراسه فبرز فيما اختار من علوم

۱- (۱) ذكر أخبار أصبهان، تأليف: أبو نعيم الأصبهانی: ج ۱، ص ۳۲۴، ط ۱۹۳۱ م، لِيدِنْ.

۲- (۵) الطبقات الكبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۹.

وتوصّل إلى مرتبه غبطه أقرانه وأساتذته عليها بشهاده أستاذه ابن عباس.

وهذه القابليه لا تتطور إلّا بالمواظبه على الدرس والتحصيل والتتبع؛ ولمّا كان القرآن قطب الرحى الذى كانت تدور حوله العلوم الدينيه آنذاك، لذا صار هو الأصل فى الأسس التى يعتمدها سعيد وهو يجدّ السعى ويحث السير متسلقاً صرح العلوم الدينيه مرتفعاً درجاتٍ بين أقرانه وفوق كل ذى علم عليم.

لقد تَمَرَّسَ فى قراءه القرآن يافعاً وهو يشير إلى تلك الممارسه وعمق أصالتها فى حياته قائلاً؛ (ما مضت علىَّ ليلتان منذ قتل الحسين عليه السلام إلّا أقرأ فيهما القرآن إلّا مسافراً أو مريضاً)(١).

كان يختلف إلى حلقات الدراسه فى مسجد الكوفه وبيوتاتها العلميه حيث نَحتمل أن تجرى الدراسه فى دواوين ومقامات أعلام الأمّه؛ وهناك إشاره واضحه وجليه فى تائيه دعبل الخزاعى تبين لنا أن الدراسه لم تكن مقتصره على الجوامع ولا موقوفه عليها ولا محصوره بين حيطانها؛ حيث يصور دعبل كيف كانت دُورُ أهل بيت النبوه: -

مَدارسُ آياتٍ خَلَتْ مِنْ تِلاوهٍ وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفَرُ العَرَصاتِ

وقد أدركَ سعيدُ بعضاً من أصحاب عبد الله بن مسعود وكان يقولُ فيهم: (كان أصحابُ عبد اللهِ بن مسعود سُرُجَ هذه القريه)(٢).

ولمّا تَصَلَّبَ عوده بالدراسه، وقويت عريكته بالتتبع؛ تفتّحَ طموحه لأنْ يَتَتَلْمَذَ على الأعلام ممن بقى من جيل الصحابه، ولم يطل المقام بسعيد فى الكوفه

١- (١) مجمع البيان للطبرسى.

٢- (٢) فجر الإسلام، تأليف: د. أحمد أمين: ج ٧، ص ١٨٤، ط ١٩٥٥ م، القاهره.

فشدّ الرحالَ فی طلب العلم وکان هدفه مجلس ابن عباس فی مکه - والذی ذاع صِیتُهُ حتی لقّبته الناسُ ب - (حبرِ الأمّه).

وبدأ سعید یحضر حلقه ابن عباس باندفاع وَتَفَتُّحٍ فی الذهن وشغف بالعلم لافتاً انتباه شیخه ابن عباس إلیه لِما وجده عنده من ذکاء وفطنه ورغبه فی العلم مع مواظبه علی الدرس وحسن فهم لما یدرس؛ فسأله یوماً: (مِمَّنْ أنتَ؟ فأجاب سعید: مِنْ بَنی أسد)(۱).

وکان ابن عباس قد استشعر فیه حب المعرفه ونعمه الاستفاده فبارک له.

ظلّ سعید مواظباً علی حضور مجلس ابن عباس فی مکه، وکان ذلک المجلس یزخر بطلاب العلم من المتضلعین والمتطلعین.

ولعل سائلاً یسأل عن سبب ذکری لهذین النوعین من طلاب العلم؛ فأقول إنّ العلمَ ظل دائماً وسیله المتطلع للمرکز الاجتماعی وغایه المتضلع الذی یجعل من شخصه نفراً نافراً متفقهاً بالعلم لینقله إلی الجیل الذی یتبعه.

ومن هنا یتبین الفرق بین المتطلعین والمتضلعین ویظهر جلیاً البَوْنُ الشّاسع بین الفریقین والاختلاف بین أهدافِ الطائفتین فی المساعی والنتائج.

فی مجلس ابن عباس

فی هذا المجلس شاءت الظروف والأقدار أنْ یتحددَ مصیر سعید العلمی والمعاشی وحتی الجهادی؛ فلا تحسن أن هذا المولی الأسود سیتیسَّر له فی یوم ما أنْ یتقلدَ منصب القضاء أو الإشاره فی الکوفه ما لم یکن قد اختیر عن خبره ودرایه -

---

۱- (۱) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۶.

فى عصر الحكام المتميّزين بالروح الطبقيه والنزعه القبليه والعنجهيه الجاهليه - ولعل البعض لا يرضى بوَسم العصر المذكور بهذه السمات! إلّا أنّ الوقائع التاريخيه التى تفوّهَ بها الحكّامُ أنفسهم تؤكد ذلك كما تبينه الدراسهُ فى الفصول القادمه إن شاء الله.

يـذكر سـعيدُ أنَّ أوَّلَ معرفته بالحجاج لم تكن حين اختاره لمنصب القضاء فى الكوفه لمّا قـدم عليها والياً من قبل عبد الملك بن مروان؛ وإنما كانت فى مجلس ابن عباس(١).

وهذا سيتبين لنا فى محاكمه الحجاج لسعيد عندما قبض عليه، ومدى ومقدار معرفه الحجاج لسعيد ومنزلته العلميه، وأنّ الحجاجَ اضـطُرَّ تحت وطأه الظروف التى ذكرتها سابقاً إلى تنحيته عن منصب القضاء الذى كان يعلم أنه كفـءٌ له إلّا أن البيت الأموى ما كان ليرضى له بالخروج على المبادئ التى اعتمدها أهل ذلك البيت فى الحكم.

كان سعيد يحب شَيخَهُ وأستاذَهُ حُبّاً جمّاً وكان يقول: (لا يلومنى أحدٌ على حبِّ ابن عباس)(٢).

وكان من شِدَّه إعجابه بشيخِهِ يقول: (كُنتُ أسمعُ الحديثَ من ابن عباس فلو أذِنَ لىَ لَقَبّلْتُ رأسه)(٣).

كان سعيد حريصاً فى طلبه للعلم، ومُتقِناً فى أسلوب دراسته ومُجِدّاً فى الاستناد على ما يأخذه، ومستوثقاً فى أخذه.

١- (١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ٢٥٧.
٢- (٢) سِيَرُ أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين الذهبى: ج ٣، ص ٢٣٢، ط ١٩٥۶ م، القاهره.
٣- (٣) حليه الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى: ج ۴، ص ٢٨٣.

وهو وإنْ كان نبيهاً وذكياً وذا حافظه قويه إلّا أنّه ما كان ليرضى أن يختزن العلم فى ذاكرته ويترك ثروته العلميه الثمينه تتعرض يوماً ما لعوادى الزمن وآفه النسيان فتضيع منه أو على الناس من بعده نهباً للتحريف فى نقل الحديث لذا (كان لا يفوته كلما أتى ابن عباس أنْ يكتبَ عنه)(۱) - وهذه الملاحظه وإن تبدو عابره إلا أنها ذات دلاله عميقه على حرص سعيد الشخصى على العلم كما تشير إلى مدى أصاله رجال العصر الأول فى الحفاظ على التراث إذ لا يعقل أبداً أن يكون سعيد وحده بهذه الفطنه والحرص والضبط، وإن بقيت تلك السِّمه متفاوته بين طالب علم وآخر، ولم ينسَ سعيد أن يوظف موهبته المبكره فى الجرح والتعديل فيسجل رأيه فى بعض كتّاب الحديث ويدون آراءَ شيخه فيهم وكيف كان ابن عباس يكرههم(۲) ، ولا ندرى هل أنَّ ابن عباس كان يكرههم لذاتهم أم لطريقتهم فى كتابه الحديث أم لاهتمامهم بباب من العلم دون باب آخر!!!

قد يكون الدافع هذا أو غيره ولربما تكون قله الحرص أو ضعف النفس وعدم الأمانه هما الدافع للكره!

ولكن الذى نستفيده من هذه الملاحظه هو أنها تصب فى مجمع الدّلالات التى تؤكد وجود تفسير لسعيد بن جبير فُقِدَ وضاعَ كما يشير إليه بعض المؤرخين - وهو ما سأفرد له باباً فى التفسير عند سعيد فى الفصول التاليه.

ونستشف من الروايه أيضاً كيف كان سعيد حصيفاً عارفاً بِسِماتِ عصره، بل نقول إنّ وضعه أجبره على أن يدوّن كل ما يسمعه عن ابن عباس ليحفظ كل

۱- (۱) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۸.

۲- (۲) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۰.

قطره علم أخـذها عنه بأمانهٍ صادقهٍ تعينه على شق طريقه بين صـفوف علماء الكوفه عنـدما يعود إليها محملاً وحاملاً لهـذا التراث النَّرّ النفيس من مكه والمدينه لأهل العراق.

وهـذا مـا حـدث تمامـاً لسـعيد؛ فهو ما إن عاد إلى الكوفه حتى توجهت أنظار طلاب العلم والمحتاجين للفتيا إلى علمه، وظل مع كل ذلك يزور ابن عباس كل عام مرتين، مرّه فى العمره ومره فى الحج(١).

كان وثيق الصله بأستاذه يأخذ بنصائحه وإرشاده حتى فى أخصّ خصوصياته.

سأله ابن عباس يوماً إن كان متزوجاً أم لا؛ ولمّا أجابه بالنفى أمره بالتزويج(٢).

ظل ملازماً لابن عباس حتى صار أعلم جماعته، بالتفسـير والقراءه والفتيا وأسـباب النزول(٣) ، ولم تقتصـر دراسته على ابن عباس لهذه العلوم بل أجاز له أن يحدّث فى حضـرته وهى ما يُسمى فى علم الحديث - الإجازه مُشافهه(٤) - فأكّد منزلته العلميه حيث يُحَدِّثُ الحاضرين فى حضره شيخه(٥) ؛ وهى منزله لم يكن يحلم

١- (١) حليه الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى: ج ۴، ص ٢٧٥؛ البدايه والنهايه، تأليف: ابن كثير: ج ٩، ص ٩٨، ط ١٣۴٨ ه -، القاهره.

٢- (٢) ذيل الأمالى والنوادر، تأليف: أبو على القالى: ص ۴٨٠، طبعه بيروت.

٣- (٣) المصدر السابق.

۴- (۴) الإجازات العلميه، تأليف: د. عبد الله الفياض: ص ٢١، ط ١٩۶٧ م، بغداد.

۵- (۵) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ٢۵۶. الإكليل، تأليف: الحسن بن أحمد الهمدانى: ج ٢، ص ٢١۵-٢١۶، ط ١٣٨۶ ه - ١٩۶۶ م، القاهره.

بها أحد من أقرانه؛ ومعناها ضِمناً أنّ سعيداً صار مؤهّلاً تأهيلاً كاملاً لأنْ يكونَ أحدَ شيوخ التابعين باعتِرافِ وإجازهِ قُطْبٍ كبير من الصحابه، وهذا ما يشابه منحَ الدكتوراه فی عصرنا هذا.

لم يُفارق سعيد شيخه بعد أن عَمِیَ ابن عباس؛ بل كان ابنُ عباس لا يرتاح إلاّ إليه، وإذا ما خرج إلى السوق طلب من سعيد أنْ يقوده؛ وقد صادف وسعيد يقوده مرّه أن سمع قوماً يسبّونَ عليّاً عليه السلام، فَرَدّ عليهم ابن عباس ردّاً أخجَلَهُمْ فندموا على ما فرطوا من أنفسهم(۱).

دامت رعايه ابن عباس مستمره متواصله حتى بعد أن استقر سعيد فی الكوفه واشتهر وصار واحداً من أعلم التابعين ممن صاحبوا ابن عباس طويلاً وكان ابن عباس يدفع إليه من يأتيه للسؤال من أهل الكوفه ويُعْلِمُهُمْ بشأن سعيد بن جبير ومكانته ويقول: (تسألونی وفيكُمْ ابن أم دهماء - يعنی سعيداً بذلك -)(۲).

شيوخه

ليس بالأمر الغريب على رجل مثل سعيد متعطش للعلم أن ينهلَ من كل مَعين، فهو لم يقصر الارتواء على منهل ابن عباس العذب، بل تنقل مغترفاً ومرتشفاً من مناهل متنوعه متعدده من الصحابه والتابعين ممن عاصروهُ قبل أن تنضب بحكم المنون تلك المناهل.

فكان سعيد بن جبير يأخذ العلم عن عبد الله بن عمر(۳) ، وأبی سعيد

۱- (۱) إيمان أبی طالب عليه السلام لفخار بن معد الحائری: ص ۱۰۷.

۲- (۲) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۸.

۳- (۳) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۰. الإصابه فی تمييز الصحابه، تأليف: ابن حجر العسقلانی: ج ۳، ص ۱۳۵، ط ۱۳۲۸ ه -، القاهره.

الخُدْری(۱) ، وقَتاده بن النعمان بن زید بن عامر - أخی أبی سعید الخُدری(۲) ، وعبد الله بن الزبیر، وعبد الله بن عمرو بن العاص(۳) ، والضحاک بن قیس الفهری(۴) ، وأنس بن مالک، وعمرو بن میمون، وأبی عبد الرحمن السلمی(۵).

أمّا ما ذُکِرَ من أنه روی عن عبد الله بن مغفل - أو معقل - فإنما کان إرسالاً ولیس سماعاً(۶) ، وبین السماع والإرسال بَوْنٌ شاسع.

فالإرسالُ معناه أن سعیداً لم یدرک هذا الشیخ ولکن أخذ عمّن سَمِعَ عنه.

وأخرج الذهبی أنه روی عن عدی بن حاتم(۷) ، إلّا أنه لم یَرْوِ عنه بل سمع عمرو بن حریث(۸).

کَما لم یَرْوِ عن عائشه کما أخرج أبو نعیم(۹) ، بل أرسل عنها. ولم یرو عن علی علیه السلام کما ذکر أبو نعیم لأنه لم یدرک أیامه - کما ذکر أبو نعیم أنه روی عنه - کما قال البخاری.

ومات أبو مسعود الأنصاری أیام علی علیه السلام فلم یَرْوِ عنه کما ذکر

۱- (۱) سیر أعلام النبلاء للذهبی: ج ۳، ص ۱۱۳.

۲- (۲) الإصابه فی تمییز الصحابه لابن حجر العسقلانی: ج ۳، ص ۲۲۵.

۳- (۳) حلیه الأولیاء لأبی نعیم الأصبهانی: ج ۴، ص ۲۹۵.

۴- (۴) سیر أعلام النبلاء للذهبی: ج ۳، ص ۱۶۱.

۵- (۵) تهذیب التهذیب لابن حجر: ج ۴، ص ۱۱-۱۲، ط ۱۳۲۵ ه -، حیدر آباد.

۶- (۶) تهذیب التهذیب لابن حجر: ج ۴، ص ۱۱.

۷- (۷) سیر أعلام النبلاء للذهبی: ج ۴، ص ۱۰۹.

۸- (۸) تهذیب التهذیب لابن حجر: ج ۴، ص ۱۱.

۹- (۹) حلیه الأولیاء للأصبهانی: ج ۴، ص ۲۹۵.

أبو نعيم، وما رُوِىَ من أنه سمع أبا هريره فهو مردود بنفس الحُجّه، وما رُوِىَ من أنه سمع أبا موسى الأشعرى فليس هناك دليل يُثْبِتُ ذلك(۱).

منزلته العلميه

لقد بلغت بسعيد المنزله العلميه أنْ لُقِّبَ ب - (جهبذ العلماء)(۲) وهو لقب كان جديراً به فهو (أعلمُ التابعين بالتفسير، كما أثنى عليه قتاده وسفيان الثورى(۳) مع شيخيه ابن عباس، أما ابن حزم فقد وضعه فى الطبقه الثانيه من التابعين بين أصحاب الفُتيا من أهل الكوفه وهذا يعنى أنّ مركزه فى التفسير بقى فى الصداره، ونحن حتى إن سلمنا برأى ابن حزم الأندلسى فالطبقه الثانيه من أصحاب الفتيا هى أيضاً طبقه مرموقه فى عصرها؛ وهى طبقه إبراهيم النخعى والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ومحارب بن دثار وعامر الشعبى وجبله بن سحيم وأبى بكر بن أبى موسى الأشعرى والحكم بن عتيبه(۴).

أجمع أصحاب الكتب الستّه على توثيق سعيد بن جبير(۵) ، بل اتفق

۱- (۱) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ۴، ص ۱۴.

۲- (۲) رجال الشيخ الطوسى، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم: ص ۹۰، ط ۱۳۸۱ ه - ۱۹۶۰ م، النجف الأشرف. مناقب آل أبى طالب عليهم السلام، تأليف: محمد بن على وابن شهر آشوب: ج ۵، ص ۲۷۰، طبعه حجريه، طهران.

۳- (۳) إيمان أبى طالب عليه السلام للحائرى: ص ۳۲۱. الإتقان فى علوم القرآن، تأليف: جلال الدين السيوطى: ج ۲، ص ۱۸۹، ط ۱۳۷۰ ه - ۱۹۵۱ م، القاهره.

۴- (۴) جوامع السيره، تأليف: ابن حزم الأندلسى، تحقيق: د. إحسان عباس، ود. ناصر الدين الأسد: ص ۳۳۰، طبع فى القاهره.

۵- (۵) التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبى: ج ۱، ص ۱۰۲، ط ۱۳۸۱ ه - ۱۹۶۱ م، القاهره.

المسلمون على ثقته(۱) وحسن سيرته وأمانته العلميه على النقيض من (عكرمه) الذى كان مولى ابن عباس وأوثق الناس صله به ومع ذلك لفّقَ عليه الروايات الكاذبه.

وممّن أثنى على سعيد بن جبير الإمامُ على بن الحسين عليهما السلام(۲) ، وما ثناؤه إلّا عن درايه وطول صحبه بينه وبين سعيد، كما مدحه بعد حين الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وتأسف على قتل الحجاج له(۳).

كان أصحاب السير وعلماء الجرح والتعديل عندما يرد ذكر سعيد يقولون: (هو ثقه ثبتٌ فقيه(۴) ، عالم جليل القدر متأكّد متمحّص(۵) ، عمِل بعلمه، لا يتحدث ما لم يُسأل)(۶) ، واذا قام من مجلسه وسُئِلَ عن حديث قال: (ليس كل حين أحلب فأشرب)(۷).

ويمكننا أنْ نقدّر مبلغَ ما وصل إليه مقام سعيد بعد وفاه ابن عباس، أنّ الحجاج لمّا حاوره عند قتله، ذكّره قائلًا له: (ألم أقدِمْ مكه فقتلتُ ابن الزبير وأخذتُ بيعهَ أهلِها وأخَذتُ بيعتَكَ لأمير المؤمنين(۸) ؛ [يعنى عبد الملك بن مروان].

۱- (۱) مجمع البيان للطبرسى: ج ۱۰، ص ۵۵۹.

۲- (۲) قاموس الرجال للكشى: ص ۱۱۰، طبع فى كربلاء المقدسه. الاختصاص، تأليف: الشيخ المفيد: ص ۲۰۵، ط ۱۳۷۹ ه -، طهران.

۳- (۳) الاختصاص للمفيد: ص ۲۰۵. رجال الكشى: ص ۱۱۰.

۴- (۴) تهيب التهذيب لابن حجر: ج ۴، ص ۱۱.

۵- (۵) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۰.

۶- (۶) البدايه والنهايه لابن كثير: ج ۹، ص ۹۸، ط ۱۳۴۸ ه -، القاهره.

۷- (۷) حليه الأولياء للأصبهانى: ج ۴، ص ۲۸۹.

۸- (۸) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ۱۳۰.

فالحجاج فی هذه المحاوره یُوَثِّقُ لنا ما بلغه سعید من مرکز اجتماعی وعلمی فی زمانه، إذ یؤکد مقدار أهمیّه أخذ البیعه من سعید مع أنّه یشیر أنه أخذها من أهل مکه عامه مثلما فعل لما قدم الکوفه إذْ نجده یؤکد علی أخذ البیعه من سعید أمامَ الناس لأثرها البالغ فی دعم الکیان السیاسی حینذاک(۱).

ولسعه اطلاعه فی علمه وإلمامه بأغلب جوانبه، ولعدم وجود نظیر له فی الکوفه فی التقوی؛ أعطاهُ الحجاج مائهَ ألف درهم، لیُنفقها علی أهل الحاجه، ونصبه إماماً للمصلین فی مسجد الکوفه (ولم یکنْ یَؤُمُّ بها إلّا عربی)(۲) مع ما فی ذلک من خروج علی قاعده الملک فی البیت الأموی من اختیار واصطفاء العمال لتسییر شؤون الملک - کما أسلفنا - ولذا لم یقتصر عمل الحجاج علی تنصیب سعید إماماً للمصلین وإنما ولّاهُ القضاء لطول باعه فی الفتیا(۳) والقضاء، واعْتُبِرَ عملُ الحجاج هذا خروجاً سافراً علی أصحاب النظریه الأمویه فی الحکم، فثارَ وضجّ أنصار البیت الأموی والراتعون فی نعیمه ممن کانوا یرون فی القیم الإسلامیه قیداً یکبّل أیدیهم ویمنعهم من اللعب بأحوال وأموال المسلمین؛ فهم بالتالی لا یرتضون أن یؤول منصب إلی الموالی مهما بلغوا من العلم والعدل والتقوی، فالموالی یجب أنْ یبقوا ضمن المنزله الطبقیه الاجتماعیه التی وضعتهم فیها الدوله التی أسسها معاویه بن أبی سفیان(۴).

وتحت وطأه ضغط التیار الأموی وما أثاره المنظرون لهذه النظریه فی الحکم،

۱- (۱) تاریخ الرسل والملوک، تألیف: محمد بن جریر الطبری: ج ۶، ص ۴۹۰، ط ۱۹۳۹ م، القاهره.

۲- (۲) وفیات الأعیان لابن خلکان: ج ۲، ص ۱۱۵.

۳- (۳) المصدر السابق.

۴- (۴) المصدر السابق.

ودفعاً للعواقب غير المحموده، اضطُرَّ الحجاج أن يُطأطئَ لها رأسه ويسلم القضاءَ لمن ترشحه هذه العائله الحاكمه وهو أبو برده بن أبى موسى الأشعرى لفضل أبيه على معاويه يوم التحكيم مع أنه كان معلوماً لأهل الكوفه أنّ هذا الأخير لم يكن بمنزله سعيد ولا بمقدار علمه إلّا أنه كان ممن تنطبق عليه المعايير التى وضعوها؛ ومع ذلك نجد الحجاج يلزم أبا برده أن يتخذ سعيداً كاتباً ووزيراً(۱) - [مستشاراً فى العرف الحديث] - كى يستفيد من علم سعيد وكفاءته النادره التى كان القضاء يفتقر إليها.

ويكفى للقارئ أن يتمعَّنَ فى قول الحسن البصرى: (مات سعيد وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون إلى علمه)(۲).

۱- (۱) عيون الأخبار، تأليف: ابن قتيبه الدينورى: ج ۱، كتاب السلطان، ص ۱۲. البيان والتبيين للجاحظ: ج ۳، ص ۶۳. تاريخ الكوفه، تأليف: حسين أحمد البراقى: ص ۲۲۹، ط ۱۳۷۹ ه - ۱۹۶۰ م، النجف الأشرف.

۲- (۲) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۶. رجال الطوسى: ص ۹۱. حياه الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميرى: ج ۱، ص ۱۷۱، ط ۱۳۸۳ ه - ۱۹۶۳ م، القاهره.

الفصل الثانی: نتاجه الفکری

اشاره

أ – التفسیر، أسلوبه فی التفسیر، نماذج من تفسیره.

ب – أسباب النزول، نماذج مما رواه فی أسباب النزول.

ج – القراءه، اختلاف الآراء فی قراءه سعید وقراءه غیره، بحث مقارن، دور سعید فی نشوء القراءات، نماذج مقارنه.

د – الحدیث، نماذج من روایته فی الحدیث، أسماء من روی عنه.

ه – آراؤه الفکریه، فتیاه، صلاته، دعاؤه.

ص:۳۵

لقد حفظ لنا سعيد تراثاً حضارياً مُهمّاً، نقله عنه تلاميذه ومن رَوَوْا عنه فى كل باب من أبواب العلوم الدينيه التى حفلت بها سجلات الحضاره الإسلاميه(١).

لكن العقبه الكأداء إنما تكمُن فى طريق هذا العلم يُحْجَبُ عنا بحجاب من استخفاف أهل ذلك الزمان بالعلم والعلماء؛ وانجرافهم مع تيار الدنيا وملذّاتها مُعَرِّضين تراث أمتهم بين العوادى والضياع.

وسعيد يطرح لنا صوره عصره من غير تزويق ولا تحريف؛ فلقد كان يَحُزُّ فى نفسه - بعد أن بلغ تلك المنزله العلميه - أنْ يَبقى عِلْمُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مخزوناً عنده وهو الذى انفرد وتميّزَ بتدوين العلم دون أنْ يَجِدَ مِنَ الناس مَنْ يهتم فى طلبه.

لذا يقول: (وَدِدْتُ لَو أنّ الناسَ أخذوا ما عندى من العلم فإنه مما يَهُمُّنى)(٢).

وسعيد حين يبدى حسرته من زهد الناس فيما عنده من العلم لا يعنى أن تلامذته والرواهُ عنه قليلون - وهم الذين كان لأسمائهم دويٌّ فى علم الحديث ملأ أبواب الروايه حتى تكرَّرَ ذِكْرُهُمْ فى شُعَبِ الفقه وذلك ما سنتناوله بالبحث فى باب خاص هو باب الروايه.

١- (١) البدايه والنهايه لابن كثير: ج ٩، ص ٩٨.

٢- (٢) المصدر السابق.

أ: التفسير

اشاره

يُعتبر سعيد أوّل من صنف كتاباً فی علم التفسير(۱) من التابعين، ولقد ذكر ابن النديم فی باب الكتب المصنفه فی تفسير القرآن؛ كتاباً لسعيد فی تفسير القرآن سماه: (تفسير سعيد بن جبير)(۲) ، ويشير إلی أنه كان موجوداً بعد عهد سعيد ثم فُقِدَ، وهذا ما ذكره العلامه المحقق المرحوم الشيخ أغا بزرك الطهرانی فی موسوعته (الذريعه إلی تصانيف الشيعه) حيث ذكر تفسيراً لسعيد بن جبير معتمداً علی ما أوردهُ ابن النديم فی الفهرست(۳).

إنّ تفسير سعيد كمُصَنّفٍ قائم بذاته قد فُقِدَ لا شكّ فی ذلك، وقد تجشَّمَ كثير من الباحثين العناء فی العثور عليه لتحقيقه لكنهم لم يُوَفّقوا، أذكر منهم العلامه (محمد صادق بحر العلوم (ت ۱۲۱۲ ه –)) وكان قد جَدَّ فی البحث عنه ولكن دون جدوی.

إلّا أن الكتاب بمادّته لم يفقد، حيث وجدت أثناء البحث فی كتب التفسير

۱– (۱) تأسيس الشيعه لعلوم الإسلام، تأليف: السيد حسن الصدر: ص ۳۱۹، ط ۱۳۲۸ ه –، بغداد.

۲– (۲) الفهرست لابن النديم: ص ۵۷، طبع فی القاهره.

۳– (۳) الذريعه إلی تصانيف الشيعه، تأليف: أغا بزرك الطهرانی: ج ۴، ص ۲۴۱، ط ۱۳۲۰ ه –.

الکثیره أنها حفظت لنا أغلب ما رواه سعید من تفسیر بأمانه؛ منها کتاب (جامع البیان) للطبری وکذلک ما أورده عنه الطبرسی فی تفسیره الموسوم ب - (مجمع البیان) وغیرهم ممن عوّل علی الطبری وغیره فی ضبط روایات التفسیر.

وماده التفسیر التی رُویَتْ عن سعید انتشرت فی کل کتب التفسیر لمکانه الرجل فی هذا الباب وهی بانتظار من یحققها ویخرجها إلی الوجود فی کتاب قائم مستقل بذاته یکَمَّله ما انفرد به سعید من قراءات؛ لأنه جمع القراءات الثابته عن الصحابه والتی أمَدّته بالقدره علی التّوسع والتعمق فی فهم معانی القرآن وفهم مقاصده لأن الذی یظهر لنا خلال دراستنا لسعید بن جبیر أنه کان یتورّع من القول فی التفسیر برأیه، یدلنا علی ذلک ما رواه ابن خلکان عمن سبقه من الباحثین، أنّ رجلاً سأل سعیداً أن یکتب له تفسیر القرآن فغضب وقال لأن یسقط شقی أحب إلیّ من ذلک(۱).

من المسلّم به أن سعیداً کان یأخذ التفسیر عن ابن عباس (سَماعاً)(۲) ، یؤکد ذلک إجازه ابن عباس له أن یحدث فی حضرته(۳) ، وإن کانت الروایه الأخیره فیها عموم مطلب، ولیس خاصه بالتفسیر إلّا أن ما یخصصها هو إجماع الرواه علی أن سعید بن جبیر کان أعلمَ التّابعین بالتفسیر(۴) ، وما ورد عن ابن عباس بحق سعید وطول باعه وسعه اطلاعه بعد ما أصیب ابن عباس بالعمی؛ إذ أتاه أهل الکوفه

۱- (۱) وفیات الأعیان لابن خلکان: ج ۱، ص ۳۶۵. التفسیر والمفسرون للذهبی: ج ۱، ص ۱۰۲.

۲- (۲) التفسیر والمفسرون للذهبی: ج ۱، ص ۱۰۲.

۳- (۳) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۶.

۴- (۴) المنتخب من کتاب ذیل المذیّل، تألیف: محمد بن جریر الطبری: ص ۱۲۵، ط ۱۳۵۸ ه - ۱۹۳۹ م، القاهره.

یسألونه یقول لهم: (تسألونی وفیکم ابنُ أمِّ دهماء؟(۱) ، وهذه الروایه وإن کانت لا تفید الحصرَ الکلّی الذی یقتضیه المقام من حیثُ الاستشهاد بها، لکنها تأتی مصداقاً لِثقهِ ابن عباس بعلم سعید بعلوم القرآن - والتی کانت ولا تزال تُدْرَسُ وتُدَرَّسُ مجتمعه ولم تتبلور وتتمیز وتتشعّب إلی فروع متعدده تستقل کعلوم متنوعه إلاّ فی عصور متأخره علی عصر التابعین، لذا جاز لنا أنْ نحملها علی تضمین علم التفسیر کجزء من أجزاء متنوعه من کلّ ما أخذه سعید عنه -.

یدعم هذه الثقه من ابن عباس بغزاره علم سعید فی هذا الباب شهاداتٌ من شیوخه الآخرین تتطابق فی مفهومها مع شهاده ابن عباس تدلّ وتؤکد علی سعه علمه فی باب التفسیر.

(قال التابعی سفیان الثوری: خذوا التفسیرَ عن أربعه؛ عن سعید بن جبیر، ومجاهد، وعکرمه، والضحّاک)(۲).

وقال قتاده: (کان أعلمُ التابعین أربعه: کان عطاء ابنُ أبی رباح أعلمهم بالمناسک، وکان سعیدُ بن جبیر أعلمَهُمْ بالتفسیر، وکان عکرمهُ أعلمَهُمْ بالسِّیَرِ، وکان الحسن أعلمَهُمْ بالحلالِ والحرامِ)(۳).

ویشیر الشیخ الصدوق فی (الأمالی) إلی أن عبد الله ابن عباس کانت له (أمالی) فی التفسیر، وقد ذکر أهل السِّیَرِ أنه أولُ من أملی فی تفسیر القرآن(۴).

فإذا ربطنا بین هذه الروایه وقول سعید (کُنْتُ آتی ابن عباس فأکتب عنه،

۱- (۱) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۸.

۲- (۲) إیمان أبی طالب علیه السلام للحائری: ص ۳۲۱. الإتقان للسیوطی: ج ۲، ص ۱۸۹.

۳- (۳) الإتقان للسیوطی: ج ۲، ص ۱۸۹.

۴- (۴) الأمالی، تألیف: الشیخ الصدوق: ص ۲۰، ط ۱۳۸۹ ه - ۱۹۷۰ م، النجف الأشرف.

أمكننا أنْ نستخلصَ أنّ ما كان يكتبه سعيد كان تفسيراً وليس حديثاً، لأنه كان يكرهُ كُتَّابَ الحديث)(۱).

ومن يستقرئ الروايات التى وردت عن سعيد فى كتب التفسير - فى تفسير بعض الآيات يجد أن أغلبَها قد رواه عن شيخه وأستاذه ابن عباس.

وهذا لا يتناقض مع ما رواه محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره من (أنّ مجاهداً كان يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحُهُ؛ فيقولُ له ابن عباس: اكتب...، حتى سأله عن التفسير كله)(۲).

لأن هذا لا يُنافى أنه أملى على سعيد كما أملى على مجاهد(۳).

وفى كتب التفسير شواهد كثيره يجد القارئ فيها اقترانَ اسمى سعيد بن جبير ومجاهد معاً مثالاً لرأى واحد متطابق يفسر إحدى الآيات تفسيراً خاصاً.

فمثلاً يورد الطبرسى فى مجمع البيان - تفسير سوره طه - (فيقول: آيه (طه) معناها: يا رجل؛ عن ابن عباس وسعيد ومجاهد والحسن والكلبى، غَيْرَ أنَّ بعضهم يقول هو بلسان الحبشيه والنبطيه)(۴).

والقارئ يلاحظ هنا وحده المصدر وتوافق التفسير عند ابن عباس وسعيد ومجاهد، ولنأخذ نموذجاً آخر من كتاب تفسير ثان؛ - الدر المنثور - يقول السيوطى: (وأخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد وسعيد فى قوله تعالى:... أَنْ

۱- (۱) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۸.

۲- (۲) أمالى الصدوق: ص ۲۰؛ جامع البيان للطبرى: ج، ص ۳۰، ط ۱۳۷۳ ه - ۱۹۵۴ م، القاهره.

۳- (۳) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ۴۸۸.

۴- (۴) مجمع البيان للطبرسى: ج ۷، ص ۳، ط ۱۳۸۲ ه -، طهران.

طَهِّرا بَيْتِيَ...١ ، قالا: من الأوثان والرّيب والزّور والرجس)(١).

ومن هـذه الأـمثله كثير ممـا يثبت أنّ سـعيداً سـمع التفسـير وأكثر روايته عنه(٢). ولم يشـتهر مـا ذكِرَ عن مجاهـد، بـل يرى بعض المحققين فى علم التفسـير والعلوم القرآنيه أنه مُقَـدَّمٌ على مجاهد وطاووس فى العلم(٣) ؛ وما تقدّمَ سـعيد على هؤلاء لو لم يكن عالماً جليل القدر متأكداً متمحّصاً(۴).

وقد أدرك الباحثون المتقدمون ذلك قبل المتأخرين ولم يقتصـر أمر الدراسات المقارنه على المتأخرين كما يتصور البعض لأن هناك نصوصاً تقع بين أيـدى الباحثين تؤكـد أن روح المقارنه والتمحيص فنٌّ ابتكره أجدادنا لتنقيه الماده التفسـيريه ولتخليصـها من شوائب التدليس ومن دس الإسرائيليات من قبل الجهله والمغرضين.

ويظهر من النص التالى أنّ طلبه العلم على عهـد سـعيد كان بعضـهم لا يكتفى بالأخـذ من صدر واحد دون أن يقارن الماده التى حصل عليها بمعارضتها مع مصدر ثانٍ أو أكثر إنْ أمكنه ذلك - وهذا ما يُفعل إلى الآن عند العمل فى تحقيق النصوص -.

فحين نقل أبو بكر الهذلى تفسير عكرمه لقوله تعالى:... وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ...۶ بأنها خصاء الدّواب، قال سعيد بن جبير - لما عرض

١- (٢) الدّرّ المنثور فى التفسير بالمأثور، تأليف: أبو بكر السيوطى: ج ١، ص ١٢١، طبع فى طهران، أوفسيت.

٢- (٣) التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبى: ج ١، ص ١٠٢.

٣- (۴) التفسير والمفسرون للذهبى: ج ١، ص ١٠٣.

۴- (۵) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ٢۶٠.

عليه تأويل عكرمه -: (أخطأ عكرمه، هو دين الله)(١).

فهنا نلاحظ وجود التلميذ الذى يدرس التفسير المقارن والأستاذ الذى لا يقول إلاّ بما يعلم.

فنحن لمّا نحقق، نقارن بين نصوص مطموره فى المكتبات فى بطون المخطوطات، نصوص بلا تحقيق، نصوص ميِّتَه لولا دقه ما كانوا يعقدون مقارنه حيّه من مصادرها الحيه، من المنابع الأصليه، وهم فى ذلك أكثر منا أصاله إذا ما كانت نياتهم صادقه وقلوبهم خاليه من الزيغ؛ وإلاّ تجدهم يحطبونِ بِلَيْلٍ من الإسرائيليات، ويخبطون خبط عشواء وهم يجمعون ما بين المتواتر والتدليس!!!

الإسرائيليات

قد يطرح القارئ تساؤلاً تؤكده بعض النصوص التى تقع بين أيدى الباحثين المتأخرين، ونقصد بها تلك النصوص التى تجانِب منطق العقل والحقيقه والتى لا تصمد للنقد ولا تثبت أمام النقاش العلمى، من هذه الأمور، الإسرائيليات ودخولها فى التفسير ونسبتها إلى شخصيات لها شأنها فى علم التفسير، فأقول إنّ أسباب تواجد مثل هذه الروايات كثيره، لعل منها ما يكون بسبب استقاء هذا المفسر أو ذاك من مصدر غير أمين على العلم، أو راوٍ متعمدٍ يسعى إلى التحريف لغرض فى نفسه، أو أن عدم تفصيل جزئيات الحوادث التى يقصها القرآن لغرض العِبْرَهِ والهدايه دفع بعض المفسرين إلى محاوله صياغه الإطار العام للقصه مما ورد فى التوراه والإنجيل، وقصص أهل الكتاب، بل ذهب البعض إلى الأخذ بما رواه لهم مَن دخل فى الإسلام من أهل الكتاب واعتبروه حُجَّةً مع أنه لا تستسيغه

١- (١) حياه الحيوان الكبرى للجاحظ: ج ١، ص ١٧٩، ط ١٩۴٩-١٩٥٠ م، القاهره.

الأذواق الفنيه ويخالف منطق القرآن ويتضارب مع المقاييس العلميه عقليه كانت أو نقليه وحسبك عنواناً لحجيتها أنها - كما يقولون - صحت حجيتها أنها وردت عن أبى هريره ومنها:

(أنَّ ملكَ الموت كان قبل موسى يأتى الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه موسى فَفَقَأ عينه! وأرجعه على حافرته إلى ربه أعور! فكان بعد هذه الحادثه يأتى الناسَ خفياً!).

ومنها: تلك المسابقه الطريفه بين ما ورد فى القرآن من محكمات كقوله تعالى:... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْ ءٌ...١ ، وبين حديثه فى أنّ اللَه خَلَقَ آدمَ على صورته؛ طوله ستون ذراعاً فى سبعه أذرع عرضاً.

وقد تطور فى روايته فتاره رواهُ كما سمعت، وتاره بلفظ: إذا قاتَلَ أحدكم أخاه فليتجنب الوجه فإنّ الله خلق آدم على صورته.

ومرّه بلفظ: إذا ضَربَ أحدكم فليتجنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته، ومره رواه بلفظ: خلق آدم على صوره الرحمن.

(أخرج البخارى(١) ومسلم(٢) ، وأخرجه أحمد بن حنبل(٣) من حديث أبى هريره، من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال: خلق الله آدم على

١- (٢) صحيح البخارى، تأليف: محمد بن إسماعيل البخارى: ج ۴، كتاب الاستئذان، ص ۵٧، ح ١.

٢- (٣) صحيح مسلم: ج ٢، كتاب الجنه وصفه نعيمها، باب يدخل الجنه أقوام أفئدتهم مثل أفئده الطير، ص ٣١۵.

٣- (۴) مسند أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٣١۵.

صورته طوله ستون ذراعاً، وزاد أحمد من طريق سعيد بن المسيب عن أبى هريره مرفوعاً: فى سبعه أذرع عرضاً، قال: فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكه جلوس فاستمع ما يحيّونك فإنها تحيتك وتحيه ذريتك. قال: فذهب فقال: السلامُ عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمه الله، قال: فزادوه ورحمه الله، فكل من يدخل الجنه على صوره آدم وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن ١ ه -).

وهذا مما لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا على غيره من الأنبياء ولا على أوصيائهم عليهم السلام، ولعل أبا هريره إنما أخذه عن صديقه كعب الأحبار، فإن مضمون هذا الحديث إنما هو عين الفقره السابعِ والعشرين من الإصحاح الأول من سفر التكوين - العهد القديم - وإليك نصها بعين لفظه قال: (فخلق الله الإنسانَ على صورته، على صوره الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم ١ ه -).

وحديثه فى أنَّ اللَه تعالى يأتى هذه الأمه يوم القيامه فى غير الصوره التى يعرفون فيقول؛ أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا عرفنا فيأتيهم الله فى الصوره التى يعرفون فيقول أنا ربكم! فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه).

فى قصصٍ طويلٍ مظلمٍ باردٍ ذاتِ خيالٍ شَرودٍ آبد يَعرضُ اللَه فى أشكال يتنكر فى بعضها! ويغدو على عباده! ويروح فى ملابسات فيها النكته وفيها الحوار وفيها المخادعه! وفيها الضحك من الله فى غير عجب! على نحو لا يقتصر الاصطدام فيه بالعقائد الإسلاميه والمنطق العقلى فحسب. بل يصطدم على ذلك

باللياقات الملكيه إذا ماشينا – والعياذ بالله – فكره التجسيم حاشا لله وتعالى الله وتقدست أسماؤه.

ومنها حديثه فى أن جهنم لا تمتلئ حتى يضع الله رجله فيها! فى خرافه فيها افتخار النار بالمتكبرين واستكانه الجنه بدخول سقطه الناس إليها.

ومنها: حديثه فى أنّ ربه – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – ينزل كل ليله إلى السماء الدنيا يقول: من يدعونى فأستجيب له –.

ومن شاء فليراجع المسانيد التى جمعت له من هذا (٥٣٧٦) حديثاً واكتفت بجمع (٩) أحاديث لعلى –!!! – راجع كتاب شيخ المضيره لأبى ريّه – وبين أيدى المتأخرين كثير من الروايات الموضوعه على لسان الصحابه والتابعين بعد وفاتهم بأجيال، بل وبلغ الزيغ ببعض الوضاعين أنْ يُلَفِّقَ أسماءً خياليه ليروى على لسانها ما يشاء، وقد تخصص بكَشفها من العلماء المتأخرين فى بحوث قيّمه مستقله فى هذا الجانب، أستاذى وعميدى – عميد كليه أصول الدين فى العراق – السيد مرتضى العسكرى فى كتاب (عبد الله بن سبأ) وكتاب (خمسون ومائه صحابى مختلق).

ومع ذلك فقد أدرك المتأخرون من المفسرين بعض هذه الأمور وعالجوها وخرجوا منها بدراسات تفسيريه ناجحه يُعَوِّلُ عليها كثيراً ويُعتمدُ عليها فى دراسه القرآن الكريم فى بعض جوانبه وليست أغلبها وامتناع كلها على غير أولى الأمر – من المعصومين – لأنهم الثقل الثانى لكتاب الله وهذه الحقيقه يؤكدها قوله تعالى – والذى لا يعلم سرّهُ إلاّ هُم –:... وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى بَلْ لِلّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً١. فهذه الآيه لا يعلم سرها غير

أهل البيت عليهم السلام.

أما فى غير آيات الملاحم وآيات الغيبيات التى أخبر بها النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته عليهم السلام فإن الدراسات اتسعت فيها بحثاً ولم تترك زاويه لها اتصال بالموضوع من قريب أو بعيد إلّا مَحَّصَتْها مستنده إلى الخط الرئيس الذى سارت على هديه مقتربه قدر الإمكان من تفسير القرآن بالقرآن باتخاذ كتب المتقدمين أساساً فى عمليه البناء التفسيريه المقارنه.

أسلوب سعيد فى التفسير

قد يجدنى القارئ لا أتعمق فى التحليل والنقد وأنا أعالجُ أسلوب سعيد فى التفسير فإنى أستميحه عذراً لأنّ مثل هذه الدراسه التحليليه إنما يقوم بها الباحث المتخصص فى علم التفسير، بينما قصرتُ دراستى هنا على كشف الجانب التاريخى من العمليه التفسيريه عند سعيد.

وإذا ما حدثت مقارنه بين أسلوبه وأسلوب غيره؛ فلغرض تمييز طريقه تفسيره عن تفسير معاصريه من الضبط والدقه فى الأخذ من شيوخه أو ممن سبقوه، وهذا التمييز وما يكتنفه من تباين واتفاق ليس غريباً فى تفسير سعيد، خاصه وقد تبين لنا من دراسه علم التفسير فى عصره أنه كان يتضمن علم القراءه وعلم أسباب النزول مع تفسير اللفظ وتفسير المعنى والناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمطلق والمقيد وعلوم أخر.

وقد يكون سعيد أوّلَ من بدأ الفصل بين هذه العلوم إذْ وَرَدَتْ إشارات ذات دلائل تاريخيه تبيّن (أنّ سعيداً سبق ابن مجاهد وألّفَ كتاباً فى القراءات وسماهً

(کتاب الخمسه) ذکر فیه خمسه من القُرّاء...)(۱).

ومعنی ذلک أنّ علمَ سعید بالقراءه لابُدّ وأنْ یکونَ مرتبطاً بشکل بدیهی مع علمه بالتفسیر؛ لأنّه إذا ما ثَبَتَ لدینا وجود قراءات متعدده عن الصحابه - کما ورد عنه من أنه کان یقرأ فی کل لیله بقراءه...(۲) - فإنّ هذا التمکنَ من الجمع بین عده قراءات بهذه القابلیه لابُدّ وأنْ یُعطیَهُ (القدرهَ علی التوسع فی فهم معانی القرآن وأسراره)(۳).

ولا أرید أنْ أسْهِبَ هنا فی بحث القراءه، وإنما أردتُ أنْ أشیر إلی الرابِطَهِ الوثیقه الصله بین هذه العلوم مجتمعهِ؛ وأوْضَحُ مثل علی ذلک ما یلاحظه القارئ لأسلوب سعید بن جبیر فی التفسیر من وشائج متماسکه بین أسباب النزول والتفسیر مما یدفع القارئ للتفاعل مع الزمان والمکان عند نزول القرآن مما یحفزه علی دراسه تاریخ وجغرافیه الحدث لیتوسع فی فهم أسرار الآیه وکأنّ سعیداً یقول له: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها۴.

کما فی هذه الروایه عن السیوری - فی کنز العرفان فی فقه القرآن - فی تفسیر قوله تعالی: یا بَنِی آدَمَ خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُسْرِفِینَ ۵. فسعید یروی: (أنّ العربَ کانوا یطوفون

۱- (۱) البرهان فی علوم القرآن، تألیف: محمد بن عبد الله بدر الدین الزرکشی، تحقیق: محمد أبو الفضل: ج ۱، ص ۳۲۹، ط ۱۳۷۶ ه - ۱۹۵۷ م، القاهره.

۲- (۲) مجمع البیان للطبرسی: ج ۱۰، ص.....

۳- (۳) التفسیر والمفسرون، تألیف: محمد حسین الذهبی: ج ۱، ص ۱۰۲.

بالبيت عراه ويُعلّلون ذلك بأنهم لا يطوفون فى ثياب قد عَصَوْا الله فيها، فطافت امرأه وعلى فرجِها خرقه سير وهى تقول:

اليومَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُلُّهْ فَما بَدا مِنْهُ فَلا أحِلُّهْ

فنزلت [ثم يعلق سعيد]: واتفق المفسرون على أنَّ المرادَ بأخذِ الزّينهِ هُوَ سَتْرُ العوره فى الصلاه)(۱).

وقَد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «هُوَ استحباب لبس أجمل الثياب فى الجُمَعِ والأعياد»(۲).

والقارئُ يلاحظ فى التفسير الثانى أنه لا يتعارض مع التفسير الأول ولكن فيه سعهُ أفقٍ وعمق فى الاستنباط يكشف لنا ما ذكرت سابقاً من أهميه أخذ العلم من مصدره، حيثُ أهلُ البيت أدرى بالذى فيه، ولم ينكر سعيد ذلك بل كان يشهد لهم بذلك، وهو الذى عاصر الإمامَ السجاد علىّ بن الحسين عليهما السلام وصاحبه وكان أبرزَ خمسه فى عصره(۳).

وهذا لا يُقَلِّلَ أو يضعِّفَ من عِلْمِ سعيد وإيمانه؛ فهو كان يأتم بعلى بن الحسين عليه السلام معترفاً بغزاره علمه، وكان الإمام السجاد عليه السلام يثنى عليه، بل ويَروى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «أنّ الحجاجَ ما قتله إلاّ على هذا»(۴).

۱- (۱) كنز العرفان فى فقه القرآن، تأليف: أبو عبد الله السيورى: ج ۱، ص ۷۹، طبع فى النجف الأشرف.

۲- (۲) المصدر السابق.

۳- (۳) سفينه البحار، تأليف: الشيخ عباس القمى: ج ۱، ص ۶۲۱، طبع أوفست.

۴- (۴) سفينه البحار للشيخ عباس القمى: ج ۱، ص ۶۲۱-۶۲۲. منتهى المقال فى أحوال الرجال، تأليف: الشيخ أبو على الحائرى: ص ۱۴۱، ط ۱۳۰۰ ه -، طهران. قاموس الرجال، تأليف: أبو على التسترى: ج ۴، ص ۳۵۴، ط ۱۳۴۰ ه -، طهران.

وهنا تتوضح علاقته بأهلِ البيت عليهم السلام وما هو رأيهم فی سعيد؛ ولكن دراسته الطويله على ابن عباس وباقی شيوخه كان لها أثرٌ متميز فی أسلوبه - إذا ما أخذنا بالمعلومه النقديه التی تقول: إنّ أسلوب الرجل هو الرجل نفسه حيث إنّها منطقيا أعمُّ من قولهم: إنّ أسلوبَ الأديب هو الأديب نفسه -.

هذا وإن سعيداً ما تَمَّ التقاؤه بإمامِ زمانه على بن الحسين عليه السلام إلّا بعد أنْ بلغ سعيد منزله أهّلَتْهُ لأن يُحَدِّثَ فی حضره ابن عباس وأن يقول عنه لأهل الكوفه: (تَسألونی وفيكم سعيد)(۱).

وقد يتفق تفسيره مع غيره وهو الغالب وخاصه مع شيخه ابن عباس ورفيقه مجاهد؛ حيث إنّ أغلبَ الروايات التی وردت عن ابن عباس، كان المفسرون المتأخِّرون يُوَثِّقُونَها بعباره (وقال مجاهد وسعيد مثله) كما فی تأويلَ قوله تعالى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها...۲ ، فيقولون: واختلف العلماءُ فی الأسماء؛ فقال الضّحّاك عن ابن عباس: علّمه الأسماء التی يتعارف بها الناسُ: إنسان، ودابه وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار وأشباه ذلك حتى الغَسْوُهُ والغُسَيَّه [أی النَّبِقهُ].

ثم يردف المفسر ليدعم ما أخذ به من تفسير للآيه بقوله: وقال مجاهد وسعيد ابن جبير مثله)(۲) ، - أنظر آيه ۳۰ و ۳۱ من سوره البقره عند أغلب المفسرين - وإن كان ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام أدق وأكثر حصراً بالمسمى - ومثله ما ورد من روايه من قال: إنّ الذبيح إسماعيل عليه السلام حيث يعرج المفسر

۱- (۱) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۶-۲۵۸.

۲- (۳) الكامل فی التاريخ لابن الأثير: ج ۱، ص ۳۰-۳۱.

فيقول: من روايه سعيد بن جبير ويوسف بن مهران والشعبى ومجاهد وعطاء بن أبى رباح كلهم عن ابن عباس أنه قال: (إنَّ الذّبيح إسماعيل. وقال: زَعَمَتْ اليهود أنَّهُ إسحاق، وكذبت اليهود)(۱).

ومثله ما أخرجه ابن أبى حاتم عن مجاهد وسعيد فى قوله:... أَنْ طَهِّرا بَيْتِىَ...۲ - قائلاً -: (من الأوثانِ والريبِ وقول الزُّورِ والرِّجْسِ)(۲).

وما أخرجه ابنُ أبى شَيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وشريح وأبى المسيب والشعبى ونافع ومحمد بن كعب: الذى بيده عقده النكاح هو الزوج(۳).

من كُلِّ هذه الأمثله نلاحظ أنّ الاتفاق فى التفسير بين سعيد وأقرانه - من التّابعين - هو الغالب وخاصه فى تفسير اللفظ من حيثُ ظاهِرُهُ - هذا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أنّ ظواهر الألفاظ فى المحكمات حُجَّهٌ يستند عليها المعنى السياقى إذا لم يتوفر دليل متواتر يتطابق مع الآيه من حيث المعنى يحصر معناها فى غرض معين أقوى مما يُبيّنه ظاهر اللفظ، وهو ما يسعى كلُّ مفسِّرٍ لتحصيله، وليس المفسر فحسب، بل وجدنا أنَّ النَّحويين قد اعتمدوا المعنى اللغوى ومدى ارتباطه بالمعنى السياقى للآيهِ عند استشهادهم بالآيات؛ وما أخذوه عن سعيد بن جبير فى القراءه والتفسير يكاد يكون من الأسس التى شيّدوا عليها صرح بحوثهم.

۱- (۱) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۱، ص ۱۱۰.

۲- (۳) الدر المنثور للسيوطى: ج ۱، ص ۱۲۱.

۳- (۴) الدر المنثور للسيوطى: ج ۱، ص ۲۹۳.

اعتماد النحويين على سعيد

إن مَنْ يتصفح كتب النحو - على اختلاف مدارسها - يجد أنّ مَنْ جاء بعد المتقدمين من مؤرخى التفسير والمفسرين يَجْمَعُون رأىَ المفسر المتقدم مع رأى النحوى الذى تأخّرَ عنه بعشرات السنين؛ فمثلاً فى تفسير قوله تعالى: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَداً١.

(رُوِىَ أنَّ المُعْتَصِمَ سأل الإمام أبا جَعفَرٍ محمدَ بن على بن موسى عليهم السلام عنها فقال: «هى الأعضاء السبعه التى يُسجَدُ عليها». [ثم يقول المفسر]؛ وبه قال سعيد بن جبير والزّجّاج والفرّاء - والأخيران نحويان -.

ويُؤيّدُهُ قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «أمِرْتُ أنْ أسْجُدَ على سبعهِ آداب»(١) ، - أى: أعضاء -.

فالباحث يَرى تطابق تفسير سعيد مع تفسير النبى صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام من ناحيه ومع ما أخذه عنه النّحويّون واعتمدوه فى دراساتهم لما فيه من إمكان الجمع بين المعنيين - اللغوى والسياقى - للوصول إلى نتيجه واحده يستشهد بها النحوى فى دراسته.

وَتَمَيّزَ أسلوب سعيد فى التفسير بظاهره الاستشهاد بالآيات عند تفسير آيه وربطها بالواقع والحاجه مع الإتيان بالدليل؛ كما فعل مع الحجاج حين طلب منه الإتيان بِحُجَّهٍ يستدلُّ بها أنّ الحسنَ والحسين عليهما السلام هُما أولادُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم حقيقه.

١- (٢) كنز العرفان للسيورى: ج ١، ص ١٠٠.

فقرأ له سعيد:(وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنا وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسى وَ هارُونَ وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيى وَ عِيسى وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحِينَ ١,٢. فاستدلَّ بأنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ عليهما السلام هما أبناءُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم حقيقَه مثلما كان عيسى عليه السلام من أبناءِ إبراهيمِ الخَليلِ عليه السلام بأخذِهِ البُنُوَّةَ عن طريق أمِّهِ.

ومن مُمَيِّزاتِ أسلوبه التفسيرى؛ أنّه إذا أراد أن يفسرَ آيه لا يكتفى بروايتها عن شيوخه بمعناها اللفظى أو اللفظى والسياقى التفسيرى فقط بل نراهُ يسند ما فسره بدليل من الحديث النبوى فيكشف ما غَمُضَ أو التبسَ أو داخَلَهُ الشَّكُّ من الروايه؛ فنراهُ مثلاً فى تفسير قوله تعالى: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى...٣.

يقولُ سعيد: (إنّ ذلك الإخراج كان حقيقياً وأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أخرج وُلْدِ آدَمَ مِنْ أصْلابِ آبائِهِمْ فَقَرَّرَهُمْ بِتَوْحيدِهِ وأشْهَدَ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ (وَأخَذَ) شَهادَتَهُمْ بذلك وإقرارَهُمْ به، ثم يذكر أحاديثَ تسند ما ذهب إليه؛ يُقَوّى بعضها بعضاً)(١).

ولكن سعيداً بأسلوبه الرصين هذا فى صيانه العلم لم يسلم ممن جاء بعده من

١- (۴) الفرائد الغوالى على شواهد الأمالى للسيد المرتضى، تأليف: الشيخ محسن آل الشيخ محمد حسن النجفى: ج ١، ص ١۶٧، ط ١٣٥٥ ه -، النجف الأشرف.

الوَضّاعين من أصحاب الإسرائيليات ممن وجدوا فى ثقه الناس بما ورد عن سعيد لا يَرقى إليها الشك فراحوا ينسجون الروايات الباطله على هواهم ثم ينسبونها إلى سعيد بن جبير كما نسبوها إلى الثقاه من أمثاله – وقد ذكر لنا القرآن آياتٍ كثيره تحذر من ذلك وأشار المؤرخون أن مثل هؤلاء كانوا يُلَفِّقُونَ ويكذبون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم: «كثرت عَلَيَّ الكِذّابه فلتتبوأ مقعدها من النار».

وقد وقف أهل البيت عليهم السلام بالمرصاد يوم بلّغوا المؤمنين بمبدأ خطير أنقذهم من الوقوع فى حبائل هؤلاء الوضاعين الساعين إلى تضليل الأمه بزيغهم.

قال الإمامُ جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لتلامذته: «ما جاءكم عنّا ووافق كتابَ اللهِ فخذوه وما جاءكم عنّا وخالف كتابَ الله فاضربُوا بِهِ عَرْضَ الحائط».

وبذلك قطعوا الطريق على الألسنه الحاقده على الإسلام من أنْ تُشَوِّهَ حقيقته وتُفسِدَ جَوْهَرَهُ مُتَّخِذَةً من أسمائِهم الزّكيهِ الطاهره وسيلةً وسُلّماً لِتَمرير تلفيقاتهم.

ونحن ما دُمْنا بِصَدَدِ تقويم أسلوب سعيد بن جبير فى التفسير؛ فَقد يَسأل سائل: ما هو موقفنا من بعض الروايات التى وردت منسوبه إلى سعيد – والتى حُبِكَتْ بشكل متقن والتى غالباً ما يكون جلّ رجال سَنَدها من الثقاه ومع ذلك يكون متنها مما لا يُركن إليه والباحث فيها يجد نفسهُ عاجزاً عن إيراد الدليل القطعى على طريقه دسها فى كتب التفسير إلّا بما عَلّلْتُهُ سابقاً من سد الثغرات التفسيريه عند الصحابه والتابعين فى صدر الإسلام ممن لم تتوفر لهم السقايه الكامله

من المنبع الأصلی أو أنهم توفرت لهم من أهل الکتاب ممن عایشهم أو دخل الإسلام - لغرض فی نفسه - أمثال کعب الأحبار ومن تتلمذ علیه وغیرهم وما جاءوا به من قصص العهد القدیم والجدید حول أمور تناولها القرآن عِبْرَةً للناس من الجانب التوجیهی بعیداً عن الشرح التاریخی والتفصیلی الذی لا یقدم ولا یؤخر بالنسبه للهدف الرئیس من الآیه أو السوره والتی نَبَّه القرآن إلی أنها ستقع بقوله: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...۱ ، وقال: وَ رُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَیْکَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَیْکَ...۲ ، وقال رادّاً وداحِضاً قصصهم: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَقُصُّ عَلی بَنِی إِسْرائِیلَ أَکْثَرَ الَّذِی هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ ۳ ، لأنّ الله هو أعلم بالغابرین، فقال لِنبیّهِ الکریم صلی الله علیه وآله وسلم: ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْقُری نَقُصُّهُ عَلَیْکَ مِنْها قائِمٌ وَ حَصِیدٌ۴ ، وقال ردّاً علی أباطیلهم المجافیه للحق والمنافیه لمنطق العلم؛ قال تعالی: فَلَنَقُصَّنَّ عَلَیْهِمْ بِعِلْم وَ ما کُنّا غائِبِینَ ۵ ، ولمّا هَرَّجُوا فی أهل الکهف قال سبحانه وتعالی لرسوله صلی الله علیه وآله وسلم: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ...۶ ، وکان سبحانه هو الحکم الفصل فی کل ما ذکره من قصص الأولین وأسقِطَ فی أیدیهم لما نزل قوله تعالی: إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ...۷ ، لمّا تحدّاهم بأن

يباهلوا رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بأهل بيته عليهم السلام ويباهلهم بأنفَسِ ما عِندَهُ وليأتوا بأنفَسِ ما عِندَهم.

ولكن مَن خرس أيامَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صار مقدّماً على أهل الحق ممن جاء بالصدق وصدق به وإذا بالوضاعين قد راجت بضاعتهم بعد إقصاء أهل البيت عليهم السلام من مناصبهم التى نصبهم الله فيها.

كما فى مسير (بَخْتِ نَصْرٍ) إلى (بنى إسرائيل) والتى رُوِيَتْ منسوبه إلى سعيد ابن جبير، حيثُ تقول الروايه: (قد اختَلَفَ العلماءُ فى الوقت الذى أرسِلَ فيه (بخت نصّر) على بنى إسرائيل، فقيل كان فى عهد (إرميا النبى) أو (دانيال) أو (حنانيا) - أو حنينا - أو (عزاريا) أو (ميشائيل) - أو ميليسيائيل - وقيل إنما أرسله الله على بنى إسرائيل لما قتلوا (يحيا بن زكريا)، ثم يقول [الراوى] والأول أكثر.

ويضيف - ناسباً ما يرويه إلى سعيد بن جبير - قائلًا: وكان ابتداءُ أمرِ (بخت نصر) ما ذكره سعيد بن جبير قال: كان رَجُلٌ من بنى إسرائيل يقرأ الكتاب فلما بلغ إلى قوله تعالى:... بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ...١ ، قال: إى رَبِ أرِنِى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى إسرائيل على يده؛ فأرِىَ فى المنامِ مسكيناً يقال له بَخْتُ نصّر ب - (بابل) فسار على سبيل التجارهِ إلى بابل وجعل يدعو المساكين ويسأل عنهم حتى دَلّوه على (بخت نصّر) فأرسل من يحضره فرآه صعلوكاً مريضاً؛ فقام عليه فى مرضه يعالجه حتى بَرَأ فلما بَرَأ - [بَرِئَ] أعطاه نفقه وعزم على السفر فقال له (بخت نصّر) وهو يبكى: فعلتَ معى ما فعلتَ ولا أقدر على مجازاتك! قال: الإسرائيلى: بل تقدر عليهِ؛ تكتب لى كتاباً إنْ مَلَكتَ

أطلقتنى. فقال: أتستهزئُ بى؟ فقال: إنما هذا الأمر لا محاله كائن...)(۱).

ثم يستمر الراوى يسرد كيف ذهب (بخت نصّر) خادماً للكشافين الذين بعثهم الملك للإطلاع على أحوال الشام فنقل ما رأى [بأمانه وفطنه] فعينه الملك قائداً ونجح فى الحمله. ولمّا وقع بنو إسرائيل فى الأسرِ كان منهم صاحبه، فأطلقه للورقه التى أراها إياه يوم كتبها (بَخت نصّر) وهو صعلوك....)(۲).

والقارئ لمثل هذه الروايه الطويله التى أوردتُ مُختصرَها بدأت بإسرائيلى يقرأ القرآنَ قبل نزوله بآلاف السنين، ويطلب من الله أن يُريَه هذا الرجل، وتبدأ أمنيته تتحقق بين أضغاث أحلام وحقيقه حَوَتْ من التناقض الذى لا يصمد للنقاش المنطقى، هذا من حيثُ مَتْنُها، أمّا مِنْ حيث السَّنَدُ؛ فنحن نرى الراوى كيف كان بارعاً فى ذكر بعض الروايات المختلفه المختلقه فى تحديد الزمن الذى بعث اللهُ فيه (بَخت نصّر) وسلطه على بنى إسرائيل، ثم يحاول الراوى تضعيفها واختيار الروايه الصحيحه ثم نسبها إلى مُحدِّث ثقه لتبدو روايته صحيحه ثم راح يسرد على القارئ ذلك التناقض العجيب فى شخصيه الإسرائيلى الذى يظهر فى أول القصه متعالياً (يرسلُ) فى طلب المساكين ليساعدهم، ويعلم بمكان شخصيه (بخت نصّر) ومرضه فيرسل من يحضره - ومن مريض - ثم لا يأبى بعد حين من القيام عليه بنفسه حتى يبرأ، ثم يعزم على السفر ويأنف أن يسألَ (بخت نصّر) عمّا جاء من أجله مُتَجشِّماً كلَّ هذه المتاعب باذلاً الأموالَ من أجل عيون المساكن لأجل عيونِ (بخت نصّر) وبعد كل هذا الكرم لا يسأله منتظراً من (بخت نصّر) أن

۱- (۱) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۱، ص ۲۶۱-۲۶۳.

۲- (۲) المصدر السابق نفسه.

یبادر بردّ الجمیل.

عندها یأخذ منه عهداً خطّیاً - ولعله کان مکتوباً علی لوح من المدر - الطین - النقی وبالخط المسماری!! - ونحن نعلم - أهلَ العراق - أنّ العصر البابلی کان یحصر شرف الکتابهِ بصفوه القوم - و (بخت نصّر) علی ما زَعَمَ الإسرائیلی مُتَعَمِّداً أنه کان صعلوکاً! - وإلاـ بالعهدِ صار (ورقه) - ونحن نعلم أنَّ (الوَرَق) لم یکن قد اختُرِعَ بَعْدُ فی العصر البابلی - بینما تقول الروایه: ویحفظ الإسرائیلی (الورقه) حتی یَتَمَلّکَ (بخت نصّر) ویأتی إلی الشام ویطلق سراحه - ولا ندری هل استیقض الإسرائیلی فی عهد الإسلام - وهو یقرأ القرآن أم نقلته (عربه الزمن) إلی عهد (بخت نصّر) فمکث ما شاء له الخیال العلمی أنْ یُحَلِّقَ فیه!!!

کلُّ هذا وغیره لاـ یمکن تعلیله إلاّـ علی ضوء ما أشَرْتُ من أنّه من خیال الوضّاعین ممّن کانت عندهم مَلَکَه التخیّل تدعمها أساطیر العهدین وما أضاف إلیه (کعب الأحبار) و (تمیم الداری) ومن رَوَّجَ روایاتهم بعد عهد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کقول أبی هریره عن کعب الأحبار فی روایه تحاجّ النار علی الجنه، «... فأمّا النار فلا تمتلئ حتی یضع الله تبارک وتعالی (رِجْلَهُ) فتقول قط قط، فهنالک تمتلئ ویزوی بعضها إلی بعض»(۱).

ولا ندری کیف نشخِّصُ اللهَ جل وعلا ونحن نقرأ فی محکم کتابه أنه لَیْسَ

۱- (۱) صحیح البخاری، تفسیر سوره ۳: ج ۳، ص ۱۲۷؛ صحیح مسلم: ج ۲، ص ۴۸۲، باب النار یدخلها الجبارون والجنه یدخلها الضعفاء، أخرجه فی خمسه طرق عن أبی هریره، وأخرجه أحمد فی مسنده: ج ۲، ص ۳۱۴، من حدیث أبی هریره؛ أضواء علی السنه المحمدیه: ص ۲۳۲، ط ۲، نقله عن البخاری.

كَمِثْلِهِ شَیْ ءٌ، وهل يحتاج من أرادَ أمراً أنْ يَقولَ لَهُ كن فيكون أو يَضعُ شيئاً يسمّيه (المُشَخِّصُ للذات الإلهيه) رِجلاً من ذاته فی النار لتمتلئ؟ ما هذا البهتان؟

ومِن هذا الزيف الإسرائيلی تجد الكثير ولم يتكلف من أعجِبَ به أو طلبَ به دنياً أوْ طعناً فی الإسلام إلّا أنْ ينسَبه إلی علمٍ ثقه من أعلام التفسير من أمثال سعيد وأقرانه ممن لا تتفق هذه التلفيقات مع تقواهم وصلاحهم.

ولم يتوقف الوَضّاعُون عند هذا النوع من الدس الأسطوری بل تعدّوه إلی أنواع أخَرَ، حيث وضعوا شروحاً وتفسيرات غايه فی الغرابه ومجانبه الحقيقه وفيها من الغرض الشخصی والقول بالرأی وعدم التبصّر والتأكّد مما يدفع الدّارس المتأخر من الباحثين المتخصّصين أن يضرب بها عرض الحائط لِتَضاربها مع منطق العقل ومخالفتها واقع القرآن إذا ما قورنَت وقوبلت مع التفسيرات الأخری التی وصلت إلينا بأسانيد متواتره لا يطالها الشك ولا تتعارض مع النصّ القرآنی ولا مع واقع العمران والعرف الاجتماعی.

ومن هذه الأمثله التی لا تستند علی حقيقه تاريخيه أوْ رياضيه، ما نُسِبَ إلی سعيد بن جبير عن ابن عباس فی القول فی زمن الخليقه وتحديده بسبعه آلاف سنه(۱) ، فنحن لم يثبت لدينا فيما ورد عن أهل بيت النبوه - وهم الذين توارثوا تراث رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وعلمه - تحديداً لزمن الخليقه بهذا الشكل الجازم، هذا من ناحيه الدليل الروائی؛ أمّا لو أخضعنا الروايه لواقع العمران من الناحيه العلميه وبما ثبت من تقدير أعمار بعض المتحجرات البشريه - وحدها دون باقی المتحجرات - بعشرات الآلاف من السنين حتی أنّ بعضها فاق

۱- (۱) الكامل فی التاريخ لابن الأثير: ج ۱، ص ۱۳.

الخمسین ملیون سنه - لظهر لنا ما فی هذه الروایه من وضع، ومن البدیهی أنّ القرآن لم یحدد تاریخ الخلیقه بالسنوات فلا تؤاخذ إذن إلاّ الروایه.

وهناک روایه أخری لا تقل غرابه عن سابقتها نُسبت أیضاً إلی سعید بن جبیر فی تفسیر قوله تعالی: هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ یَأْتِیَهُمُ اللّهُ فِی ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ...۱ ؛ من أن الماء کان علی متن الریح حین خُلِقَ العرش(۱).

ومثل هذا التصور لعرش الله وتحدید خلقه یتناقض مع التفسیر العلمی الذی یفسر القرآن بالقرآن، فلو ناسَبْنا بین قوله تعالی اَلرَّحْمنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوی ۳ ، وقوله تعالی: لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْ ءٌ۴ ، یمکننا أن نستخلص المعنی السیاقی من استواء الرحمن سبحانه وتعالی؛ إنما هیمنته وسیطرته وقدرته الجباره التی لا یحدّها زمان أو مکان وأنّه سبحانه وتعالی وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ - وهو علمه - وأنّه لیس شیئاً یجلس علی الغمام حسب مفهوم الروایه المنسوبه إلی هذا العبد الصالح الذی لابد وأن یکون قد قرأ مثل هذه الآیات التی بها وبأمثالها یستعین المفسرون علی حل بعض المتشابه من آیات الکتاب المبین.

فکیف یفوت علی سعید ذلک! وهو الذی استنبط فوائد لغویه لا یستغنی عنها المختصون من علماء اللغه ممن تعمّقوا فیها لیتوصلوا إلی فهم بعض أسرار اللغه القرآنیه التی قال تعالی فیها: وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ

۱- (۲) الکامل فی التاریخ لابن الأثیر: ج ۱، ص ۱۷.

مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ...۱ ، و قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً۲.

فمما حفظه لنا سعید من فوائد لغویه قوله (إنما سُمِّیَ الجبل الذی کان علیه موسی طور سیناء لأنّه جبل کان علیه شجر الزیتون، وکل جبل یکون علیه ما یُنتَفَعُ به من النبات والأشجار سُمِّیَ طور سیناء أو طور سینین، وما لم یکن علیه ما ینتفع به من النبات أو الأشجار من الجبال سُمِّیَ (طور) ولا یقال له (طور سیناء) أو (طور سنین)(۱).

ونموذج آخر ما ورد فی تفسیر قوله تعالی: وَ لَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصّالِحُونَ ۴. التی فیها أقوال منها قول سعید بن جبیر (من أنّ الزبور کتب الأنبیاء، ومعناه کتبنا فی الکتب التی أنزلناها علی الأنبیاء من بعد کتابته فی الذکر أی أم الکتاب الذی فی السماء وهو اللوح المحفوظ - وهو الذی اختاره الزجاج وقال: لأن الزبور والکتاب بمعنی واحد، وَزَبَرْتُ أی کتبت)(۲).

کان سعید فی تفسیره أبعد مدی وأوسع شمولاً وتوضیحاً لمعنی الآیه التی یروی تفسیرها أو یفسرها بنفسه.

فمثلاً کان ینقل تفسیر ابن عباس لسوره (إِنّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ) فقال أبو بِشْر

۱- (۳) بحار الأنوار للعلامه المجلسی: ج ۱۳، ص ۶۵، ط سنه ۱۳۷۶ ه -، طهران.

۲- (۵) مجمع البیان للطبرسی: ج ۷-۸، ص ۶۶.

- أحد رواته - لسعيد: إنّ أناساً يزعمون أنه نهر فى الجنه؛ فقال سعيد: النهر الذى فى الجنه من الخير الذى أعطاهُ اللّٰه إياه)(۱).

والمتتبع لأسلوب سعيد وهو يفسر هذه الآيه يجدُ أنّه من أوائل التابعين الذين وظّفوا علم الاستدلال الذى تطور ونما بعد قرون كعلم أساسى تستنبط به كثير من القواعد الفقهيه وتُحَلُّ به كثير من المشكلات الخلافيه التى ظلّت تستغل لتفرقه المسلمين.

فحصر العام بالخاص والجمع بين الآراء التفسيريه كان بدايه تحول كبير له أثره وآثاره فى علم التفسير.

واتصف أسلوب سعيد بالبساطه والواقعيه والأخذ بالمعنى السياقى للنص القرآنى بالاستناد إلى لغه العرب التى نزل بها القرآن بعيداً عن الآراء الفلسفيه والاجتهاديه التى أدخلت فى التفسير بعد عهد التابعين.

فمثلاً- لما سُئِلَ سعيد عن تفسير قوله تعالى:... فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً۲ ، قال: (هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب، ومثله قال قتاده)(۲).

وفى تفسيره لقوله تعالى:... وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ * وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ أَدْبارَ السُّجُودِ۴.

قال سعيد: (المراد حين تقومَ من مجلسك؛ بأن يقول المرء: سبحانك اللهمَ

۱- (۱) صحيح البخارى، تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: ج ۴، ص ۹۶، ط ۱۳۵۱ ه - ۱۹۳۲ م، القاهره.
۲- (۳) مجمع البيان للطبرسى: ج ۷-۸، ص ۱۶۷.

وبحمدك، لا إله إلاّ أنت، اغفرْ لیَ کلَّ ذنبٍ وتُبْ عَلَیَّ)(۱).

وفی تفسیره لقوله تعالی:... وَ أَقامَ الصَّلاهَ...، یعنی وأتم الصلاه المکتوبه... وَ آتَی الزَّکاهَ...، یعنی الزکاه المفروضه)(۲).

وفی تفسیره لقوله تعالی:... وَ آتَی الْمالَ عَلی حُبِّهِ...، قال: یعنی أعط المال علی حبه أی حب المال)(۳).

وهو تفسیر مع أنه یتصف بالبساطه وعدم مجانبه المنطق فهو قد حصر المعنی بهذه الحقیقه مستنبطاً إیاه من آیه أخری وَ تُحِبُّونَ الْمالَ حُبًّا جَمًّا۴.

استنباطه

وأخیراً وما دُمنا بصدد إنهاء البحث فی أسلوب سعید بن جبیر ومیزاته، فلابُدّ لنا من الإشاره إلی ما أخذه سعید من تفسیر تواتر عن أهل البیت علیهم السلام فی تفسیر لبعض الآیات التی خصّهم الله بها وحسدهم علیها أعداؤهم وکانت لهؤلاء مواقف منها؛ ولکن سعیداً أخذ بها.

قال سعید فی تفسیر قوله تعالی: اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ...۵ ، بأنّه عنی بالنور محمداً صلی الله وآله وسلم وأضافَهُ إلی نفسه تشریفاً له فیکون المعنی مثل (محمدٌ رسول الله)(۴).

۱- (۱) کنز العرفان للسیروی: ج ۱، ص ۶۲.

۲- (۲) الدر المنثور للسیوطی: ج ۱، ص ۱۷۱.

۳- (۳) المصدر السابق نفسه.

۴- (۶) مجمع البیان للطبرسی: ج ۷-۸، ص ۱۴۲-۱۴۳.

فما هی المؤاخذاتُ التی تؤاخذُ بها مثل هذه الروایه؟

وقیل إنّها نسبت إلی سعید وأنها لا تخلو من تکلف فی استنباط حقیقه معناها وقالوا هو تحمیل للفظ معنی علی غیره ظاهره.

ونحن نقول إنّه إنما استنبط المعنی من الآیه التی بعدها... مَثَلُ نُورِهِ کَمِشْکاهٍ...، - وهو ما ورد عن أهل البیت علیهم السلام - ولیس فی الأمر تحمیل للفظ علی غیر معناه.

فالقرآن الذی تحدی العربَ أن یأتوا بسوره من مثله وهم ملوک البلاغه والبیان؛ واللهُ سبحانه وتعالی قد شرف محمداً صلی الله علیه وآله وسلم بالنبوه والتبلیغ بالقرآن ونعته بالنور وقَرَنَ به القرآن فی قوله تعالی: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما یَنْبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِکْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِینٌ ۱ ، والذکرُ من معانی النور، ومحمد صلی الله علیه وآله وسلم رسولٌ قد خلت من قبله الرسل انفرد عنهم بنص القرآن أنه (ذکرٌ نورٌ مُنزَلٌ) من السماءِ یتلو القرآن.

فهو نور جاء بالنورِ لیُخْرِجَ الذین آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلی النور:... یا أُولِی الْأَلْبابِ الَّذِینَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ إِلَیْکُمْ ذِکْراً (۱۰) رَسُولاً یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیاتِ اللّهِ مُبَیِّناتٍ لِیُخْرِجَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ...۲.

وهل مِثلُ نور محمدٍ صلی الله علیه وآله وسلم نورٌ یهدی إلی النور؟ وهو الذی ما مرّت سوره إلّا وفیها حدیث موجه من الله تعالی إلیه صلی الله علیه وآله

وسلم فيه ثناء وإرشاد أو تشريع أو تبشير أو تحذير أو عبره أو تدبّر!

بقى أن نتساءل؛ هل لو فسرنا الآيه على ظاهرها يصغر من شأن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: لا، وما قصده سعيد بن جبير إنما اعتمده مما استنبطه من باقى آيه النور وهو ما أوحى به اللهُ للعقل البشرى المبدع بالتشبيه بالاستعاره الى الله سبحانه وتعالى حين قال:... مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ...، فنقل المتلقى إلى بيت النبوه ليهيِّئَ مداركه لتقبل الآيه كبنيان علمى لا يتجزأ إلى يوم القيامه ويبقى ضياؤه بنور الصراط المستقيم إلى الله فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ * رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاهِ وَ إِيتاءِ الزَّكاهِ...١ ، وهؤلاء الرجال ليسوا كباقى البشر ممن يردون المساجد العامه فى أوقات محدوده لتأديه خمس صلوات معلومه ثم يعودون يتلهّون بالبيع والتجاره.

هؤلاء الرّجال عبادٌ مُكرَمُونَ مخلَصُون لا يعصون اللهَ ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبيوتهم هى التى أذن اللهُ أنْ تُرفَعَ وأمر أنْ تُجبى لهم أموال الخمس ليرفدوا بها المسكينَ واليتيم والأسير يَشفعونَ عطاءَهم بقوله تعالى: إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً * إِنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً٢ ، نعم... يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ٣.

هذا هو المعنى الباطن الذى استنبطه سعيد بن جبير من آيه النور وهو من المعانى العلميه الأصوليه التى تبين الشأن الجليل لمعنى الإمامه إلى يوم القيامه.

حديث «أنا مدينه العلم وعلىٌ بابها»

فاللهُ نور السماواتِ والأرض أى عِلمُ السماوات والأرض وما محمدٌ وأهلُ بيته عليهم السلام إلّا أدلاء لأهل الأرض على هذا النور الذى أشار وصىُّ خاتم الأنبياء إلى ما وصلَ إليه من فضله بقوله المشهور عنه: «عَلّمنى رسُول اللهِ ألفَ باب من العلم ينفتح لى من كل بابٍ ألفُ باب»، وهو وحده القائل: «سَلونى قبل أن تفقدونى»، ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فيه وحده قال: «أنا مدينهُ العِلم وعلىٌ بابُها»، وهذا ما ثبّته المئاتُ من المؤرخين والمفسرين وفى العشرات من المصادر يُروى: «أنا مدينه العِلم وعلىٌ بابها ومن أرادَ العلم فليأت الباب»، ومن شاء التَثَبُّت فليراجع:

١. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، لأبى جعفر الطبرى محمد بن جرير بن يزيد (٢٢٤-٣١٠ ه -).

٢. مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابورى (ت ٤٠٥ ه -): ١٢٦/٣، و ١٢٨، و ٢٢٦.

٣. صحيح الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٨٩ ه -).

٤. جمع الجوامع والجامع الصغير لجلال الدين السيوطى (ت ٩١١ ه -): ج ١، ص ٣٧٤.

٥. المعجم الكبير والأوسط لسليمان بن أحمد الطبرانى (ت ٣٦٠ ه -).

٦. بحر الأسانيد للحافظ أبى محمد السمرقندى (ت ٤٩١ ه -).

۷. معرفه الصحابه للحافظ أبی نعیم (ت ۴۳۰ ه -).

۸. الاستیعاب للحافظ ابن عبد البر القرطبی (ت ۴۶۳ ه -): ج ۲، ص ۴۶۱.

۹. المناقب لابن المغازلی (ت ۴۸۳ ه -).

۱۰. فردوس الأخبار للحافظ الدیلمی (ت ۵۰۹ ه -).

۱۱. مقتل الحسین علیه السلام للخطیب الخوارزمی (ت ۵۶۸ ه -): ج ۱، ص ۴۳.

۱۲. المناقب للخطیب الخوارزمی (ت ۵۶۸ ه -).

۱۳. تاریخ مدینه دمشق لابن عساکر الدمشقی (ت ۵۷۱ ه -).

۱۴. کتاب ألف باء لأبی الحجاج الأندلسی (ت ۶۰۵ ه -): ج ۱، ص ۲۲۲.

۱۵. أُسد الغابه لابن الأثیر الجزری (ت ۶۳۰ ه -): ج ۴، ص ۲۲.

۱۶. الریاض النضره لمحب الدین الطبری (ت ۶۹۴ ه -): د ۱، ص ۱۲۹.

۱۷. تذکره الحفّاظ لشمس الدین الذهبی (ت ۷۴۸ ه -): د ۴، ص ۲۸.

۱۸. فیض القدیر لمحمد بن علی الشوکانی (ت ۱۲۵۵ ه -): ج ۳، ص ۴۷.

۱۹. مجمع الزوائد للهیثمی (ت ۸۰۷ ه -): ج ۹، ص ۱۱۴.

۲۰. حیاه الحیوان للدمیری (ت ۸۰۸ ه -): ج ۱، ص ۵۵.

۲۱. أسنی المطالب لشمس الدین محمد بن محمد الجزری (ت ۸۳۳): ص ۱۴.

۲۲. تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی (ت ۸۵۲ ه -): ج ۷، ص ۳۳۷.

۲۳. عمده القاری لبدر الدین العینی الحنفی (ت ۸۵۵ ه -): ج ۷، ص ۶۳۱.

۲۴. کنز العمال للمتقی الهندی (ت ۹۷۵ ه -): ج ۶، ص ۱۵۶.

۲۵. فیض القدیر للمناوی (ت ۱۰۳۱ ه –): ج ۳، ص ۴۶.

۲۶. السراج المنیر للعزیزی (ت ۱۰۷۰ ه –): ج ۲، ص ۶۳.

۲۷. سبل الهدی والرشاد فی أسماء خیر العباد لمحمد بن یوسف الشامی (ت ۹۴۲ ه –).

۲۸. نقد الصحیح للفیروز آبادی (ت ۸۱۷ ه –).

۲۹. المسند والمناقب لأحمد بن حنبل (ت ۲۴۱ ه –).

۳۰. مطالب السؤول لمحمد بن طلحه الشافعی (ت ۶۵۲ ه –).

۳۱. فرائد السمطین لإبراهیم بن محمد الحموینی (ت ۷۲۲ ه –).

۳۲. هدایه السعداء لشهاب الدین الدولت آبادی (ت ۸۴۹ ه –).

۳۳. جواهر العقدین للسمهودی (ت ۹۱۱ ه –).

۳۴. إبطال الباطل للقاضی فضل بن روز بهان.

۳۵. الفصول المهمه لنور الدین بن الصباغ (ت ۸۵۵ ه –).

۳۶. الصواعق المحرقه لابن حجر المکی (ت ۹۷۴ ه –).

۳۷. الأربعین لجمال الدین الشیرازی (ت ۱۰۰۰ ه –).

۳۸. المرقاه فی شرح المشکاه لعلی القاری الهروی (ت ۱۰۱۴ ه –)، وقد تناول آیه النور بالتفصیل وأخذ بروایه سعید.

۳۹. إسعاف الراغبین لمحمد بن علی الصبّان (ت ۱۲۰۵ ه –): ص ۱۶۵.

۴۰. الفوائد المجموعه للقاضی الشوکانی (ت ۱۲۵۰ ه –).

۴۱. تفسیر روح المعانی لشهاب الدین الآلوسی (ت ۱۲۷۰ ه –).

۴۲. إحیاء علوم الدین لمحمد الغزالی (ت ۵۰۵ ه -).

۴۳. موده القربی للهمدانی الشافعی.

۴۴. زین الفتی فی شرح سوره هل أتی لأحمد بن محمد العاصمی.

۴۵. المقاصد الحسنه لشمس الدین محمد السخاوی (ت ۹۰۲ ه -).

۴۶. ینابیع الموده للقندوزی (ت ۱۲۹۳ ه -): باب ۱۴.

۴۷. تذکره خواص الأمه لسبط ابن الجوزی.

۴۸. نزهه الأرواح لصدر الدین الفوزی الهروی.

۴۹. شرح الدیوان لکمال الدین المیبدی.

۵۰. تاریخ بغداد لأبی بکر الخطیب البغدادی (ت ۴۶۳ ه -): ج ۲، ص ۳۷۷؛ وج ۴، ص ۳۴۸؛ وج ۷، ص ۱۷۳.

۵۱. کفایه الطالب لمحمد بن یوسف الکنجی (ت ۶۵۸ ه -): الباب الثامن والخمسون، بعد نقله للروایات قال:

فقد قال العلماء من الصحابه [وحبرهم وشیخهم - کما مرَّ بنا تلمیذ علی؛ عبد الله بن عباس] والتابعین [وشیخهم سعید بن جبیر تلمیذ ابن عباس] وأهل بیته علیهم السلام [وقد عاصر سعید إمام زمانه علی بن الحسین زین العابدین علیه السلام، وأخذ عنه وکان یأتم به] والکل قالوا بتفضیل علی علیه السلام وزیاده علمه وغزارته وحِدَّه فهمه ووفور حکمته وحُسْنِ قضایاهُ وصحهِ فتواه، وقد کان أبو بکر وعمر وعثمان وغیرهم... من علماء الصّحابه یُشاورونه فی الأحکام ویأخذون بقوله فی النقض والإبرام اعترافاً منهم بعلمه ووفور فضله

ورجاحهِ عقله وصحه حكمه، وليس هذا الحديث: «أنا مدينه العلم وعليٌ بابها» فی حقه بكثير، لأن رتبته عند الله وعند رسوله صلی الله عليه وآله وسلم وعند المؤمنين أجل وأسمی من ذلك.

وقد نقل ابن أبی الحديد المعتزلی فی شرح نهج البلاغه (ولما قال محفن بن أبی محفن لمعاويه: جئتك من عند أعيا الناس - وقَصَدَ علياً عليه السلام قال له: وَيْحَكَ! كيف يكون أعيا الناس! فو اللهِ ما سَنَّ الفصاحه لقريش غيره)(۱).

ونقل أيضاً وكما جاء أيضاً فی الصواعق المحرقه لابن حجر المكی (ت ۹۷۴ ه -) - وهو غير ابن حجر العسقلانی (ت ۸۵۲ ه -) قال: (وأخرج أحمد بن حنبل؛ أنّ رجلاً سأل معاويه عن مسأله، فقال اسأل عنها علياً فهو أعلم.

فقال يا أمير! جوابك فيها أحبّ إلیّ من جواب علی.

قال: بئسما قلت، لقد كَرِهْتَ رجلاً كان رسول الله صلی الله عليه - وآله - وسلم يغرّه بالعلم غراً، ولقد قال له: «أنت منی بمنزله هارون من موسی إلاّ أنّه لا نبی بعدی»)(۲).

روی العلامه نور الدين المالكی فی كتابه الفصول المهمه، والعلامه الكنجی الشافعی فی كتابه كفايه الطالب، عن حذيفه بن اليمان أنه لقی عمر بن الخطاب فقال له عمر: (كيف أصبحت يا بنَ اليمان؟ فقال: كيف تريدنی أصْبِحُ؟! أصبحتُ واللهِ أكره الحق، وأحِبُّ الفِتنهَ، وأشهد بما لم أرَهُ، وأحفظ غير المخلوق، وأصلی علی غير وضوء، ولی فی الأرض ما ليس لله فی السماء، فغضب عمر

۱- (۱) شرح نهج البلاغه لابن أبی الحديد المعتزلی: من المقدمه ص ۲۴-۲۵، طبع دار إحياء الكتب العربيه.
۲- (۲) الصواعق المحرقه لابن حجر المكی: ص ۱۰۷، طبع المطبعه الميمنيه بمصر.

لقوله وانصرف من فوره وقد أعجله أمر وعزم على أذى حُذَيفه لقوله ذلک.

فَبَيْنا هو فی الطريق إذ مَرَّ بعلی بن أبی طالب، فرأی الغضبَ فی وجهه، فقال: «ما أغضبک يا عمر؟!».

فقال عمر: لَقِيْتُ حذيفه بن اليمان فسألته کيف أصبحتَ؟ فقال: أصبحتُ أکرهُ الحق، فقال عليه السلام: «صَدَقَ؛ يکرهُ الموت وهو حق».

فقال: يقول: وأحِبُّ الفِتْنَهَ، قال عليه السلام: «صَدَقَ، يُحِبُّ المالَ والولد، وقال تعالی: أَنَّما أَمْوالُکُمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَهٌ...۱».

فقال: يا علی، ويقول: واشهد بما لم أرَهُ، فقال عليه السلام: «صَدَقَ، يشهد بالوحدانيه والموت والبعث والقيامه والجنه والنار والصراط ولم يَرَ ذلک کله».

فقال يا علی: وقد قال: إننی أحفظ غير المخلوق؛ قال عليه السلام: «صدق، يحفظ کتابَ اللهِ تعالی؛ القرآن وهو غير مخلوق».

قال: ويقول: وأصلّی علی غير وضوء، فقال عليه السلام: «صَدَقَ، يُصَلّی علی ابن عمی رسولِ اللهِ صلی الله عليه وآله وسلم علی غير وضوء، وهی جائزه».

فقال: يا أبا الحسن قد قال أکبر من ذلک، فقال عليه السلام: «وما هو؟».

قال: قال: إنّ لی فی الأرض ما ليس لله فی السماء، قال عليه السلام: «صَدَقَ، لَهُ زوجه، وتعالی الله عن الزوجه والولد».

فقال عمر: کاد يهلک ابن الخطاب لولا علی بن أبی طالب)(۱).

۱- (۲) الفصول المهمه لنور الدين المالکی: ص ۱۸، القسم الثالث من الفصل الأول.

ثم قال العلامه الكنجى: (هذا ثابت عند أهل النقل ذَكَرَهُ غير واحد من أهل السير)(۱).

أخبار سعيد عن ابن عباس

وقد روى سعيد أخباراً كثيره عن شيخه ابن عباس عن شيخه وإمامه على ابن أبى طالب عليه السلام، لاسيما المسائل التى كان يطرحها علماء اليهود والنصارى، فكانت معضلات علميه ومشكلات كلاميه لم يتمكن أحدٌ من الصحابه من ردّها أو الإجابه عليها بالصواب إلاّ سيد الوصيين وأمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليه السلام ورواها عنه تلميذه ابن عباس كما رواها عنه شيخ التابعين تلميذه البار سعيد بن جبير رغم أنف بنى أميه - الذين كانوا فى سعى محموم لطمس هذا النور المحمدى الذى حفظه أهل البيت عليهم السلام، وإذا كان سعيد قد اختصه ابن عباس بعلمه فابن عباس هو القائل: (ما أخذت من تفسير القرآن فعن على بن أبى طالب)(۲).

وقد وصفت زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عائشه علياً عليه السلام بقولها: (أما إنه أعلمُ الناس بالسّنّه)(۳).

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد ثَبَتَ بالقرآن مرجعيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمر بالرجوع إليه بقوله تعالى:... فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِى شَىْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرَّسُولِ...۴ ، وأمر أيضاً بالرجوع إلى على عليه السلام من بعده بقوله تعالى:

۱- (۱) كفايه الطالب للكنجى الشافعى: الباب السابع والخمسون.

۲- (۲) تفسير القرطبى: ج ۱، ص ۲۷.

۳- (۳) ذخائر العقبى: ص ۷۸.

... وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...۱ ، مسنوده بقوله تعالى: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ ۲ ، ومثبته بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينه العلم وعلى بابها...»، وإذا كان ابن عباس قد دخل المدينه من بابها فإن سعيداً قد أحسن الأخذ عن هذا الشيخ الذى قال يوماً يصف علمه من علم على عليه السلام: «إن علمى من علم على كقطره من بحر...».

كما روى ابن المغازلى فى المناقب، ومحمد بن طلحه العدوى فى مطالب السؤال، وشيخ الإسلام الحموينى فى فرائد السمطين، والعلامه القندوزى الحنفى فى ينابيع المودّه، الباب الرابع عشر، فى غزاره علمه عليه السلام روى عن الكلبى عن عبد الله بن عباس قال: (عِلْمُ النبى من عِلْمِ الله، وعِلْمُ على من عِلْمِ النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلمى من عِلْمِ على عليه السلام، وما علمى وعِلْمُ الصحابه فى عِلْمِ على إلّا كقطره بحرٍ فى سبعه أبحر)(۱).

وقال ابن أبى الحديد فى مقدمه شرح نهج البلاغه: (ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه أخِذَ ومنه فُرِّعَ، وإذا رجعتَ إلى كتب التفسير عَلِمْتَ صِحّه ذلك لأنّ أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقَد عَلِمَ الناسُ حال ابن عباس فى ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه، وقيل له: أين عِلْمُكَ من عِلْمِ ابن عمك؟ فقال: كَنِسْبَهِ قَطرهٍ من المطر إلى البحر المحيط)(۲).

۱- (۳) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشى ج ۳۱ ص ۴۴۵.

۲- (۴) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ج ۱ ص ۱۹.

وبعد هذا يتكشف لنا مقدار علم سعيد تلميذ ابن عباس وسر رصانه أسلوبه فی علم التفسير!

فالقرآن لا يمس باطنه إلّا المطهرون وهـذا هو التأويل الذی أخذه سـعيد عن ابن عباس وأخذه ابن عباس عن علی بن أبی طالب عليه السـلام وأخذه علی عليه السـلام عن رسول الله صـلی الله عليه وآله وسـلم وقول علی عليه السلام: «سلونی قبل أن تفقدونی، سلونی عن طرق السماوات فإنی أعلم بها من طرق الأرض»(۱).

أو ما جاء بصيغه أخری: «سلونی عمّا شئتم، ولا تسألونی عن شیء إلّا أنبأتكم به».

وكما نقل القندوزی الحنفی فی كتابه ينابيع الموده، عن موفق بن أحمد الخوارزمی والحموينی بإسنادهما عن أبی سعيد البحتری قال: (رأيت علياً رضـی الله عنه علی منبر الكوفه وعليه مدرعه رسول الله صـلی الله عليه - وآله - وسـلم وهو متقلد بسـيفه ومتعمم بعمـامته صـلی الله عليه - وآله - وسـلم فجلس علی المنبر فكشف عن بطنه وقال: «سـلونی قبل أن تفقـدونی، فإنّ ما بين الجوانحِ مِنّی علم جَمٌّ، هذا سَـفَطُ العلم، هذا لعاب رسول الله صلی الله عليه - وآله - وسلم، هذا ما زقّنی رسولُ الله زقاً زقّاً، فو اللهِ لو ثُنِيَتْ لی الوسـادهُ فجلست عليهـا لأفتيت أهـل التوراه بتوراتهم وأهـل الإنجيل بإنجيلهم حتی يُنَطِقَ اللهُ التوراه والإنجيل فيقولان صـدق علیٌ قد أفتاكم بما أُنْزِلَ فِیَّ وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون»)(۲).

۱- (۱) مطالب السؤول فی مناقب آل الرسول لمحمد بن طلحه الشافعی ص ۹۲.

۲- (۲) سنن أبی داود: ص ۳۵۶؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ۱، ص ۲۷۸؛ صحيح البخاری: ج ۱، ص ۴۶، وج ۱۰، ص ۲۴۱؛ ينابيع الموده للقندوزی: الباب الرابع عشر.

يتبيّن لنا معنى النور المحمدى الذى أول سعيد بن جبير قوله تعالى: اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ...١.

وما ذكرناه يجسد لنا هول الجريمه التى اقترفها الحجاج بحق سعيد؛ تلميذُ تلميذِ على عليه السلام.

ونحن نسأل من يتشبث بظواهر الألفاظ؛ هل فى تفسيرنا الآيه بهذا التأويل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه من الغموض ما يجعله تجنياً على القرآن؟ وقد فاضت آياته بما ورد من الله سبحانه وتعالى وهو يُضيفه صلى الله عليه وآله وسلم جلّ وعلا تشريفاً له، ولمن كان يتمسك بظاهر لفظ الآيه نقول: الظاهر من سياق اللفظ أنها بدأت بلفظ الجلاله ثم أخبر عنه بأنه نور السماوات والأرض وما هذا الخبر إلاّ صفه واحده تبين أن هذا النور هو علم السماواتِ والأرضِ وعطف عليه بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فَمَثَّلَ لأهلِ الأرض ب - (مَثَلُ نوره...) لِتَلُمَّ مَدارِكُ البشر بعلم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى اصطفاه الله العزيز الحَكيم بعلم الغيب بقوله تعالى بحقه صلى الله عليه وآله وسلم: عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَ أَحْصى كُلَّ شَيْ ءٍ عَدَداً٢.

وقوله تعالى فيه صلى الله عليه وآله وسلم: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى ٣ ، لم تكن الآيات تعنى القرآنَ وحدَه بل تشمل الحديثَ

القدسی والعِلْمَ اللّدُنی والعلمَ بالعالم الأعلی وإلاّ کیف أخبرَ علیاً عن المغیبات والحوادث التی تقع فی المستقبل البعید والقریب مثل إخباره علیه السلام عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ما سیقع من حوادث مثل مَقتَل میثم التمار وإخباره أنّ قاتله عبید الله بن زیاد وهو یصلبه علی جذوع النخل، وأخبر عن مقتل جویریه وَرُشَیْد الهَجَری وعمرو بن الحمق الخزاعی علی ید عمال معاویه وأعوانه وأخبر عن کیفیه قتلهم واستشهادهم، ولقد أخبر عن مقتلِ ولدِهِ الحسین علیه السلام واستشهاده مع أهلِ بیتهِ وأنصاره فی أرض کربلاء، وهذه الأخبار مذکوره فی تأریخ الطبری، وشرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید، وتاریخ الخلفاء للسیوطی، ومقتل الحسین ومناقب الخوارزمی وغیرهم، وإخباره أن ابن ملجم قاتله کما جاء فی أسدِ الغابه لابن الأثیر ولما قیل له: ألا تقتله؟ فقال: فمن یقتلنی؟(۱). وقوله علیه السلام فی معرکه النهروان فی مقتل ذی الثَّدْیَهِ یؤکد ما ذهبنا إلیه(۲).

وقد ذکر ابنُ أبی الحدید فی شرح النهج قائلاً: (والأخبار علی قسمین: أحدهما الأخبارُ المجمله، ولا إعجاز فیها: نحو أن یقولَ الرجل لأصحابه: إنکم سَتُنْصَرونَ علی هذه الفئه التی تلقونها غداً: فإن نُصِرَ جعل ذلک حُجَّهً له عند أصحابه وسمّاها معجزهً، وإن لم یُنصرْ، قال لهم: تَغَیَّرَتْ نیّاتکم وشککتم فی قولی، فمنعکم اللهُ نَصرَهُ، ونحو ذلک من القول، ولأنه جرت العاده أن الملوکَ والرؤساءَ یعدون أصحابهم بالظفر والنصر ویُمَنّونَهم الدّوَلَ، فلا یدلّ وقوع ما یقع من ذلک علی إخبارٍ عن غیب یتضمنُ إعجازاً.

۱- (۱) أسد الغابه لابن الأثیر: ج ۴، ص ۲۵.

۲- (۲) شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید المعتزلی: ج ۲، ص ۲۶۵، طبع دار إحیاء الکتب العربیه تحت عنوان: أخبار الخوارج.

والقسم الثانی: فی الأخبار المفصله عن الغیوب کالإخبار عن الخوارج حیث قال: وفی الصحاح المتفق علیها أنّ رسولَ الله صلی الله علیه وآله وسلم بینا هوَ یقْسِمُ قِسْماً جاء رجلٌ من بنی تمیم یُدعی ذا الخویصره، فقال: إعدِلْ یا محمد! فقال صلی الله علیه وآله وسلم: «قَد عَدَلتُ»، فقال له ثانیه: إعْدِلْ یا محمد! فإنک لم تَعْدِلْ، فقال صلی الله علیه وآله وسلک: «ویلک! ومن یعدل إذا لم أعدلْ...»، ثم أخبر صلی الله علیه وآله وسلم وقال: «سیخرج من ضِئضِئِ هذا قوم یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیه...»، وبعدما وصفهم قال صلی الله علیه وآله وسلم: «آیتُهُمْ رجلٌ أسود مُخَدَّجُ الیدِ، إحدی یدیه کأنها ثدی امرأه»(۱).

وقال ابن أبی الحدید أیضاً: (وروی العوام بن حوشب عن أبیه، عن جدّه یزید بن رُوَیم، قال: قال علی علیه السلام: «یُقْتَلُ الیوم أربعه آلاف من الخوارج، أحدهم ذو الثدیه». فلما طَحَنَ القَوْمَ ورامَ استخراج ذی الثدیه فاتبعته، أمرنی أن أقطع له أربعه آلاف قصبه، ورکبَ بغلهَ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقال: «اطرح علی کل قتیل منهم قصبه»، فلم أزل کذلک وأنا بین یدیه، وهو راکب خلفی والناسُ یتبعونه حتی بَقِیَتْ فی یدی واحده فنظرتُ إلیه وإذا وجهُهُ أرْبَدَ، وإذا هو یَقول: «والله ما کَذِبْتُ ولا کُذِّبْتُ»، فإذا خریر ماء عند موضع دالیه، فقال: «فتِش هذا»، ففتّشته، فإذا قتیل قد صار فی الماء، وإذا رِجْلُهُ فی یَدِی فَجَذَبْتُها وقلتُ: هذه رِجْلُ إنسان؛ فنزل عن البلغه مسرعاً، فجذبَ الرِّجْلَ الأخری وجَرَرْناه حتی صار علی التراب فإذا هو المخدَّج (ذو الثّدیه) فکبر علی علیه السلام بأعلی صوته، ثم سجد، فکبر الناس کلهم)(۲).

۱- (۱) المصدر السابق نفسه.

۲- (۲) شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید المعتزلی: ج ۲، ص ۲۷۷.

ويقول ابن أبى الحديد: (مثل هذا الخبر، فإنه لا يحتمل التلبيس، لتقييده بالعدد المعين فى أصحابه وفى الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه، من غير زياده ولا نقصان، وذلك أمر إلهى عرفه من جهه رسول الله صلى الله عليه وآله، وعرفه رسول الله صلى الله عليه آله من جهه الله سبحانه. والقوه البشريه تقصر عن إدراك مثل هذا...)(١).

أسرار القرآن الكريم

نستدل بما ذكرناه أنَّ كثيراً من أسرار القرآن ظلت فى صدور أهل البيت عليهم السلام وما وصلنا عن طريق أصحابهم إلاّ النزر اليسير؛ وما اختصَّ اللهُ سبحانه رسولَه صلى الله عليه وآله وسلم وأهلَ بيته عليهم السلام بقى أمراً محيراً لعقول أصحابهم قبل أعدائهم ويعترف جميع المفسرين أن هناك آياتٍ يعجز العقل العادى عن توظيفها واستثمار إعجازها مع أن الروايات قد تواترت عندنا أنَّ (المطهرين عليهم السلام) قد مسّوها وكشفوا سرها الإعجازى مثل قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى...٢.

وقد روى جلال الدين السيوطى فى تاريخ الخلفاء، وبدر الدين الحنفى فى عمده القارئ ومحب الدين الطبرى فى الرياض النظره، والسيوطى أيضاً فى تفسير الإتقان، وابن حجر العسقلانى فى فتح البارى، وفى تهذيب التهذيب، رووا أنّ علياً عليه السلام قال: «سلونى! واللهِ لا تسألونى عن شىء يكون إلى يوم القيامه إلاّ أخبرتكم، وسلونى عن كتاب اللهِ فو الله ما مِنْ آيهٍ إلاّ وأنا أعلم أبلَيْل نزلت أم

١- (١) المصدر السابق نفسه.

بنهار، فی سهلٍ أم فی جبلٍ»(۱).

وقد أکد ابن عباس هذا وعلم تلمیذه سعیداً من هذا البحر الذی عَبَّ من خِضَمِّهِ وهو القائل لأهل الکوفه (تسألونی وفیکم ابن أمّ دَهمَاءَ)، یعنی سعیداً.

فسعید لم یبالغ فی تأویل (نور الله) بمحمد صلی الله علیه وآله وسلم إذا ما أخذنا بعین الاعتبار ما ورد فی معجزته الکبری - القرآن الکریم - وکیف أن القرآن نزل ثلثه فی محمد وأهل بیته علیهم السلام! وأن اللَه سبحانه وتعالی یضیفه إلی نفسه تشریفاً له؛ فإن کان سعید یقصد بآیه النور لفظها فإنها بدأت بلفظ الجلاله ثم نعته ب - (نور السماوات) وعطف علیه ب - (مثله أی (مثل نورهِ) وهذا منتهی الحب من اللهِ لخاتم أنبیائه، وإن الله سبحانه وتعالی وإنْ ذکر اسم نبیه فی مواقع کثیره بأسمائه المتعدده إلاـ أنه لمّا أرادَ لَهُ الدرجه الرفیعه والوسیله والفضیله علی الأنبیاء کُلِّهِمْ ختم به النبوه تشریفاً له بها ولم یذکرها إلّا مَرَةً واحده تنزیهاً له فقال جل جلاله ما کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ وَ لکِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِیِّینَ...۲ ، وهذا التشریف بهذه الإضافه کما یبدو أعمق معنیً من تأویل الآیه بغیر معناها النورانی العلمی الذی لا یستبعد أن یکون من المعانی العلمیه التی أشار إلیها سبحانه وتعالی فی قوله: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُیِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ کُلِّمَ بِهِ الْمَوْتی....۳.

۱- (۱) تاریخ الخلفاء للسیوطی: ص ۱۲۴؛ الریاض النظره لمحب الدین الطبری: ج ۲، ص ۱۹۸؛ تفسیر الإتقان للسیوطی: ج ۲، ص ۳۱۹؛ فتح الباری لابن حجر العسقلانی: ج ۸، ص ۴۸۵؛ تهذیب التهذیب: ج ۷، ص ۳۳۸.

وغمض ما فيها على المفسرين المتقدمين لما فيها من دقه الله فى صدر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل علياً وأولاده الأئمه المعصومين باباً إليه وهو ما لَمَّحَ على عليه السلام إلى خَطَر مقداره بقوله عليه السلام: «... أنا النقطه تحت الباء»، وإليكَ ما ذكره ابن طلحه الشافعى.

نقل العلامه القندوزى الحنفى فى كتاب ينابيع المودّه عن كتاب الدرّ المنظم لابن طلحه الشافعى قال: (إعلمْ أن جميع أسرار الكتب السماويه فى القرآن وجميع ما فى القرآن فى الفاتحه وجميع ما فى الفاتحه فى البسمله وجميع ما فى البسمله فى باء البسمله وجميع ما فى باء البسمله فى النقطه التى تحت الباء، وقال الإمام على كرم الله وجهه «أنا النقطه التى تحت الباء».

وأخرج العلامه القندوزى أيضاً، عن ابن عباس أنه قال: أخذ بيدى الإمام على ليله مقمره فخرج بى إلى البقيع بعد العشاء وقال: «اقرأ يا عبد الله»، فقرأتُ: بسم الله الرحمن الرحيم، فتكلم لى فى أسرار الباء إلى بزوغ الفجر)(۱).

وإن بعض ما أدركه الإنسان الحديث الآن إنما طرقه القرآن لتذكير الإنسان بعظمه الخالق بالتفكر بكيفيه مخلوقاته كالمغناطيس والكهرباء والطاقه وتحولاتها، وإن ظل هذا الإنسان عاجزاً عن تعليل سر الحركه الإلكترونيه واختلاف سرعاتها التى يتحدد بها نوع الماده وشكلها وليس فى قولى هذا كثير تكلف حين نتذكر قوله تعالى: بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ ۲.

وكيف عجز المفسرون الأولون عن إعطاء التفسير الصحيح الذى يكشف السر الحقيقى والعلمى لمعنى (تسويه البنان) وأين تكمن المعجزه فى ذلك؟! وَلِمَ

۱- (۱) ينابيع الموده للقندوزى: الباب الرابع عشر.

اختار الخلاق العزيز الحكيم هذا الجزء الصغير من هذا العضو الصغير من الإنسان ليقررَه على الاعتراف ببديع صنع الله ولم يضرب له مثلاً بما هو أعقد منه؛ حتى جاء العلماء المتأخرون بعد عشرات الأجيال بعد عهد الصحابه والتابعين وتابعى التابعين ليكشفوا السر الإلهى لهذه الأخاديد الدائريه الشكل التى تظهر فى بَنان الإنسان من ظهوره طفلاً على وجه الأرض وتبقى معه إلى أن تصبح عظامه رميماً فى جوف الأرض.

فتبين لهم أنّ البشرَ مهما بلغ عددهم، لكل منهم شفره فيها سر يميزها عن الآخرين من جنس البشر لها ميزه خاصه بصاحب البنان من حيث دقه رسمها لا تتشابه مع رسم بنان أى إنسان آخر؛ بل ولا تتشابه مع رسم باقى بنان الإنسان أى وجدوا أنّ كل (بنانةٍ) لها شفرتها الخاصه بها.

بقى علينا أنْ نعلل كيفيه قبول التفسير الأول للآيه المحكمه والذى ذكر فى البدايه عند بحثها من أنه على الباحث أن يتحقق من وجود الروايات المتواتره الصحيحه من حيث متنها وسندها، ثم يدرس النص على ضوئها.

فهذه المسأله لابد ستكون بالغه التعقيد على الباحث المتأخر لأنها تتطلب إتباع أمور لا تخلوا هى الأخرى من تشعّبات قد تجره إلى أن يفرد كتاباً مستقلاً بذاته فى تفسير آيه واحده ليلمّ ما أمكنه بالتفسير الصحيح لها كما فعل (الحسين بن مرتضى الطباطبائى فى تفسير سوره النور وحدها إذْ كلفته جهداً مضنياً حتى حققها ب - (۴۰۰) صفحه ليصلَ إلى المعنى الذى ورد عن سعيد صحيح متواتر عن السلف.

وقد لا يتقبل بعض القراء هذا التعليل أو ذاك الخبر؛ وذلك لأنه يخالف معتقداته وقناعاته التى تَعَوَّدَ على قياس المستجدات أيّاً كانت عليها؛ فنقول: إن

البحوث القرآنيه ليست بحوثاً مختبريه، فللبحوث القرآنيه قواعد وضوابط تفرض على الباحث المتخصص اتباعها والسير على هديها متدرجاً فى بحثه بموجب متطلباتها ليتوصل إلى اكتشاف الحقيقه التى يبتغيها؛ ووسائل البحوث القرآنيه غير وسائل البحوث المختبريه.

فقوله تعالى: يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُماتٍ ثَلاثٍ...١ ، لا يتطلب من المسلم لله أن يخضع الآيه للبحث المختبرى ليصدق أو لا يصدق بما أنزل اللهُ على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلمه وإيمانه بأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى؛ لكن المتشكك وغير المصدق بأن القرآنِ وحىٌ من الله سبحانه وتعالى ما عليه إلاّ أن يُخضِعَ الجنين وهو فى بطن أمه إلى عمليه تشريحيه لكى يتأكد من صحه الآيه وهى تصور الخلق الإنسانى فى المرحله الجنينيه قبل الولاده.

كما أنّ قوله تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَهً فِى قَرارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَهَ مُضْغَهً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَهَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ ٢ ، لم يكن الهدف منه المسلم الذى عاصر نزولَ القرآن إلاّ بالقدر البلاغى الذى يصور به اللهُ عظمه الهيمنه الربانيه على عمليه الوجود الإنسانى ما بين الخلق من الطين ماءً مهيناً يتحول إلى علقه فى مستودع الرحم ثم يخلق من هذه العلقه مضغه وتتحول المضغه بعمليه خلق جديده إلى عظام ثم تكسى العظام باللحم ثم يُنشأ من هذه العظام المكسوه باللحم ثم يُنشأ من هذه العظام المكسوه

باللحم خلقاً آخر مصوراً فى أحسن تقويم.

لِيُحَفِّزَ القوم على التفكر بهذا التصوير التفصيلى الرصين الذى لا يمكن لبشر فى زمان نزول القرآن أن يتخيّله أوْ حتى أن يتصوّر مراحله فى الرحم، ليقرّ وهو مرغم أنّ هذا القرآن ليس من تأليف البشر!

أما التحدى الإعجازى العلمى المكنون فى هذه الآيه فهو يبقى مستوراً قروناً طويله ليظهَرَ سِرُّهُ فى عصر يتطور فيه الإدراك البشرى وتتطور إمكانياتُ الإنسان العلميه ووسائله ومخترعاته حداً يبعث فى نفسه الزهو والإعجاز والغرور بما هو فيه يجعله لا يؤمن إلاّ بما تثبت صحته مختبرياً! فهو حين يقرأ:... فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً...، يُخْضِعُ هذا المخلوق إلى المراقبه المختبريه لحظه بلحظه يصوره ويوثق صور تحوله ليقول كما قال العالم الكندى: (صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم) وأسلم لأنه كان يعمل سنوات طويله كى يصل إلى هذه الحقيقه التى كان يظن أنها سبق علمى وإذا به يكتشف أن القرآن أشار إليها قبل هذا بأربعه عشر قرناً فتبارك الله أحسن الخالقين، والحمد لله على وحيه المعجز المبين وسلام على رسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله معدن العلم وخزنه وحيه المبين وورثه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين، ويبقى القرآن لا يمسه إلى المطهرون عليهم السلام وليس هذا من باب المغالاه بحب أهل البيت عليهم السلام.

اختلاف البحث القرآنى من حيث الأسلوب بين القدماء والمتأخرين

وأقول عوداً على بدء؛ وقد لا يتقبل القارئ المتأخر عن عصر السلف الصالح هذا التعليل وقد نوهنا أن البحث القرآنى فى علم التفسير يختلف عن غيره من حيث الأسلوب ولكى يبلغ المفسر مرامه عليه أن يدرس المعنى اللفظى فى زمان

نزول الآیه لیتأکد من معانی مفرداتها عند نزولها لئلا یکون بعضها قد تغیر معناه أو انتقل استعماله إلی معنی آخر نتیجه لتطور اللغه التی – هی بدورها تتطور کالکائن الحی، کما علی الباحث فی علم التفسیر أن یدرس أسباب النزول منه ثم یعقد مقارنات متعدده لآراء المفسرین – هذا إذا ما تحقق من النص والسند وصحتهما... إلی غیر هذه الأمور.

ومع کل ذلک نقول: هل علی الباحث المتأخر عن زمن الصحابه والتابعین وتابعی التابعین أن یبحث ویکد ویکدح ویسهر اللیالی الطوال لکی یصل إلی الرأی المقنع فی تعلیل الآیه التی یعالجها لیستنبط معناها الحقیقی؟

والجواب علی هذا التساؤل هو: کلاّ؛ فلیس کل آیات القرآن متشابهات ولا کلها تتطلب البحث والتقصی العمیق، فهناک إشارات توضح طریقه الدراسه للمُتخصص کما أنّ هناک کتباً أفردت لذلک، کما أن هناک توجیهات وردت فی القرآن الکریم نفسه تشیر إلی أن فهم المعنی اللفظی للآیه المتشابهه یکفی القراء غیر المتخصصین مع توصیه لهم بالتدبّر لأنّه وشیجه متینه من وشائج العلم التی هی أیضاً من فروض العباده کما أمر الله سبحانه وتعالی: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها۱ ، فهو إنما أنزل بلغتهم وقد قال تعالی: أَ فَلَمْ یَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ یَأْتِ آباءَهُمُ الْأَوَّلِینَ ۲ ، وأن المطلوب من القارئ أن یرفع من شأنه علمیاً فقال تعالی: کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ مُبارَکٌ لِیَدَّبَّرُوا آیاتِهِ وَ لِیَتَذَکَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ ۳ ، ما دام

(طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِیضَهٌ عَلَی کُلِّ مُسْلِمٍ)(۱) ، کما أمر رسول الله

۱- (۴) الکافی للشیخ الکلینی ج ۱ ص ۳۰ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث علیه، الحدیث رقم ۱.

صلی الله علیه وآله وسلم وقوله لعلی بن أبی طالب علیه السلام: «لان یهدی الله علی یدیک رجلاً خیر لک مما طلعت علیه الشمس وغربت ولک ولاؤه یا علی»(۱) ، وما القرآن إلا هدیً ورحمه!

وأما المعنی التأویلی والباطن وحتی السیاقی فیترک للراسخین فی العلم کما یقول تعالی: مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنّا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما یَذَّکَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ ۲.

إذن ما الذی یَدعو الباحثین المتأخرین إلی عدم الرکون إلی بعض التأویلات التی تنسب إلی سعید أوْ إلی ابن عباس أوْ إلی غیرهم من تفسیر بعض الآیات؟

والجواب هو أنه إذا ترکنا البحث فی أسرار المتشابهات إلی المختصین والراسخین فی العلم؛ فهل نترک البحث فی أسرار ومعانی المحکمات، ونتقبل کل ما یرد إلینا عن الأقدمین ونسلم له وإن تضارب مع واقع القرآن وجانب المعنی اللفظی وظاهر القرآن؟!!

والردّ علی هذا التساؤل قطعاً بالنفی؛ وهنا قد یردّ أحد ویقول: وما العلّه فی ذلک بعد أن بینتَ الطریق إلی هذا وذاک بنفسک!

فأجیب: إن عدم اقتناعی ورکونی إلی تفسیر بعض ما نسب إلی سعید من تفسیر بعض الآیات؛ إنما صادر عن نظرتی إلی الجانب التاریخی من المسأله.

۱- (۱) الکافی للکلینی ج ۵ ص ۲۸.

فمن یدرس تساؤلات سعید التی کان یطرحها علی ابن عباس - والتی حَفِظتها لنا بعض کتب التاریخ والتفسیر، - یجد أن هذا المفسر الجلیل القدر الذی أوتی موهبه الإدراک الحسی والتی تدفعه إلی البحث عن علل الشرائع والأحکام لکی یقتنع بأن بعضها توقیفی یشترط فی صحته الإتیان به علی شکل معین فی زمن معین فی موضوع معین ولا یُتَقَبلُ إلاّ بالصوره التی نزل بها التشریع؛ والبعض الآخر تُرِکَ للمسلم کیفیه ووقت تأدیته.

ومثل هذا المفسر المتفحص لا یمکن أن تصدر عنه بعض التأویلات التی تتعارض والمنطق القرآنی وهو سعید بن جبیر الذی ما کان یسمح لنفسه أنْ تفوته فرصه سانحه لزیادهٍ من علم ما دامت مواتیه لأن یستغلها فی کشف غموض أبسط العلل فی الشرایع طالما وَجِدَ الثقه الذی امتادَ من بحار الراسخین فی العلم علیهم السلام ومَن غَیْرُ ابن عباس التلمیذ الذی یُعجبه إلاّ أن یدخل مدینه (العلم صلی الله علی صاحبها وعلی بابه علی علیه السلام) لیجد عنده الإجابه المرضیه لتساؤله؛ فمثلاً نراه یسأل ابن عباس عن السبب الذی جعلهم یبدأون بالصّفا قبل المروه؟

فیجیبه ابن عباس: (لأنّ الله قال: إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَهَ مِنْ شَعائِرِ اللّهِ...۱ ، فیستنتج منه قاعده مهمه فی علم استنباط الأحکام الشرعیه من حیث التقدیم والتأخیر لحکم شرعی علی حکم شرعی آخر مستنداً إلی القرآن فی استدلاله.

ومما یُرَسِّخُ من یقینی أکثر فأکثر أنْ یکون بعض الروایات الموضوعه إنما ألصقت بسعید ولم تصدر عنه؛ لأن من یطّلع علی کتب التفسیر والتأریخ التی مما ورد فی کتب العهدین من قصص تحدثت عن موضوعات عالجها القرآن وحدد معالمها الصحیحه وترک الجانب الذی لا یخدم غرض الهدایه الذی من أجله وُجِدَ

القصص القرآنی، أو أحکام تشریعیه وَرَدَتْ فی کتب العهدین نَسَخَها القرآن الکریم أو نقضها أو کشف ما داخَلَها من تحریف.

وللاستدلال علی ما ذهبت إلیه من حذر سعید تجاه کتب العهدین، أذکر مناقشه سعید للمسأله نفسها لِیطّلعَ القارئ علی الأسلوب التفسیری عند سعید بن جبیر.

یقول: (قلت لابن عباس إنّ نوفاً(۱) [لوقا] یزعمُ أنّ الخِضْرَ لیس بصاحب موسی بن عمران؟! قال: کذب عدو الله، حدثنی أبیُّ بن کعب عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: «إنّ موسی قام فی بنی إسرائیل خطیباً، فقیل له: أیّ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله علیه حین لم یردّ العلم إلیه، فقال: یا ربّ هل هناک أعلم منّی؟ قال: بلی، عبدٌ لی بمجمع البحرین. قال یا ربّ کیف لی به؟ قال: تأخذ حوتاً فتجعله فی مِکْتَل - شِبْهُ الزِّنبیل یَسَعُ خَمسهَ عَشَرَ صاعاً -، فحیث تَفْقِدُهُ فهو هناک؛ فأخذ حوتاً فجعله فی مِکْتَلٍ ثم قال لفتاه: إذا فقدتَ هذا الحوت فأخبرنی، فانطَلقا یمشیان علی ساحل البحر حتی أتیا الصخره»(۲) ، إلی آخر تفسیر القصه المعروفه.

فالقارئ لتفسیر سعید لقصه موسی علیه السلام وفتاه والخضر یجد انسجاماً وتسلسلاً فی التفسیر، ویشعر أن التفسیر إنما یصدر عن نفس راضیه غیر متشککه، بینما یلاحظ فی أول الروایه أنّ سعیداً قد اطلع علی تفسیر أو نَقْلٍ مُحَرَّفٍ من الإسرائیلیات لقصه موسی وفتاه والخضر ذکره أهل الکتاب فلم یقتنع به سعید فجاء یَسأل شیخه عن الجواب لیحسم الأمر فی تلک المزاعم الإسرائیلیه التی دسها

۱- (۱) لعله أحد أهل الکتاب ممن عاصر سعید وابن عباس ممن کانوا یجادلون المسلمین فی الدین، أو هو لوقا - صاحب إنجیل لوقا - ویکون سعید قد اطلع علی ما یقول بحق الخضر.
۲- (۲) الکامل فی التاریخ لابن الأثیر: ج ۱، ص ۱۶۰-۱۶۱.

كعب الأحبار وتميم الدارى ومن لفّ لفهم وأخذ عنهم مما أدخلوه على قصه موسى غير ما ورد فى القرآن الكريم.

نماذج من تفسير سعيد بن جبير

وأختم باب التفسير عند سعيد بذكر بعض النماذج المختاره من كتب التفسير والتاريخ والأمالى والسير، أقدّمها بين يدى القارئ ليحكم بنفسه على أسلوب سعيد فى التفسير منها:

(ما روى عن سعيد بن جبير فى تفسير قوله تعالى: يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ...١ ، قال سعيد: إذا عُمِلَ فى أرض بالمعاصى فاخرجوا)(١).

وَفَسَّرَ قوله تعالى:(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ...٣ ، قال سعيد: اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى)(٢).

* وَفَسَّرَ قولَهُ تعالى:(... وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا٥ ، تتابع بعضها على بعض)(٣).

* وَفَسّر قولَهُ تعالى:(... أُولِي الْأَيْدِي وَ الْأَبْصارِ٧ ، قال: الأيدى

١- (٢) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ٢٨۴.

٢- (۴) حليه الأولياء: ج ۴، ص ٢٨۴.

٣- (۶) حليه الأولياء: ج ۴، ص ٢٨۴.

القوّه فی العمل، والبصر فیما هم فیه من أمر دینهم)(۱).

* وفی قوله تعالی: وَ الَّذِینَ یُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَهٌ...۲ ، قال سعید: أی یُعطون ما یُعطون وقلوبهم وجِلَهٌ یخافونَ ما بین أیدیهم من الموقف والحساب)(۲).

* وفی قوله تعالی:... وَ نَکْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ...۴ ، قال: (ما سَنُّوا)(۳).

* وفی قوله تعالی: وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ ۶ ، قال: (وما هُوَ باللعب)(۴).

* وفسّرَ قولَهُ تعالی:... رَؤُفٌ بِالْعِبادِ...۸ ، قال: (یرأفُ بکم)(۵).

* وفی تفسیر بعض الأحکام التوقیفیه التی فرضها الشارع وحدّد تنفیذها بالشکل المعین؛ فسر رمیَ الجمرات، فقال: (إنّما الحصی قُربان فما یقبل منه رُفِعَ وما لم یُقبل منه فهو الذی یبقی)(۶).

* وفسّر قولَهُ تعالی: لِلْفُقَراءِ الَّذِینَ أُحْصِرُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ...۱۱ ،

۱- (۱) حلیه الأولیاء: ج ۴، ص ۲۸۴.

۲- (۳) حلیه الأولیاء: ج ۴، ص ۲۸۴.

۳- (۵) حلیه الأولیاء: ج ۴، ص ۲۸۴.

۴- (۷) حلیه الأولیاء: ج ۴، ص ۲۸۴.

۵- (۹) الدر المنثور لأبی بکر السیوطی: ج ۱، ص ۱۴۶.

۶- (۱۰) الدر المنثور للسیوطی: ج ۱، ص ۲۳۵.

قال: (قومٌ أصابتهم الجِراحاتُ فی سبیل اللهِ فصاروا زُمنی فجعل لهم فی أموالِ المسلمینَ حقاً)(۱).

* وفی تفسیر قوله تعالی: فَإِذا قُضِیَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِی الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ وَ اذْکُرُوا اللّهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ ۲ ، قالوا: (الابتغاء من فَضْل الله هو طلب الرزق. وقال سعید: إنّ المراد طلب العلم)(۲).

وهذا التفسیر إنما استنبَطه سعید من الآیه بعدها: وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَیْها وَ تَرَکُوکَ قائِماً قُلْ ما عِنْدَ اللّهِ خَیْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَهِ وَ اللّهُ خَیْرُ الرّازِقِینَ ۴ ، ویسند رأی سعید ویعزز صوابه ما روی فی سلسله سند أخری عن أنس بن مالک عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: «لیس هو بطلب دنیا ولکن عیاده مریض أو حضور جنازه أو زیاره أخ فی الله)(۳).

وفضل اللهِ لا یُعَدُ ولا یُحصی لأن النعمه - وهی بعض من فضل اللهِ لا تُعَدُّ ولا تُحصی لقوله تعالی:... وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَهَ اللّهِ لا تُحْصُوها...۶ ، فکیف إذا کانت الرحمه بعض من نعمه الله ویقول تعالی فی وصف سعتها أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَهِ رَبِّکَ الْعَزِیزِ الْوَهّابِ ۷ ، وکیف إذا کان (فضل اللهِ) فی سوره الجمعه هو عِلْمُ رسولِ الله صلی الله علیه وآله وسلم الذی منه ما أشارت

۱- (۱) الدر المنثور للسیوطی: ج ۱، ص ۳۵۸.

۲- (۳) کنز العرفان للسیوری: ج ۱، ص ۱۴۰؛ مجمع البیان للطبرسی: ج ۹-۱۰، ص ۲۸۸.

۳- (۵) کنز العرفان للسیوری: ج ۱۰، ص ۱۴۰؛ مجمع البیان للطبرسی: ج ۹-۱۰، ص ۲۸۸.

إليه الآـيه: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ ۱ ، فهم فی ضَـلالٍ مبین بدون فضل علم رسول اللهِ صـلی الله علیه وآله وسـلم ولیس الصحابه وحدهم ولا من عاصر النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم بـل العالمون جَمیعاً إلی یوم القیامه لـذا ألحقها تعالی بقوله: وَ آخَرِینَ مِنْهُمْ لَمّا یَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ ۲ ، عنـدها بین تعالی أن هذه العلوم الأربعه:... یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ...۳ ، ذلِکَ فَضْلُ اللّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ ۴ ، وما هذه العلوم الأربعه إلا ما تحتاجه خُطبه الجمعه ولیس کل علمِ رسولِ الله صلی الله علیه وآله وسـلم، حیث إن هناک أموراً غیبیه اختص اللهُ سـبحانه وتعالی رسولَهُ صـلی الله علیه وآله وسـلم بها حیث قال فی ذلـک الاختصـاص: عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَـداً * إِلاّ مَنِ ارْتَضـی مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْـلُکُ مِنْ بَیْنِ یَـدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَیْهِمْ وَ أَحْصی کُلَّ شَیْ ءٍ عَدَداً۵.

وهـذا مـا یؤکـده مـا مَرَّ بنـا مـن قـول رسـولِ الله صـلی الله علیه وآله وسـلم: «أنـا مـدینه العلم وعلیٌ بابهـا فمن أراد العِلمَ فالیَـأتِ الباب»(۱).

۱- (۶) مناقب علی بن ابی طالب لابن المغازلی ص ۸۸.

ويؤكده قول أمير المؤمنين عليه السلام: «علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، كل باب منها يفتح ألف باب»(۱) ، وبالتأكيد فإن العلومَ الأربعه التى أشارت إليها سوره الجمعه ليست علوم رسول اللهِ كلها وإنما هى كما بيّنا بعض الفضل من (فضل الله) الذى هو أحد صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العلميه كما كان هو وأهل بيته (رحمه للعالمين) يردّ الناسُ إليها ما يجىء إليهم من أمور الدنيا؛ لئلا يقعوا فى الضلال إن هم أذاعوا به - أى ردّوه إلى عامه الناس طلباً للجواب الصحيح لأنهم لا يجدونه إلّا عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأولى الأمر - أى أمير المؤمنين عليه السلام من بعده هو وأولاده من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الخلفاء بعدى اثنا عشر...»(۲).

وهؤلاء هم المعنيون بقوله تعالى: وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلّا قَلِيلًا۳ ، لأنّ الذكرَ إذا كان هو العلم فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام هم مَعْدِنُ العلم.

ومن الأمثله التفسيريه التى يستشهد فيها سعيد بالآيات والأحاديث ما رواه عن ابن عباس أنه سأله رجل فقال يا بْنَ عم رسول الله، أخبرنى عن أبى طالب: هل كان مسلماً؟ فقال: وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل:

أَلَمْ تعلموا أنّ ابننا لا مُكَذَّبٌ لدينا ولا يَعْبَأ بقولِ الأباطِل

۱- (۱) شرح الأخبار للقاضى النعمان المغربى ج ۲ ص ۳۰۸.

۲- (۲) الأمالى للشيخ الصدوق ص ۳۸۷.

ثم قال: إنّ أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف، أسَرُّوا الإيمانَ وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرّتين)(۱).

وعندما يريد تجسيد المعنى التفسيرى يلجأ إلى تفسير القرآن بالقرآن فيربط الآيه التى يروم تفسيرها بآيه تُناسب المقام، كما فى قوله فى خلق آدم؛ يقول: لمّا نَفَخَ اللهُ تعالى فى آدم الروح لم يبلغ رجليه حساً حتى استجاع فأهوى إلى عنقود من عنب الجنه فأكل منه؛ ثم قرأ سعيد خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ)۲.

وَلَمْ يفسر قوله تعالى:... مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَهِ...۳ ، بيوم عاشوراء كما يفترى عليه (بحشل)(۲) لأن جميع المفسرين اتفقوا على أنّ يوم الزينه هو عيد مشهور عند الفراعنه كما يذكر زميله (مجاهد)(۳).

وفسر قوله تعالى: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى...۶ ، قال: يعملون بالذَنب ويقولون سَيُغْفَرُ لنا... وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ...، قال: الذنب(۴).

وأذكر للقارئ نموذجاً آخر عن كيفيه تفسير القرآن بالقرآن وما يستعمله سعيد فى الجمع بين الآيات لإعطاء صوره مفصله عما وَرَدَ فى الآيه، ففى تصويره

۱- (۱) إيمان أبى طالب عليه السلام لفخار بن معد الحائرى: ص ۳۲۰.

۲- (۴) بحشل، أسلم بن سهل الرزاز؛ تاريخ واسط، تحقيق: سركيس عواد: ص ۸۶، طبعه بغداد لسنه ۱۹۶۷.

۳- (۵) مجمع البيان للطبرسى: ج ۷، ص ۱۷.

۴- (۷) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۸۱.

لعذاب أهل النار، يقول: (إذا جاع أهل النار، استغاثوا بشجره الزقوم فأكلوا منها، فاستلخت جلودهم ووجوههم، ولو أنّ مارّاً يَمُرُّ بهم يعرفهم لعرف جلودهم ووجوههم فيها. ثُمَّ يُصَبُّ عليهم العطش، فيستغيثون فَيُغاثوا بماء كالمهل، - وهو الذى انتهى حَرُّهُ؛ فإذا أدنوه من أفواههم اشتوت من حرّه وجوهُهم التى سقطت عنها الجلود ويُصهر ما فى بطونهم، يمشون وأمعاؤهم تتساقط وجلودهم، ثم يُضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور)(۱).

ومن غريب ما روى عنه من تفسير لقوله تعالى:... عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ...۲ ، قال: (ظواهِرُها من نورٍ جامد)(۲).

وتفسيره لقوله تعالى:... وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سالِمُونَ ۴ ، قال: (الصلاةُ فى الجماعه)(۳).

وفى تفسيره لقوله تعالى:... وَ قَرَّبْناهُ نَجِيًّا۶ ، قال: (أرْدَفَهُ جبريل حتى سمع صرير القلم والتوراهُ تُكْتَبُ له)(۴).

وقد ترد عن سعيد قراءه بشكل معين فيفسرها بموجب المعنى الذى تميل إليه

۱- (۱) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۸۲.
۲- (۳) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۸۲.
۳- (۵) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۸۲.
۴- (۷) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۸۶.

القراءه، فمثلاً فی قوله تعالی: إِنَّ السّاعَهَ آتِیَهٌ أَکادُ أُخْفِیها...۱ ، یقرأها: (أَخفیها) بالفتح ویفسرها بمعنی (أظهرها).

وأخیراً فهناک الکثیر من أمّهات الکتب التفسیریه قد أغنت صفحاتها بِدُرَرٍ من تراث سعید فی علم التفسیر بانتظار من یسعفَه الوقت ویحالفه الحظ فیجمعها فی کتاب تفسیر واحد یتناسب ومقام سعید کأول تابعی صنف کتاباً فی علم التفسیر، لیعود کیان (تفسیر سعید بن جبیر) من اللبنات نفسها التی بناه بها قبل أن یهدمه الضیاع وتتفرق أجزاؤه فی بطون کتب التفسیر والروایه وعلوم القرآن وأتمنی أن یسعفنی الحظ لذلک؛ وإن اتّفَقَ وسبقنی أحد من الذین هم أشد حرصاً منی علی تراث أُمتنا، وجمع تفسیر سعید کتاباً مطبوعاً تَقَرُّ بِهِ العیون فإن ذلک مما یدفعنی أن أغبطه وما یَزیدنی ذلک إلّا سروراً وبهجه؛ ومثل هذا الإنسان تکون عاقبته عند الله خیراً کوالد الغلامین الیتیمین اللذین أقامَ الخضر علیه السلام الجدار لیحفظ لهما کنزهما الذی أخفاهُ أبوهما تحته والذی یقول اللهُ سبحانه وتعالی فیه:... وَ کانَ أَبُوهُما صالِحاً...۲ ، والذی کما جاء فی تفسیر سعید أنه (کان یؤدّی الأمانات والودائع إلی أهلها؛ فحفظ اللهُ تعالی له کنزه حتی أدرک ولداه فاستخرجا کنزهما)(۱).

وهذه آیه من الله لأهل الدنیا وأهل الآخِره لِیتدبّروا القرآن ولیتفکروا فیه لیأخذوا منه العِبَر.

۱- (۳) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۸۷.

ب: أسباب النزول

اشاره

ومن التُراث الـذى حفظه لنـا سـعيد بن جبير عن شـيوخه عن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم (أسـباب نزول الآيات) والـذى تمخض عنه (علم أسباب النزول) بعد حين.

إن أسباب النزولِ علمٌ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمليه التفسيريه بل هو مفتاح العمليه التفسيريه.

والـذى يحـاول الولـوج إلى العمليه التفسـيريه بـدون العلم بسـبب نزول الآـيه ووقت نزولهـا وفيمن نزلت يكون كحـاطب فى ليله ظلماء، يخبط خبط عشواء.

وقـد حفـظ لنا التاريـخ كثيراً من الأمْثِلَهِ المُتَلَّمَهِ من التعليلات والتأويلات الخاطئه التى ولّـدها عـدم العلم بسـبب نزول الآيه وزمن نزولها والأخـذ بمعناها الظاهر فقط سواء أكانت العمليه عن جهل بأسـباب النزول أم عن قصدٍ وإهمالٍ مُتَعَمَّدٍ لِبناء حكم تشـريعى غير سـليم مَنْشَؤُهُ ما ذكرت، كالذى حكم أن الطواف بين الصـفا والمروه من المستحبات غير الواجبه لأخذه بظاهر اللفظ فقط فى قوله تعـالى: إِنَّ الصَّفـا وَ الْمَرْوَهَ مِنْ شَـعائِرِ اللّهِ فَمَنْ حَـجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ ۱ ، لعدم علمه بسبب

نزول الآیه والـذی صـدر عن تصور بعض المسـلمین أن الطوافَ بینهما فیه إحیاء لشـعائر الجاهلیه؛ فنزلت الآیه لِتُزیلَ هـذا التصور من الأذهان.

مِنْ هذا المثل یتبینُ للقارئ الفرق بین مفسر یعلم سبب نزول الآیه ووقت نزولها، وبین من هو دخیل علی علم التفسیر.

أمـا سـعید بن جبیر فهو من الفریق الأـول الـذی أدرک هـذه الحقیقه القرآنیه البالغه الأهمیه والتی هی قطب الرحی الـذی تـدور حوله عملیه التفسـیر؛ فما رُوِیَ عن سـعید فی أسباب نزول الآیات یعتبر جزءاً متمما لباقی أجزائها التی ترتکز علی الشکل والقراءه والمعنی اللفظی والناسخ والمنسوخ والغرض الخاص والعام الذی من أجله نزلت الآیه.

والقـارئُ الحصـین لاـ یمکـن أنْ تخفی علیـه حقیقه کـون بعض الآیـات وإن نزلت فی وقت معین ولمعـالجه غرض معین إلاّـ أنّ حکمها یسری علی العام والخاص معاً إلاّ إذا نسختها آیه بعدها نزلت.

والعلمُ بأسـباب نزول الآیـات إنمـا مصـدره ما نقله الرواه عن رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وهو أخطر شأناً وأبعـد أثراً من رفیقه علم القراءات الذی قد یعطی المفسر فرصه الأخذ بتفسیر الآیه حسب قراءتها کما فی (یَطَّهَّرْنَ) و (یَطْهُرْنَ).

وقد یختلف مفسـران فی تحدید سـبب نزولِ آیهٍ معیَّنَهٍ لعدم ضـبط روایتها والاختلاف فی صحه نقلها من مصدرها وهذه الظاهره کثیراً ما یراها الدّارسون عند المقارنه بین اثنین أو أکثر من المفسرین فی تفسیر أو تأویل آیه أو سوره من القرآن الکریم.

نماذج مما رواهُ فی أسباب النزول

لقد اخترت بعض الروايات التی وردت عن سعيد فی أسباب نزول آيات لأضعها أمامَ ناظِرَی القارئ الكريم وأنا متيقن أنه يشاركنی الرأی فی جمال هذا الباب وخطوره شأنه.

ومما تواتر عن سعيد عن ابن عباس فی أسباب نزول سوره الجِنّ؛ قال: كان لكل قبيل من الجن مَقْعَدٌ من السماء يستمعون فيهِ فلما رُمُوا بالشهب وحِيلَ بينهم وبين خبر السماء؛ قالوا: ما هذا إلّا لشیء حدث فی الأرض، وَشَكَوا ذلك إلی إبليس فقال: ما هذا إلّا لشیءٍ حدث فی الأرض؛ فأتونی من تربه كل أرض؛ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون علم ذلك، فأتوه من تربه كل أرض، فكان يشمها ويرمی بها حتی أتاه الذين توجّهوا إلی تِهامه بتربه مكه فشمها فقال: مِنْ ها هنا يحدث الحدثَ.

فنظر فإذا النبی صلی الله عليه وآله وسلم قد بُعِثَ فانطلقوا فوجدوا رسولَ الله صلی الله عليه وآله وسلم وطائفه معه مِنْ أصحابه بنخله – واد قريب من مكه ينقسم علی واديين، نخله الشاميه ونخله اليمانيه – عامدين إلی سوق عُكاظ، وهو يُصلی بهم صلاه الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا لهُ فقالوا: هذا واللهِ الذی حال بيننا وبين خبر السماء؛ فَوَلّوا إلی قومهم منذرين فقالوا: يا قومَنا، إنا سمعنا قرآناً عَجَباً يَهدی إلی الرُّشْدِ...)(۱).

وعن سعيد بن جبير فی أسباب نزول قوله تعالی: لَيْسَ عَلَيْكَ

۱- (۱) الدُّرَر فی اختصار المغازی والسير لابن عبد البر يوسف النمری، تحقيق: د. شوقی ضيف: ص ۳۵-۳۶، طبع القاهره لسنه ۱۳۸۶ ه – / ۱۹۶۶ م؛ حليه الأولياء لأبی نعيم: ج ۴، ص ۳۰۰-۳۰۱.

هُداهُمْ...١ ، قال: (كانوا يُعطون فقراءَ أهل الـذِمّهِ صـدقاتِهم فلما كفر فقراءُ المسـلمين؛ قالوا: لا نتصدق إلّا على فقراءِ المسـلمين؛ فنزلت الآيه)(١).

وفى أسـباب نزول قوله تعالى: وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْـدِينا وَ ما خَلْفَنا...٣ ، روى سعيد عن ابن عباس قال: (إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله قال لجبريل عليه السلام: «يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟»، فنزلت الآيه)(٢).

وكان سـبب نزول قوله تعالى: قُلْ مَنْ كانَ عَـدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ...٥ ، أنّ اليهود أقبلت إلى النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فقـالوا: يا أبا القاسم! نسألك عن أشـياء إن أجبتنا فيها تبعناك وصـدّقناك وآمنّا بك. قال: فأخـذ عليهم ما أخذ إسـرائيل على نفسه، قالوا: اللهُ على ما نقول وكيل، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأه وكيف تذكر؟ قال: «يلتقى الماءان فإذا علا ماءُ المرأهِ مـاءَ الرجـل أنّثت، وإذا علاـ مـاءُ الرجـل مـاءَ المرأه ذكّرت». قـالوا: صـدقت. قـالوا: أخبرنا عن الرّعـد؟ قال: «هو مَلَكٌ من الملائكه مُوَكَّلٌ بالسـحاب يُصَـرِّفُهُ حيث شاءَ الله!»، قالوا: فما هو الصوت الذى يُسـمع! قال: «زجره السـحاب إذا زَجَره حتى ينتهى إلى حيث أمره»، قالوا: صدقت. قالوا: فأخبرنا ما حَرّمَ إسرائيلُ على نفسه؟ قال: «كان يسكن البدو فاشتكى فلم يجد شيئاً يلائم

١- (٢) الدرّ المنثور لأبى بكر السيوطى: ج ١، ص ٣٥٧.

٢- (۴) حليه الأولياء: ج ۴، ص ٢٩٨.

إلاّ لحوم الإبل وألبانها؛ فلذلك حرّمها»(۱) ، قالوا: صدقت. قالوا: فأخبرنا من الذى يأتيك من الملائكه بالرساله والوحى، فمن صاحبك، فإنما بقيت هذه؟ قال: «جبريل»، قالوا: ذلك الذى ينزل بالحرب والقتال، ذاك عُدُوُّنا، لو قلتَ ميكائيل الذى ينزل بالقطر تابعناك، فأنزل اللهُ تعالى الآيه)(۲).

وكان سبب نزول سوره المسد؛ أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم صعد ذات يوم الصّفا فقال: (يا صباحاه) فأقبلت إليه قريش فقالوا له: ما لَكَ! فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أنّ العَدُوَّ مُصْبِحُكُمْ أو ممسيكم أكنتم تصدقونى!»، قالوا: بلى. قال: «فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا دعوتنا جميعاً؛ فأنزل الله هذه السوره)(۳).

من هذه الأمثله يقف القارئ على الصله الوثيقه بين العلم بأسباب النزول للآيه أو السوره وتفسيرها.

وكما ذكرت سابقاً أن العلم بأسباب النزول كان فى العهد الأول يعتبر جزءاً تتضمنه العمليه التفسيريه.

وهو الآن وإن صار يدرس فى العهود المتأخره كعلم مستقل إلاّ أنّه ظل شرطاً أساسياً لكل عمليه تفسيريه على المفسر أن يلم به إلى جانب العلم بالقراءه الصحيحه التى تلائم المعنى المطلوب الذى نزلت فيه، وهذا ما سنطّلع عليه فى البحث التالى.

۱- (۱) كذا جاءت مكرره فى المصدر. أ. ه.

۲- (۲) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۳۰۵.

۳- (۳) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج ۴، ص ۵۶۳؛ مجمع البيان للطبرسى: ج ۱۰، ص ۵۹۵.

ج: القراءه عند سعيد

مدخل إلى علم القراءات

يكـاد يتفق جميع البـاحثين سواء كـانوا من المختصـين بالـدراسات القرآنيه أو من المؤرخين؛ على أنّ هـذا المبحث هو من أعقد البحوث القرآنيه وأعمقها أثراً فى مسيره الأمه الإسلاميه فيما ترك من بصمات متميزه على صفحات تراثنا، كان له شأنٌ كبير فى العلاقات الاجتماعيه فى العالَمين العربى والإسلامى.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن موضوع القراءات وتعددها كان العامل الأول فى تعدد أنماط الفكر الاجتماعى الإسلامى وتشعب مساراته ومساربه ثم بالتالى نشوء الفرق الإسـلاميه التى تبنّت نمطاً معيناً ينهج نهجاً معيناً من الفكر الاجتماعى الذى تبلور عن نوع معين من القراءه ثم بالتالى تحديد شكل التفاعل الاجتماعى لذى يسلكه أفرادها فى علاقاتهم ضمن حدود مؤسستهم وبالتالى مع المؤسـسات الأخرى التى اختارت نمطاً آخر، ثم مع المجتمعات الأخرى التى تتبنى فكراً كلياً يختلف من حيث الأسس عن الفكر الإسلامى الكلى.

من هذه النبذه المختصره والموجزه يتبين للقارئ مقدار خطوره سبر أغوار هذا الخِضمّ العميق فى بعده الفوقى المتناهى فى أفقه.

ص:١٠١

فما هو موقفى من كل هذا وأنا أتصدى لدراسه بحث القراءه عند سعيد بن جبير!

هل ألجُ فيه مباشره أم أحجم عنه متغاضياً! وأنا أدرك أننى مُراقَبٌ بأنظارٍ فاحصه متتبعه؛ منها المتطلع ومنها المتخصص المتضلع ومنها من هو مثلى يقنع بالنظره التاريخيه المتعطشه يلقيها صَوْبَ لِينهٍ صغيره تنعم بدفئ الحياه فى بركه سفح هذا الجبل الآشم من تراث أمتنا.

وأنا - فى هذا المبحث - أستميح القارئ الكريم عذراً إذا ما حبوتُ متمهلاً فى ولوجى هذا الدرب، لأنى أدرك أننى غض العود، أخشى التعثر، أحاول جهدى بلوغ الأرب فى طَرْق باب علم القراءه عند سعيد، عِبْرَ قرون عديده من مسيره التاريخ دون أن أسقط أو أكبو... لأن باب القراءه واسع الجوانب عالى البناء، صُنِّفت فيه المئات من المؤلفات التى اختلفت فيه وفيها الآراءُ حول القراءه.

دور سعيد فى نشوء المدارس المتخصصه بعلم القراءات

وهنا سألتزم بالإجابه عن دور سعيد فى هذا الجانب مستعيناً بآراء بعض من كتبوا فى هذا الموضوع بالقدر الذى يفرضه سياق البحث.

لما قام عثمان بن عفان بعمليه الجمع على قراءه واحده وأرسل نسخاً متعدده من هذه القراءه إلى الأمصار - ولم يكن حينئذ قد دخل على رسم الخط العربى الشكل والإعجام - تَصَوَّرَ عُثمانُ أنه حَلَّ بِعَمَلِهِ هذا مشكلهِ اختلاف القراءات؛ إلاّ أن هذه الجهود جاءت متأخره، لأن أغلب الصحابه ممن تثبتوا على نوع من القراءه التى درسوا القرآن بها قد نقلوها إلى جيل التابعين وأن هؤلاء بدورهم قد درجوا على ما درسوا وهم يقرأون القرآن ويفسرونه ويستنبطون الفِقْهَ

كُلٌّ بحسب القراءه التى نشأ عليها وأحاط بها علما.

وبالتالى صادر هؤلاء التابعون الجذور الأولى التى تسقى الجيل المعاصر لها من التابعين وتابعى التابعين.

نعم صارت النسخه العثمانيه هى الأساس الذى ترجع إليه هذه المدارس عند المقارنه بين قراءه وأخرى، ولم يجد الناس ضيراً فى ذلك بل وجدوا فيما حفظه لهم شيوخ القراء من القراءات المختلفه أفضل مصدر يعتمدون عليه فى دراسه لغتهم على النسخه العثمانيه ودراسه لهجاتها على ضوء القراءات المختلفه التى ألمَّ بها القراء من أمثال سعيد بن جبير (الذى كان إمامَ القراء فى الكوفه)(١) من حيث قدرته على القراءه بقراءه ابن مسعود أو أُبى بن كعب أو زيد بن ثابت أو غيرهم بما فهمناه من اختلاف القراءات أو من حيث حفظه للقرآن عن ظهر قلب وسرعه تلاوته له بحسب متطلبات كل قراءه.

ومن يدرس ما روى عن سعيد فى القراءات - نوعاً وتلاوه - تتكشف له منزله هذا الرجل فى هذا الباب من هذا العلم وأنه حقاً كان جديراً بلقب (شيخ القراء وجهبذ العلماء فى الكوفه وقد كان يختم القرآن كل ليلتين)(٢).

وهذه القدره لا تتولد عن موهبه بين عشيه وضحاها، وإنما عن ممارسه ومواظبه وتحرٍ وتتبّع، نستشف ذلك من قوله عن نفسه فى هذا الجانب من حياته: (ما مَضَتْ علىَّ ليلتان إلاّ أقرأ فيهما القرآن إلاّ مسافراً ومريضاً)(٣).

١- (١) تأسيس الشيعه لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر: ص ٣٤٢، طبع بغداد لسنه ١٣٢٨-١٣٢٩ ه -؛ مفتاح العلوم للسكاكى: ص ٣٩.

٢- (٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٦، ص ٢٥٩.

٣- (٣) الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٢٦٠.

وأمّا ما روى عنه أنه (كان يقرأ القرآن فى ركعتين)(۱) ، وأنه كان يختم القرآن ما بين المغرب والعشاء فى رمضان(۲) ، ففى تصورى هما أمران لا يخلوان من مبالغه دوافعها شده الإعجاب بهذا الرجل من جانب تلاميذه وأقرانه؛ لأننا لو حققنا فى متن الروايتين نجدهما تتعارضان مع واقع الحال ومع واقع العمران من حيث التعديل، فلو تقصينا أطول ليالى الشتاء مثلاً وافترضنا أن صلاه المغرب تنتهى فى الخامسه مساء وأن صلاه العشاء تنتهى عند انتصاف الليل - فى الساعه الثانيه عشره وهو آخر وقتها لبقيت من عمليه طرح وقت المغرب سبع ساعات من ضمنها وقت أداء صلاه العشاء وما يُحتمل من متطلبات الحياه ومشاغلها؛ فهل تكفى هذه السويعات لختم القرآن؟

وقد يردّ علىّ قائل: إنها تكفى لو تعجلنا بالقراءهِ همساً.

ولكنى أقول أن هذا الرأى يبدو بعيداً عن الواقع، فكثير منا قد واظب على قراءه القرآن فى رمضان (حَدْراً) - وهى أسرع من (الترتيل) ولا أحسب أن أحداً مهما تعجّل يستطع أن يتم ختم القرآن بأقل من نصف يوم إن لم يكن بأكثر، وإذا كان قد ورد عن الأئمه المعصومين عليهم السلام أنهم كانوا يختمون القرآن فى رمضان أربعين ختمه فهذا يؤيد ما ذهبت إليه من أن كل ختمه تستغرق ثمان عشره ساعه من كل يوم لثلاثين يوم بثلاثين ختمه ونطرح ست ساعات من كل يوم فى ثلاثين يوم يكون مجموعها مائه وثمانون ساعه وعند قسمه الناتج على ثمان عشره ساعه - وهو مقدار ما تستغرقه الختمه الواحده، يظهر أنها تكفى عشر ختمات، وهذا يعنى أن المعصوم عليه السلام يقرأ القرآن ليل نهار فى شهر رمضان

۱- (۱) إيمان أبى طالب للحائرى: ص ۳۲۱.

۲- (۲) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۷۴؛ تذكره الحفاظ للذهبى: ج ۱، ص ۷۶.

وهو الحافظ لكتاب الله عن ظهر قلب.

ولعل هذه الروايات تعتبر أقل إيغالاً إذا ما قورنت مع قول آخرين: (أنه قرأ القرآن فی رکعه واحده فی الکعبه)(۱).

والـذی یـدفع الباحث إلی عـدم التسـلیم بصـحتها ما تثیره من تساؤلات کثیره مسـتنبطه من تمحیص متن الروایه، منها: هل أنه قرأ القرآن فی رکعه واحـده من وقوف أم قرأه قاعـداً! وکم دامت تلـک الرکعه - علی فحوی مـا بیناه قبل سـطور - وهل هی رکعه الوتر من صـلاه اللیـل! ومتی بـدأ بها! أم هی صـلاه الوتیره بعـد صـلاه العشاء مباشـره وفی لیله من لیالی الشـتاء الطویله لأن هـذه الصـلاه تُصـلّی من جلوس، ومن باب الجرح والتعـدیل؛ هَلْ ظل الراوی یراقب سـعید کل هذه الساعات الطوال لِیُوَثِّقَ مَتْنَ رِوایته مُسـتمعاً لسـعید وهو یقرأ ویجهر فی القراءه من الفاتحه والی سوره الناس، وقام بعـدها لیعلن علی الملأ ما بلغه سـعید بن جبیر فی القراءه مما یجعل السامع مذهولاً!!! -.

وأقول صـراحه: إن إخضاع الروایتین الأخیرتین للجرح والتعدیل کان الهدف منه هو تزکیه سعید وإبعاد روایات المبالغه والإیغال عن هذا العبد الصالح، ولکی یطّلع القارئ علی تراث سـعید نقیاً من الروایات الموضوعه ما استطعنا إلی ذلک سبیلاً متمثلین قوله تعالی: وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَیَرَی اللّهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ...۲.

من کل ما ذُکِر یتبین للقارئ ما کان علیه سعید کمقرئ یقرأ القرآن.

۱- (۱) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۷۴؛ تذکره الحفاظ للذهبی: ج ۱، ص ۷۶.

منزله سعید بین القرّاء

فما هی منزلته بین القرّاء؟

علی ضوء ما فهمناه من مفهوم تعدد القراءات وما استند إلیه واستتبعه من علوم لغویه ودینیه استندت علی ما خلّفه سعید من قراءات؛ هل خلّف سعید تراثاً مدوناً أم منقولاً علی السماع؟

وللإجابه علی هذه التساؤلات نحتاج إلی تحلیل بعض الروایات عسی أن نصل إلی ما نبتغی؛ بین یدی روایه ذکرها (الزرکشی) یقول فیها: (وقد ألف ابن جبیر المقرئ - وکان قبل ابن مجاهد - کتاباً فی القراءات وسماه (کتاب الخمسه) ذکر فیه خمسه من القرّاء لا غیر)(۱).

ومن تحلیل الروایه نجد أنه قصد سعیداً بذلک لأن سعیداً اشتهر بأن یکنی بهذه النسبه (ابن جبیر المقرئ) ولأن هذا اللقب کان هو الغالب علی سعید بن جبیر فی حینه وإن أظهر تَفَوُّقاً فی التفسیر - وألف فیه - کما أنّ لفظه القُرّاءِ کانت أکثر شیوعاً وعموماً من لفظه المُفَسِّرین، ولأنهم افترضوا فی المقرئ أنْ یفهم ویفسر ما یقرأ؛ وللتدلیل علی صحه ما استنتجناه أن کتب التأریخ وموسوعاته وکتب التفسیر حفظت لنا مثل هذه التسمیه فی إشارتها إلی معرکه (دیر الجماجم) ودور سعید البطولی فی کتیبه القراء(۲)، والذی سیطلع علیه القارئ فی الفصول اللاحقه.

وقد یسأل سائل: إن الإسلام مردّد بین (مجاهد بن جبیر وبین سعید بن جبیر)

۱- (۱) البرهان فی علوم القرآن للزرکشی: ج ۱، ص ۳۲۹.

۲- (۲) تاریخ الرسل والملوک للطبری: ج ۶، ص ۳۵۸؛ الکامل فی التاریخ لابن الأثیر: ج ۱، ص ۸۲، وص ۱۳۰.

فكيف تزعم أن المقصود فى الروايه سعيد وليس مجاهد؟

أقول: إن مجاهدَ لم يشتهر بلقب (ابن جبير) هذا من جهه ومن جهه أخرى فإن مجاهداً لم يصلنا عنه ما يشير إلى أنه ألّف كتاباً فى التفسير، بينما ثبت عن سعيد أنه قد ألّف فى التفسير والقراءات وأن ما ألفه فُقِدَ من بعده ويؤكده قوله: (كنت أتى ابن عباس فأكتب عنه)(١).

ولما تأكد هذا صار واضحاً أثر ما كتبه سعيد فى علم القراءات وما استتبع من علوم لغويه وفقهيه دينيه كلها تستند فى رواياتها على ما ألفه سعيد وحفظه لنا من قراءات يتحدد بها المعنى الذى تبغيه الآيه لولاها ما كنا استنبطنا المعنى الحقيقى أو المجازى للآيه بل لكل كلمه وردت فى سِفْرِه الخالد وفى السّنّه النبويه أيضاً حيث رُوِى (أنّ رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا نبيَّ الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تنبر باسمى إنما أنا نبيُّ الله»)(٢).

والعرب كانت تميز بين (النبيء) الذى هو فعيل بمعنى فاعل للمبالغه(٣) وبين (النبى) التى هى لفظ مأخوذ من النُبْوَه وهو ما ارتفع من الأرض، فمعنى النبوّه: الرفعه ومعنى النبى: (الرفيع)(٤) ، ومن اختلاف القراءه نلاحظ كيف يتغير المعنى بتغير القراءه.

بهذه الدقه تظهر الأهميه التى ندرس بها علم القراءه عند سعيد، وتلك

١- (١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ٢٥٨.

٢- (٢) النهايه فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحى: ج ۵، ص ٣، طبع القاهره لسنه ١٣٨٣ ه - / ١٩۶٣ م؛ معانى الأخبار للشيخ الصدوق: ص ١١٣، طبع طهران لسنه ١٣٧٩ ه -.

٣- (٣) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۵، ص ٣.

۴- (۴) معانى الأخبار للشيخ الصدوق: ص ١١٣.

القراءات المختلفه التى ساعدت النحاه على حل مشكلات لغويه ما كان لهم طَوْلٌ على تعليلها لولا معرفه نوع القراءه التى وردت فيها؛ فمثلاً يقول الشلوبين – وهو نحوى مشهور –: وأما زياده (لا) فى قوله تعالى: لِئَلّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ...١ ، فشىء متفق عليه وقد نص عليه (سيبويه) ولا يمكن أن تحمل الآيه إلاّ على زياده (لا) فيها، لأن ما قبله من الكلام وما بعده يقتضيه ثم يستدل عليه بقراءه ابن عباس وعاصم والحميدى: (ليعلم أهل الكتاب)(١) ، ثم يقرنها بقراءه ابن مسعود وسعيد بن جبير (لكى يعلم)، ويقول: وهاتان القراءَتان تفسير لزيادتها وسبب النزول يدل على ذلك أيضاً، وهو أن المشركين كانوا يقولون: إن الأنبياء مِنّا، وكفروا مع ذلك بهم فأنزل الله تعالى: لِئَلّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ...)٣ .

هذه القراءات هى التى كان يسميها بعض علماء اللغه ب – (القراءات الشاذه) قياساً على اعتبار أنّ القراءه فى مصحف عثمان – وهو الذى بين أيدينا الآن نقرأه مُعْجَماً ومُشَكّلاً – هى القاعده الأساس فى القراءه.

وكل قراءه فيها زياده أو نقيصه أو تقديم أو تأخير أو اختلاف فى الهيئه دون الماده أو فى الماده والهيئه أو فى الماده دون الهيئه أو فى هيئه الجمله فى الإعراب أو فى اللهجه – كتغيير نوع الحرف – تُعتبر جميعاً فى عرفهم قراءات شاذه أما التصرف فى القراءه (مدّاً أو إماله أو وقفاً أو ترجيعاً) فهو وإن اعتبروه من القراءات إلاّ أنه لم يدخل عندهم فى باب القراءات الشاذه، ويدل على ذلك ما

١- (٢) البرهان فى علوم القرآن للزركشى: ج ٣، ص ٧٩.

سمعه القاسم بن أبی أیوب من سعید بن جبیر وهو یردد قوله تعالی: وَ اتَّقُوا یَوْماً تُرْجَعُونَ فِیهِ إِلَی اللّهِ...۱ ، بِضْعاً وعشرین مره)(۱) ، أو قوله تعالی: فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلالُ فِی أَعْناقِهِمْ وَ السَّلاسِلُ یُسْحَبُونَ * فِی الْحَمِیمِ ۳ ، فقد رَجَّعَ فیها وَرَدَّدَها مرتین أو ثَلاثاً(۲).

ولکن لا یطرب ویردد کمن جاء بعده؛ وقد سُئِلَ بهذا المعنی (ابن ایاس) - أحد تلامیذه - إن کان سعید یطرب ویردّد کما یفعل من جاء بعده؟ قال: معاذَ الله؛ إلاّ إنه کان إذا مرّ علی مثل قوله تعالی فی حم المؤمن إِذِ الْأَغْلالُ فِی أَعْناقِهِمْ وَ السَّلاسِلُ یُسْحَبُونَ ، مَدَّها شیئاً(۳).

وکان سعید یسکُت علی بِکْرٌ ثم یقول عَوانٌ بَیْنَ ذلِکَ فی قوله تعالی: بِکْرٌ عَوانٌ بَیْنَ ذلِکَ ۶۷ .

أو ما رُوی عن ابن شهاب قوله (کان سعید بن جبیر [لمّا] یؤمّنا یرجع صوته بالقرآن)(۴) ، وهذا إن دلّ علی شیء فإنما یدل علی جواز القراءه بهذه الصیغه من التلاوه - وهو ما یسمی ب - (أسلوب القارئ) - أی طریقته فی التلاوه.

۱- (۲) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۷۲.

۲- (۴) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۷۲-۲۷۳.

۳- (۵) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۷۳.

۴- (۸) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۷۳.

(نماذج من القراءات المقارنه)

بعدما تبين لنا دور سعيد فى نشوء علم القراءات وما تشعب عنه من علوم لغويه؛ نحاول فى هذا الباب أن نضع بين يدى القارئ جزءاً يسيراً من هذه الثروه اللغويه التى حفظها لنا اللغويّون والنقاد من الضياع ليطلع بنفسه على تطور لغه العرب القرآن ليتأكد من خطأ الرأى القائل بأن (علم فقه اللغه العربيه) علم ابتكره المتأخرون وأنهم أول من ابتكر الدراسات المقارنه فى اللغه العربيه.

من هذه النماذج ما ورد عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النّاسُ وَ اسْتَغْفِرُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١.

قرأها سعيد بن جبير (... مِنْ أفاضَ الناسِ...) قال ابن خالويه - النحوى - فى شرح هذه القراءه: يعنى آدمَ عُهِدَ إليه فنسى(١).

ومن سوره آل عمران قوله تعالى: ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّهَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللّهِ وَ لكِنْ كُونُوا رَبّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ٣ ، قرأها سعيد بن جبير (بِما كُنْتُمْ تَعَلَّمُونَ الكِتابَ) بفتح التاء والتشديد، وعنه أيضاً (... بِما كُنْتُمْ تَدَرَّسُونَ) بفتح التاء والتشديد، وقرأها ابن حيوه (... بِما كُنْتُمْ تَدَرَّسُونَ)(٢).

١- (٢) مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه (ت ٣٧٠ ه -)، تحقيق: برجشتراسر: ص ١٢، طبع القاهره لسنه ١٩۴٣ م.

٢- (۴) مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٢١.

ومن سوره النساء قوله تعالى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً ١ ، قرأها سعيد (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبيرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ) ومثله قرأ مجاهد(١).

ومن سوره المائده قوله تعالى: قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَ عَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٣ ، قرأها ابن عباس ومجاهد وسعيد (... يُخافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا) بِضَمِّ الياء فى (يُخافون)(٢).

ومن سوره المائده أيضاً قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّهِ اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَهُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاهِ فَيُقْسِمانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِى بِهِ ثَمَناً وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى وَ لا نَكْتُمُ شَهادَهَ اللّهِ إِنّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ ٥ ، قرأها الأعوج: (شَهَادهٌ بَينِكُمْ) بالتنوين.

وقرأها الشعبى والأشهب العقيلى: (شَهادَهً بَيْنَكُمْ).

وعن على بن أبى طالب عليه السلام والسلمى: (وَلاَ نَكْتُمُ شَهادَهً ءالله) (شهادهً ألله) بغير مد. عن سعيد بن جبير والشعبى.

وقد حُكى (شَهادَهً ألله) بالتنوين ووصل الألف، (وَلا نَكْتُمْ) بجزم الميم عن

١- (٢) مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٢٥.

٢- (۴) مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٣١.

الشعبی(۱).

ومن سوره الأنعام قوله تعالی: وَ قالُوا ما فِی بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ خالِصَهٌ لِذُکُورِنا وَ مُحَرَّمٌ عَلی أَزْواجِنا وَ إِنْ یَکُنْ مَیْتَهً فَهُمْ فِیهِ شُرَکاءُ سَیَجْزِیهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَکِیمٌ عَلِیمٌ ۲.

قرأها ابن عباس: (خالِصُهُ) بالهاء، کنایه. وقرأها أیضاً: (خالِصٍ) بغیر هاء.

وقرأها الزهری: (خالِصَهً) بالنصب.

وقرأها سعید: (خالصاً) بالنصب(۲).

ومن سوره الأعراف قوله تعالی: إِنَّ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ اسْتَکْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَ لا یَدْخُلُونَ الْجَنَّهَ حَتّی یَلِجَ الْجَمَلُ فِی سَمِّ الْخِیاطِ وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُجْرِمِینَ ۴.

قرأها الإمام علی علیه السلام وابن عباس: (حَتّی یَلِجَ الجُمَّلُ).

وقرأها سعید: (الجُمَلُ) بالتخفیف.

وابن عباس أیضاً وعکرمه: (الجُمْلُ) بإسکان المیم.

وأبو السمال: (الجَمْلُ) بفتح الجیم وإسکان المیم.

وابن عباس أیضاً: (الجُمُل) بضمتین.

وأبو حیوه: (فی سِمِّ الخیاط).

۱- (۱) مختصر فی شواذ القرآن لابن خالویه: ص ۳۵.

۲- (۳) مختصر فی شواذ القرآن الکریم لابن خالویه: ص ۴۱.

وأبو السمال أيضاً: (فی سُمٍّ) وعنه أيضاً (فی سِمٍّ)(۱).

ومن سوره الأعراف أيضاً قوله تعالی: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ۲.

قرأها اليمانی: (إنّ الذين يُدْعَوْن مِنْ دونِ اللهِ).

وقرأها سعيد: (إنّ الذين يَدَّعونَ من دونِ الله عبادٌ أمثالَكم) بنصب اللام فی (أمثالَكم)(۲).

ومن سوره التوبه قوله تعالی: أَ جَعَلْتُمْ سِقايَهَ الْحاجِّ وَ عِمارَهَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِی سَبِيلِ اللّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّهِ وَ اللّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الظّالِمِينَ ۴.

قرأها سعيد: (... وعِمارَةَ المَسْجِدَ الحرام...) بالنصب.

وقرأها أبو وجزه ويزيد بن القعقاع: (سُقاةَ الحاجِّ وعَمَرَةَ المسجد الحرام)(۳).

ومن سوره يوسف قوله تعالی: قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ ۶.

(قَالوا نَفْقِدُ صُواعَ المَلِكِ، وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وأنَا به زَعِيمٌ».

۱- (۱) مختصر فی شواذ القرآن الكريم لابن خالويه: ص ۴۳.

۲- (۳) مختصر فی شواذ القرآن لابن خالويه: ص ۴۸.

۳- (۵) مختصر فی شواذ القرآن: ص ۵۲.

وقرأها أبو هُريره وجماعه: (نَفْقِدُ صَاعَ الملك).

وقرأها يحيى بن يعمر: (نَفْقِدُ صَوْغَ المِلِك) بالغين المعجمه وقرأها عبد الله ابن عون وأبو حيوه: (نَفقِدُ صُوغَ الملك) برفع الصاد والغين المعجمه.

وقرأها سعيد بن جبير: (نَفْقِدُ صُواغَ الملك).

وقرأها ابن قطيب: (نَفقِدُ صِواغَ الملك).

وقرأها أبو رجاء: (نَفقِدُ صِواغَ الملك).

وقرأها أبو رجاء: (نَفقِدُ صَوعَ الملك) بعين غير معجمه)(۱).

ومن سوره يوسف أيضاً قوله تعالى: فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۲.

قرأها سعيد بن جبير وعيسى: (مِنْ إعاءِ أخِيهِ).

وقرأها الحسن: (مِنْ وُعَاءِ أخيه)(۲).

ومن سوره إبراهيم قوله تعالى: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ ۴.

قرأها أبو جعفر محمد بن على عليه السلام ويحيى بن يعمر: (اغفرْ لى

۱- (۱) مختصر فى شواذ القرآن: ص ۶۴.

۲- (۳) مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه: ص ۶۵.

وَلِوالِدَیْ) بسکون الیاء.

وقرأها سعید بن جبیر: (وَلِوالدِیْ) یعنی أباه.

وقرأها الحسن بن علی علیهما السلام: (اغفر لی ولوالدَیْ).

وفی بعض المصاحف: (اغفر لی ولذریتی).

وفی بعض آخر: (اغْفِرْ لِیَ وَلوُلْدِی) بضم الواو - والوُلْدُ والوَلَدُ سَواء؛ مثل السُّقْمُ والسَّقَمُ، وقال آخرون: الوُلْدُ جمع وَلَدْ.

وقرأها أُبیّ: (اغفر لی ولأبَوَیَّ) وقال هی فی الإمام ولأبوی)(۱).

ومن سوره النحل قوله تعالی: أَتی أَمْرُ اللّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمّا یُشْرِکُونَ ۲.

قرأها سعید بن جبیر (أتی أمْرُ اللهِ فَلا یَسْتَعْجِلُوهُ) بالیاء(۲).

ومن سوره الإسراء قوله تعالی: وَ قَضَیْنا إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ فِی الْکِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِی الْأَرْضِ مَرَّتَیْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا کَبِیراً۴.

قرأها ابن عباس: (لَیُفْسَدَ فی الأرضِ) ما لم یُسَمَّ فاعله.

وقرأها عیسی بن عمر: (لَتفسُدُنّ فی الأرضِ)(۳).

وقرأها أبو العالیه وسعید بن جبیر: (فی الکُتُبِ لَتُفْسِدُنَّ).

۱- (۱) مختصر فی شواذ القرآن: ص ۶۹.

۲- (۳) مختصر فی شواذ القرآن لابن خالویه: ص ۷۲.

۳- (۵) مختصر فی شواذ القرآن: ص ۷۴.

ومن سوره الإسراء أيضاً قوله تعالى: وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَهِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِی صَغِيراً۱.

قرأها سعيد بن جبير والجحدری وحماد الأسدری عن أبی بكر: (الذِّلِّ) بكسر الذال(۱).

ومن سوره الكهف قوله تعالى: فَانْطَلَقا حَتّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَهٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً۳.

قرأها ابن الزبير وأبو رزين وسعيد بن جبير وأبو رجاء: (أنْ يُضِيفُوهُما) بالتخفيف.

وقرأها الزهری ويحيى بن يعمر (أنْ يَنفاضّ).

وقرأ ابن مسعود (يَنْقاضَّ) بالضاد طولاً؛ وتقول العرب: إنقاضَّتْ سِنُّهُ أی انشقّتْ طولاً(۲).

ومن سوره مريم قوله تعالى: وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثاً وَ رِءْياً۵.

قرأها طلحه (أثاثا ورِيا) بالقصر والتخفيف.

وقرأها سعيد بن جبير (أثاثاً وزِيّاً) بالزای.

۱- (۲) مختصر فی شواذ القرآن: ص ۷۶.

۲- (۴) مختصر فی شواذ القرآن: ص ۸۱.

وحكاه البَزّی بالمد (ورِياءً)(۱).

ومن سوره طه قوله تعالی: إِنَّ السّاعَهَ آتِيَهٌ أَكادُ أُخْفِيها لِتُجْزی كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعی ۲.

قرأها سعيد بن جبير (أكادُ أخْفيها) ومثله قرأ أبو الدرداء وقرأها أُبیّ (أكادُ أخفيها من نفسی فكيف أظهركم عليها)(۲).

ومن سوره الأنبياء قوله تعالی: وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَهِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ كَفی بِنا حاسِبِينَ ۴.

قرأها سعيد بن جبير (آتينا بها) ورُوی عن الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام: معناه (جازَينا بها) ويكون مفعول (آتينا) محذوفاً وتقديره (آتيناها بها للجزاء)(۳).

ومن سوره الحج قوله تعالی: يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَهٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَی النّاسَ سُكاری وَ ما هُمْ بِسُكاری وَ لكِنَّ عَذابَ اللّهِ شَدِيدٌ۶.

قرأها أبو هريره وأبو زرعه (وَتُری الناسَ)، بضم التاء.

۱- (۱) مختصر فی شواذ القرآن: ص ۸۶.

۲- (۳) مختصر فی شواذ القرآن لابن خالويه: ص ۸۷؛ أمالی المرتضی: ص ۳۳۳.

۳- (۵) مجمع البيان للطبرسی: ج ۷، ص ۵۰.

وقرأها أبو نهيك وعيسى (سَكارَى) بالفتح.

وقرأها سعيد بن جبير (وَتَرَى الناسَ سُكْرَى وَما هُمْ بِسُكْرى)(۱).

ومن سوره النور قوله تعالى: وَ لْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتّى يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتابَ مِمّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الَّذِي آتاكُمْ وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ مَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۲.

قرأها سعيد بن جبير (مِنْ بَعْدِ إكراههنَّ لَهُنَّ غفورٌ رَحيم).

والحجه أن اللام فى (لَهُنَّ) متعلقه بغفور أى غفور لهنّ (۲).

ومن سوره النور أيضاً قوله تعالى: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَ لا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَواتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خالاتِكُمْ أَوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُبارَكَهً طَيِّبَهً كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۴.

قرأها سعيد (أو ما ملكْتُمْ مفاتحه) وقال تفسير مفاتحه القهرمان وعن قتاده

۱- (۱) مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه: ص ۱۰۳.

۲- (۳) مجمع البيان للطبرسى: ج ۷، ص ۱۳۹.

(... مفتاحه)(۱).

ومن سوره النمل قوله تعالى: وَ صَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ ۲.

قرأها سعيد بن جبير: (أنَّها كانَتْ مِنْ قومٍ كافرين)(۲).

ومن سوره سبأ قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً وَ أَسَرُّوا النَّدامَهَ لَمّا رَأَوُا الْعَذابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ۴.

قرأها سعيد بن جُبير والإمام جعفر بن محمد عليه السلام: «بَلْ مَكَرُّ الليلِ والنّهارِ».

وقرأها راشد - الذى نظر فى المصاحف للحَجَّاج بن يوسف الثقفى - بل مكر الليل والنهار.

وقرأها يحيى بن يعمر (بَلْ مَكْرُ الليلَ والنهارَ) بالنصب(۳).

ومن سوره فاطر قوله تعالى: اَلَّذِى أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَهِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ ۶.

۱- (۱) مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه: ۱۰۳.

۲- (۳) مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه: ص ۱۲۲.

۳- (۵) مختصر فى شواذ القرآن: ص ۱۲۲.

قرأها الإمام على بن أبى طالب عليه السلام والسلمى وسعيد بن جبير (ولا يمسنا فيها لغوب)(۱).

ومن سوره فصلت قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ ۲.

قرأها ابن عباس وسعيد بن جبير: (طَوْعَاءَ أو كَرْهَاءَ قالتا...)(۲).

ومن سوره الطور قوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ ما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْ ءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ ۴.

قرأها سعيد بن جبير (وَأتْبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ...).

وقرأها الحسن وابن كثير (وما لِتْنَاهُمْ...).

وقرأها يحيى: (وما التناهُمْ).

وذكرها هارون (وما وَلَتْناهُمْ).

وقرأها الأعرج (وما إلَتْناهُمْ).

(قال ابن خالوليه: يكونُ هذا الحرف من لاتَ يَلِيتُ وَوَلَتَ يَلِتُ وألاتَ يُلِيتُ وأَلِتَ، ومعناه (نَقَصْناهُمْ) (وقيل: أَلَتَ: غَلَّظَ، وقام رجل إلى عمر فوعظه، فقال له: لا تَأْلِتْ أميرَ المؤمنين؛ أى تُغَلِّظْ عليه)(۳).

۱- (۱) مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه: ص ۱۲۴.

۲- (۳) مختصر فى شواذ القرآن: ص ۱۳۳.

۳- (۵) مختصر فى شواذ القرآن: ص ۱۴۶.

ومن سوره النجم قوله تعالى: وَ إِبْراهِيمَ الَّذِی وَفّی ١.

قرأها سعید بن جبیر والیمانی: (الذی وَفَی) بالتخفیف.

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: «أتعلمون ما وفی؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنه وفی أربع رکعات کان یصلیها من أول النهار»(۱).

ومن سوره المنافقین قوله تعالى: وَ أَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ فَیَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِی إِلی أَجَلٍ قَرِیبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَکُنْ مِنَ الصّالِحِینَ ٣.

قرأها ابن عباس (فأزَّکّی وأکُونَ مِنَ الصّادِقِینَ).

وقرأها سعید بن جبیر (فأتَصَدَّقَ وَأکونَ...)(۲).

ومن سوره القلم قوله تعالى: ن وَ الْقَلَمِ وَ ما یَسْطُرُونَ ۵.

قرأها ابن عباس وابن أبی إسحاق والسمال (نُونِ وَالْقَلَمِ).

وقرأها سعید بن جبیر (نُونَ)(۳).

ومن سوره نوح قوله تعالى: رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَیْتِیَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ لا تَزِدِ الظّالِمِینَ إِلاّ تَباراً٧.

۱- (۲) مختصر فی شواذ القرآن: ص ۱۴۷.

۲- (۴) مختصر فی شواذ القرآن لابن خالویه: ص ۱۵۷.

۳- (۶) مختصر فی شواذ القرآن: ص ۱۵۹.

قرأها سعید بن جبیر والجحدری (اغْفِر لِیَ وَلِوالِدِیْ)(۱).

ومن سوره المدثر قوله تعالی: بَلْ یُرِیدُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ یُؤْتی صُحُفاً مُنَشَّرَةً ۲.

قرأها سعید بن جبیر: (صُحُفاً مُنْشَرَةً)(۲).

ومن سوره المرسلات قوله تعالی: إِنَّها تَرْمِی بِشَرَرٍ کَالْقَصْرِ۴.

قرأها ابن عباس: (بِشِرَار کالقَصَر).

وقرأها سعید بن جبیر: (... کالقِصَر).

وقرأها ابنُ مسعود: (... کالقُصُرْ)(۳).

ومن سوره الزلزله قوله تعالی: یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها۶.

قرأها سعید بن جبیر: (یُوْمَئِذٍ تُنْبِئُ أخْبارَها)(۴).

من کل هذه المقارنات بین النسخه العثمانیه وقراءه سعید مقارنه مع بعض القراءات الأخری نری الدور الذی تتسبب قراءه معینه فی ظهور معنیً لا تظهره قراءه أخری وما یترتب علی کل قراءه من حکم أثّر کثیراً فی البحوث الدینیه واللغویه بعد حین.

۱- (۱) مختصر فی شواذ القرآن: ص ۱۶۲.

۲- (۳) مختصر فی شواذ القرآن لابن خالویه: ص ۱۶۵.

۳- (۵) مختصر فی شواذ القرآن: ص ۱۶۷.

۴- (۷) مختصر فی شواذ القرآن: ص ۱۷۷.

ولبحث كل القراءات المقارنه بين ما تركه لنا سعيد وبين ما تركه غيره لابد من القيام بعمليه جرد مضنيه فى بطون كتب التفسير الكثيره وكتب القراءات التى اختصت بهذا الجانب من العلوم القرآنيه إلى جانب بحوث أخرى اهتمت برسم الخط القرآنى حتى وإن كان مأخوذاً فى الأصل عن النسخه العثمانيه فما كتب وضُبِطَ على ما يوافق روايه حفص بن سليمان بن المغيره الأسدى الكوفى لقراءه عاصم بن أبى النَّجُود الكوفى التابعى عن أبى عبد الرحمن عبدِ الله بنِ حَبيب السُّلمى عن عثمان بنِ عفّانَ وعلى بن أبى طالب وزَيد بن ثابت وأُبيِّ بنِ كَعْب عَن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد لا يتطابق من حيث الرسم والضبط والشكل مع روايه اعتمدت قراءه معينه وإن كان المضمون العام من حيث اللفظ والمعنى واحداً فى المصاحف العثمانيه؛ فأنت تجد القرآن الذى بين يديك قد أُخِذَ هِجاؤه مما رواه علماءُ الرسم عن المصاحف التى بَعَثَ بها عثمان بن عفّانَ إلى البصره والكوفه والشامَ ومكه، والمصحف الذى جعله لأهل المدينه، والمصحف الذى اختص به نفسه، وقد روعى الضبط ورسم الحروف فى المصاحف المتداوله التطابق كما نقل عن أبى داود سليمان بن نجاح وغيره كالإمام التّنَسِيّ فى كتابه (الطّراز فى ضبط الخَرّاز) وبقى النَسّاخون يميلون على الأخذ بعلامات الخليل بن أحمد وأتباعه من المشارقه بدلاً من علامات الأندلسيين والمغاربه إلى الآن.

ولكن ظلت كتب التفسير تأخذ بالقراءات المختلفه كما اختلفت فى عَدِّ آياته وبيان أوائل أجزائه وأحزابه وأرباعها حتى وجدنا كتباً اختصت حِصراً فى بيان هذه الأمور من حيث الشكلُ والضّبْطُ والعَدُّ حتى لكل حرف من حروف القرآن؛ فالإمام الشاطبى فى كتابه (ناظِمَهُ الزُّهر) وهو من الكتب المدونه فى علم الفواصل

يأخذ بطريقه الكوفيين فى عد آيِ القرآن الكريم (٦٢٣٦) آيه ويقول: طريقه الكوفيينَ عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلمى عن على بن أبى طالب عليه السلام.

وقد ذكر تقسيماته للأجزاء والأحزاب وأرباع الأحزاب كما فعل السفّاقسى فى كتابه (غيثُ النفع) والشيخ محمد المتولى فى (تحقيق البيان) وصاحب كتاب (إرشاد القراء والكاتبين) أبو عيد رضوان المخللاتى وهذه الأمور البسيطه وقد ألفت فيها الكتب فكيف بالقراءات التى ذكرنا فى أول البحث كيف أنها كانت سبباً فى نشوء الفرق الإسلاميه، ذكرت هذا لأبين مشقه التصدى للبحث عن كتاب تفسير سعيد بن جبير بين المئات من الكتب الطوال التى احتفظت بهذا السِّفر الجليل منثوراً بين سطورها التى فاقت الملايين تقريباً لا حصراً تنتظر متخصصاً لَوْذَعِيّا يتصدّى لهذا العمل الذى يتطلب وقتاً وعافيه وصبراً وقدره على التحمل ليجمع حبات خَرْدَلٍ نثرت على صفحات كتب التفسير.

ص:١٢٤

د: الحديث عند سعيد

اشاره

لقد بينتُ فی الفصل الأول من دراسه سعيد أنه أخذ العلمَ عن كثير من ثُقاه الصحابه والتّابعين(۱) ، وأشَرْتُ إلى العلاقه الوطيده التی كان تربط بينه وبين شَيْخِهِ ابن عباس، وهو الذی كثرت روايه سعيد عنه، وحدّث فی حضرته وبإذنه(۲).

وللقارئ أن يتصور بنفسه كيف بلغت ثقه ابن عباس بقابليات سعيد وذكائه حتى يجعله يجيز لسعيد أنْ يحدّثَ فی حضرته، وسعيد يتمنّع خجلًا وهيبه ويتهيّب من الإقدام على ذلك فيقولُ لشيخه: (!!! أحَدِّثُ وأنت ها هنا!!!) فيرد عليه ابن عباس بما يرفع عن عزمه ومعنوياته ويُشعره بدعمه له والأخذ بيده؛ (إنْ أصَبْتَ فذاك وإن أخطأتَ علّمتك)(۳).

۱- (۱) إيمان أبی طالب لفخار بن معد الحائری: ص ۳۲۱؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۰؛ الإصابه فی معرفه الصحابه لابن حجر العسقلانی (ت ۸۵۲ ه -): ج ۳، ص ۱۳۵؛ سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبی (ت ۷۴۸ ه -): ج ۳، ص ۱۱۳؛ حليه الأولياء لأبی نعيم الأصبهانی (ت ۴۳۰ ه -): ج ۴، ص ۲۹۵.

۲- (۲) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۶؛ شذرات الذهب لابن العماد عبد الحی الحنبلی (ت ۱۰۸۹ ه -): ج ۱، ص ۱۰۸، طبع بيروت.

۳- (۳) الطبقات الكبرى لابن سعد الزهری (ت ۲۳۰ ه -): ج ۶، ص ۲۵۶؛ الإكليل للهمدانی: ج ۲، ص ۲۱۵-۲۱۶.

وهـذا يَعنى أنّ سـعيداً قـد حَصَلَ على أعلى درجات الإجازه لأن إجازه ابن عباس له فى التحديث بين يديه (إجازه شـفهيه)(۱) ، تأكيد كبير على ثقته بسعيد واعتماده عليه.

وينتقـل سـعيد من مرحله التلمـذه والتعلم إلى مرحله المشـيخه والتـدريس، حيث يرحـل عن مكه عائـداً إلى الكـوفه لِيَتَبوَّأ مركزاً مرموقاً بين شيوخها.

ولم يتوقف ابن عبـاس عن دعمه ورعـايته والتعريف به وهو فى الكوفه؛ نسـتدل على ذلـك من قول ابن عبـاس لأهل الكوفه لَمّا كـانوا يقصـدونه فى مكـه فى مـواسم الحـج وغيرهـا ليسـألوه عـن بعض المسائـل الفقهيـه والتفسـيريه: (تسـألونى وفيكـم ابـنُ أمِّ دهماء)(۲) – وهو لقب لقبه به ابن عباس تحجباً –.

ويبلغ السؤدَدُ والعلم بسعيد أن يتصدر إلى إمامه المصلين فى الكوفه وهى مكانه ما كان يشغلها إلّا مَنْ كان من عيون العرب(۳).

وما أحسب أن حكامَ ذلك العصـر يسـمحون لِمِثل هذا المولى الأسود أن يتبوأ هذه المكانه ويبلغ هذه المنزله الرفيعه لو لم يُحِطْ بما عجز عنه غيره من الإحاطه به من العلم من أقرانه فى مِصْرٍ مُهِمٍ من أمصار الإسلام مثل (الكوفه) ولو لم يكن ثقه ثبتاً فقيها(۴) ، باتفاق المسلمين على ذلك(۵) ، ولو لم يكن جليل

۱- (۱) الإجازات العلميه للدكتور عبد الله الفياض: ص ۲۱.

۲- (۲) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۸.

۳- (۳) وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ۶۸۱ ه –): ج ۲، ص ۱۱۵.

۴- (۴) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى: ج ۴، ص ۱۱.

۵- (۵) مجمع البيان للطبرسى: ج ۱۰، ص ۵۵۹.

القدر مُتأكّداً مُتَمَحِّصاً(۱) ، مستقيماً غيرَ مُتزلزلِ الإيمان(۲).

وهى صفات يعتمدها علماء الجرح والتعديل ويضعون صاحبها فى الصفوه المميزه من الطبقه الأولى من (الرواه والمُحَدِّثِين) ويُعَوّلونَ كثيراً على الروايه التى ترد عن سعيد. ولهذه الصفات نفسها سعى (الوضّاعون) إلى اعتمادها لجعل رواياتهم الكاذبه تبدو صحيحه من حيث (السند) وراحوا يلفقون الروايات الكاذبه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وصحبه ويخترعون لها سلسله (سند) تنتهى إلى سعيد بن جبير وشيوخه الأجلّاء ليضفوا عليها سيماء الصدق وصفه الصحه؛ مستغلين كثره الأسماء التى ذكرها المؤرخون وأصحاب كتب الحديث والمسندات عمن رووا عن سعيد!

وليت الأمر توقف عند حدّ تلفيق الروايات المدَبَّجه المحبوكه بإتقان وإلصاقها بسعيد لِتُحَقِّقَ الغرض الذى وضعت لخدمته؛ وإنما نجد بعض الحاقدين لم يتورّعوا عن اتهامه ب - (الإرجاء) والأدهى والأمرّ من ذلك أن هؤلاء أنفسهم إنما كانوا يستندون فى بناء ادعائهم هذا على روايه وردت على لسان واحدٍ ممن رَوَوْا عنه، ليأتىَ المحققون بعد زمنٍ لِيُثْبِتُوا أنَّ مَنْ اتهمه بالإرجاء كان هو مُرجئاً وأن سعيد بن جبير (منع أيوب من مجالسته - أى مجالسه (طلق) لأن (طلق) كان مرجئاً)(۳).

وسعيد كان من الأتقياء الموالين لآل البيت عليهم السلام، وهذا ما كان يعرفه عنه أصحابه من القراء، ولذا كان إذا ما أحرجته بعض الأسئله يضطر للإجابه بالرمز

۱- (۱) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۹.

۲- (۲) مجمع البيان للطبرسى: ج ۱۰، ص ۵۵۹.

۳- (۳) تاريخ بغداد لأحمد بن على الخطيب البغدادى (ت ۴۶۳ ه -): ج ۱۳، ص ۳۷۴، طبع القاهره لسنه ۱۳۴۹ ه - / ۱۹۳۱ م.

معتمداً على فطنه المقابل ومتحاشياً غضب البيت الأموى، وإذا صادف وكان جوابه للسائل مغضباً وشكاه لإخوانِهِ القراء؛ انبرى هؤلاء للاعتذار عنه وشرحوا السبب الذى دفع سعيداً إلى عدم الإجابه لمعرفتهم بمعاناته وحرصاً منهم عليه(١).

وهذا يبين مدى اعتزازهم به وثقتهم بحسن طويّته وصدق حديثه، وليس كما نعته به البعض من أنه (من جمله الضعفاء) (وأنه كان يلعب الشطرنج استدباراً) ولا ينفى عنهم تجرؤهم على هذا العبد الصالح استدراكهم ب - (نعم) ومن ثَمَّ الاعتراف بعد هذا البهتان بأن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام مدحه وأثنى عليه(٢)...، مع أن الإمام جعفراً عليه السلام أعلم من غيره بما ينقل عن آبائه وبما يراه هو فى سعيد، فلقد كان عليه السلام يتألم عندما يتذكر ما حَلَّ بسعيد على أيدى قاتليه.

ولم يكتف هؤلاء البهّاتون بما ذهبوا إليه بل بَنَوْا حكماً على سعيد ب - (التضعيف) بحجه (عَدَمْ شيوع روايه منه عن أئمه زمانه)(٣) ، وفاتَ عليهم أنّ سعيداً لم يلتق بإمام زمانه على بن الحسين عليهما السلام إلّا فى أيامه الأخيره فى مكه وظل ملازماً له ويأتم به والإمام عليه السلام يُثنى عليه ويأنس بصحبته(٤).

ولما قبض الإمام زين العابدين عليه السلام وعُيِّنَ خالد بن عبد الله القَسرى

١- (١) مستدرك الحاكم النيسابورى لأبى عبد الله بن حمدويه (ت ٤٠٥ ه -): ج ٣، ص ١٣٧، طبع حيدر آباد لسنه ١٣٣٤ ه -.

٢- (٢) روضات الجنات لمحمد باقر الخوانسارى: ص ٣٠٩؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٢، ص ١١٦.

٣- (٣) روضات الجنات للخوانسارى: ص ٣٠٩.

٤- (٤) الرجال للكشى: ص ١١٠، طبع كربلاء المقدسه؛ الاختصاص للشيخ المفيد: ص ٢٠٥، طبع طهران لسنه ١٣٧٩ ه -؛ رجال الطوسى: ص ٩٠-٩١؛ جامع الرواه للأردبيلى: ج ٤، ص ٣٥٩؛ الاحتجاج للطبرسى: ص ٣٥٥؛ منتهى المقال للحائرى: ص ١٤٦.

والياً على الحجاز، أمسك بسعيد وبعث به إلى الحجاج ليلقى حتفه على يديه، فكيف يتيسر لسعيد - وهو مطارد منذ ثورته مع القراء على الأمويين سنه (٧٢ ه -) مع ابن الأشعث حتى يوم قُبِضَ عليه عام ٩٥ ه - أنْ يُحدِّث الناسَ عن إمام زمانه على بن الحسين عليهما السلام؟

مثل سعيد لا يمكن ولا يصح ولا يليق أنْ يُتَّهَمَ جُزافاً ويُعْتَبَرَ من الوضاعين افتراءً وبهتاناً مستندين على روايات شاذه وغريبه نقلها لنا بعض المغرضين المشككين بالكثير من الروايات المتواتره عن الثقاه من أئمه المسلمين وما خلّفوا من تُراث.

ولو كان سعيد من الوضاعين - كما اتهمه من ظل يتعاطف مع الأمويين - فَلِمَ نَراهُ يمتنع عن الحديث فى (أصبهان) فى أول رحله رحل إليها مع إلحاح أهلها عليه فى ذلك وامتنع عن ذلك حتى عاد إلى الكوفه فحَدَّثَ؛ وَلمّا سُئِلَ فى ذلك، قال: انشر بَزَّكَ حيث يُعرف)(١) - يقصد مكانته عند الكوفيين - فنحن نعرف وكل الباحثين المختصين بعلم الجرح والتعديل وعلم الرجال وَقْعَ هذا الرّد فى بيئه الكوفه العلميه آنذاك! وكيف كانت منزله (ابن أمّ دهماء) بين محدّثيها.

وليس ذلك عيباً فى سعيد أنْ تَحْرِمَه الظروف القَسريه من الروايه المباشره عن إمامِ زمانِهِ على بن الحسين عليه السلام وهو الذى روى عن شيوخه أصدق ما قيل فى حق أئمه أهل البيت عليهم السلام، وما عُرِفَ عنه أنّه فرط بحقهم أو أخفى حُبَّهُ لهم أو المنافحه عنهم.

كاد سعيد فى مره من المرّات أن يفقد رأسَهُ بسببهم لمّا وصل إلى أذُنِ الحجاجِ

١- (١) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٢، ص ١١٣.

- فی أول ولایته علی العراق - من قول سعید (أنَّ الحَسَنَ والحُسَیْنَ علیهما السلام وِلْدُ رسولِ اللهِ صلی الله علیه وآله وسلم).

أحضره الحجاج وأمره أنْ یثبت بالدلیل القاطع ما قاله فی الحسن والحسین علیهما السلام أو یُعَرِّض نفسه للهلاک! فما تراجع سعید وما اعتذر بل قرأ علیه قوله تعالی: وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ کُلًّا هَدَیْنا وَ نُوحاً هَدَیْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ وَ أَیُّوبَ وَ یُوسُفَ وَ مُوسی وَ هارُونَ وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ * وَ زَکَرِیّا وَ یَحْیی وَ عِیسی وَ إِلْیاسَ کُلٌّ مِنَ الصّالِحِینَ...۱.

مستشهداً ب - (عِیسَی) کواحد من أبناء إبراهیم علیه السلام لأن مریم علیها السلام هی من وِلْدِ إبراهیم علیه السلام.

إنّ سعید بن جبیر قد عایَشَ مأساه إمامه الحسین علیه السلام أیام کان تلمیذاً صغیراً - فی الرابعه عَشَرَه مِنْ عمره - یطلب العلم فی الکوفه، وکان لواقعه الطف الأثر الکبیر فی جیل سعید وتوجههم الدینی المنضبط حیث جعلته لا یترک قراءه القرآن إلا مریضاً أو مسافراً(۱).

نماذج مما رواه سعید من الحدیث الشریف

بین یدی القارئ بعض الروایات المختاره من الحدیث مما رواه سعید لأدحض الافتراءات التی وُجِّهَتْ إلی سعید مِنْ قِبَلِ مَنْ حاول التقلیل من شأنه وتضعیفه کمُحَدِّث، وأترک الکثیر مما روی عند أهل المسانید المعتبره مسنوداً إلی سعید عن شیوخه بانتظار من یحقق هذه الروایات فی کتاب مُمیّز فیما رواه سعید.

۱- (۲) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۰.

سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ذكر المجلسى فى (بحار الأنوار) والفتال النّيسابورى فى (روضه الواعظين) وابن شهر آشوب فى (مناقب آل أبى طالب) والعامرى فى (الشيصبان) والطبرسى فى (أعلام الورى) ما رواه سعيد بن جبير عن أبى خالد الكابلى قال: أتيت على بن الحسين عليهما السلام على أن أسأله؛ هل عندك سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما أبصرنى قال: «يا خالد أتريد أن أرِيَك سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله»! قلت: واللهِ يا بن رسول الله ما أتَيتُ إلّا لأسألك عن ذلك ولقد أخبرتنى بما فى نفسى. قال: «نعم»، فدعا بِحُقٍ كبير وسَفَطٍ فأخرج لى خاتم رسول الله ثم أخرج لى درعه وقال: «هذا دِرْعُ رسولِ الله»، وأخرج سيفه فقال: «هذا والله (ذو الفقار)»، وأخرج عمامته وقال: «هذه (السَّحاب)»، وأخرج رايته وقال: «هذه (العُقاب)»، وأخرج قضيبه وقال: «هذا (السّكب)»، وأخرج نعليه وقال: «هذان نعلا رسول الله»، وأخرج رداءَه وقال: «هذا كان يرتدى به رسول الله ويخطب أصحابه فيه يوم الجمعه»، وأخرج لى شيئاً كثيراً، قلت حسبى، جعلنى اللهُ فداك)(۱).

فى الحشر

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (قام فينا النبى صلى الله عليه وآله يخطب فقال: «إنكم محشورون حفاه عراه غُرلاً... كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ...۲ وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامه إبراهيم وإنه سَيُجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا ربّ أصحابى فيقول ما تدرى ما أحدثوا

۱- (۱) بحار الأنوار للعلامه المجلسى: ج ۱۲، ص ۱۲.

بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١ قال: فَيُقالُ: إِنَّهُمْ لا يزالوا مرتّدين على أعقابهم»(١).

فى الصبر على الأذى

وقوله تعالى:... إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ ٣، ما رواه سعيد عن أبى عبد الرحمن السُّلمى عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ليسَ أحدٌ وليسَ شيءٌ أصبرَ على أذى سَمِعَهُ من الله؛ إنهم لَيَدْعون له وَلَداً وإنه ليعافيهم ويرزقهم»(٢).

فى الختان

يروى سعيد عن شيخه ابن عباس يحدد فيها سِنَّهُ وقت قُبِضَ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول سعيد: سُئِلَ ابنُ عباس، مِثْلُ مَنْ أنتَ حين قُبِضَ النبى صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: أنا يومئذ مختون.

قال: وكانوا لا يختنون الرجل حتى يُدْرِك(٣).

١- (٢) صحيح البخارى لمحمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ ه -): ج ۴، ص ٩١، طبع القاهره لسنه ١٣١٥ ه -، ١٩٣٢ م).

٢- (۴) صحيح البخارى: ج ۴، ص ۴۶.

٣- (۵) صحيح البخارى: ج ۴، ص ۶٨.

فی باب التوکل علی الله

ویروی سعید عن ابن عباس قول الرسول صلی الله علیه وآله وسلم: «یَدْخُلُ الجَنَّهَ مِنْ أمَّتی سبعون ألفاً بغیر حساب، هم الذین لا یَسْتَرقُونَ ولا یتطیّرون وعلی ربهم یتوکلون»(۱).

وسبعون ألفاً من الأرقام الشائعه الاستعمال فی الدلاله علی الکثیره، ولا یتعین بها العدد نفسه، بل إن السبعین أیضاً تدل علی الکثره کما ورد فی قوله تعالی:... إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِینَ مَرَّهً فَلَنْ یَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ...۲.

روی سعید عن ابن عباس قال: سُئِلَ النبی صلی الله علیه وآله وسلم عن أولاد المشرکین! فقال: «اللهُ أعلمُ بما کانوا عاملین»(۲).

وروی سعید عن ابن عباس أنّ رسولَ الله صلی الله علیه وآله قال: «مَنْ سَمِعَ النِّداءَ فلم یأته فلا صلاه له إلّا من عُذر»(۳).

الخلفاء اثنا عشر خلیفه

روی سعید بن جبیر عن ابن عباس عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: «یکون فی هذه الأمه اثنا عَشَرَ خَلِیفَهً»(۴).

۱- (۱) صحیح البخاری: ج ۴، ص ۸۶.

۲- (۳) صحیح البخاری: ج ۴، ص ۹۸.

۳- (۴) تاریخ واسط لبحشل: ص ۲۲۴.

۴- (۵) عیون الأخبار لابن قتیبه الدینوری: ج ۲، ص ۲۰۴، ماده حرب، طبع القاهره لسنه ۱۳۸۳ ه -.

مثل أهل بيتى مثل سفينه نوح

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَثَلُ أهْلِ بَيْتى مَثَلُ سَفِينَهِ نُوح مَنْ رَكِبَ فِيها نَجا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَك»(۱).

الخلفاء والأوصياء أوّلهم وآخرهم عليهم السلام

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ خُلَفائِى وَأوْصِيَائِى وَحُجَجَ اللهِ عَلى الخَلْقِ بَعْدِى لاثنا عَشَرَ أوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمْ وِلدِى»(۲).

ومما رواه عن ابن عباس عن (زمزم)

روى سعيد عن ابن عباس عن أُبّى بن كعب عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لمّا رَكَضَ جبريل عليه السلام زَمْزَمَ بِعَقِبِهِ الماءُ فَجَعَلَتْ (هاجَرُ) تجمعه بالبطحاء تكفيه به»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رَحِمَ اللهُ هاجَرَ لو تركتها لكانت عَيْناً مَّعِينا»(۳).

وَحَدَّثَ عن عبد الله بن عمر: (أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه - وآله - وسلم لَمّا دُفِعَ عَشِيَّهَ عَرَفَه سَمِعَ وَرَاءَهُ زَجْراً شَديداً وَضَرْباً فالتفَتَ إليهم فقال: «أيُّها الناسُ؛ السَّكِينَهَ فإنَّ البِرَّ ليس بالإنصياع»(۴).

۱- (۱) القصد والأمم ليوسف بن عبد البر القرطبى: ص ۱۸، طبع النجف؛ حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۳۰۶.

۲- (۲) مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب: ج ۲، ص ۲۱۰.

۳- (۳) تاريخ واسط لابن أسلم الرّزّاز بحشل: ص ۱۹۶.

۴- (۴) الإصابه لابن حجر العسقلانى: ج ۳، ص ۱۳۵.

الوصيُّ والخليفةُ بعد رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال النبى صلى الله عليه وآله: «إنَّ عَلِيّاً عليه السلام وَصِيِّى وَخَلِيفتى، وَزَوْجَتَهُ فاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ العَالَمِينَ ابْنَتى، والحَسَنَ وَالحُسَيْنَ سَيِّدَىْ شَبابِ أهْلِ الجَنَّهِ وَلَعداىَ؛ مَنْ والاهُمْ فَقَدْ والانى وَمَنْ عاداهُمْ فَقَدْ عادانى وَمَنْ ناوَأهُمْ فَقَدْ ناوأنِى وَمَنْ جَفاهُمْ فَقَدْ جَفانِى وَمَنْ بَرَّهُمْ فَقَدْ بَرَّنِى؛ وَصَلَ اللهُ مَنْ وَصَلَهُمْ وَقَطَعَ اللهُ مَنْ قَطَعَهُمْ وَنَصَرَ اللهُ مَنْ أعانَهُمْ وَخَذَلَ اللهُ مَنْ خَذَلَهُمْ. اللّهُمَّ مَنْ كانَ لَهُ مِنْ أنْبِيائِكَ وَرُسُلِكَ ثِقْلٌ وَأهْلُ بَيْتٍ؛ فَعَلِيٌّ وَفاطِمَهُ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ أهْلُ بَيْتى وَثِقْلى؛ فَأذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهيراً»(۱).

حديث حزب الله

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِعَلِيّ عليه السلام: «يا علىُّ شِيعَتُكَ هُمُ الفَائِزونَ يَوْمَ القِيامَهِ؛ فَمَنْ أهَانَ واحِداً مِنْهُمْ فَقَدْ أهَانَكَ وَمَنْ أهَانَكَ فَقَدْ أهَانَنِى وَمَنْ أهَانَنى أدْخَلَهُ اللهُ نَارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها وَبِئْسَ المصير. يا علىُّ أنْتَ مِنِّى وأنَا مِنْكَ رُوحُكَ مِنْ رُوحى وَطِينَتُكَ مِنْ طِينَتِى وَشِيعَتُكَ خُلِقُوا مِنْ فَضْلِ طِينَتِنا فَمَنْ أحَبَّهُمْ فَقَدْ أحَبَّنَا وَمَنْ أبْغَضَهُمْ فَقَدْ أبْغَضَنَا وَمَنْ عاداهُمْ فَقَدْ عَادانا وَمَنْ وَدَّهُمْ فَقَدْ وَدَّنَا، يا عَلِيُّ؛ إنَّ شِيعَتَكَ مَغْفُورٌ لَهُمْ على ما كان فيهم من ذنوب وَعيوب. يا على؛ أنا الشفيع لشيعتك غداً إذا قُمْتُ المقامَ المحمود فَبَشِّرْهم بذلك. يا على؛ شِيعتُك شِيعَهُ الله وأنصارُك أنصارُ الله، وأولياؤُك أولياءُ الله، وحِزبكَ حِزبُ اللهِ، يا على؛ سَعِدَ من تولاّك وشقى من عاداك. يا على؛ لكَ كنزٌ فى الجنه وأنت ذو قَرنيها»، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وأهل بيته الطاهرين الأخيار المنتجبين الأبرار(۲).

۱- (۱) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ۲، ص ۱۳۱-۱۳۲، طبع النجف الأشرف لسنه ۱۳۷۸ ه -.

۲- (۲) أمالى الصدوق: ص ۱۴، طبع النجف الأشرف لسنه ۱۳۸۹ ه -، ۱۹۷۰ م.

أشراط الساعه

روی سعید بن جبیر عن أبی هریره(۱) مرسلاً، - لأنه لم یدرک أبا هریره - قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: «والذی نفسی بیده لا تقوم الساعه حتی یظهر الفحش والبخل ویخون الأمین ویؤتمن الخائن وتهلک الوعول وتظهر التخوت»، قال: یا رسولَ اللهِ، وما الوعول وما التخوت؟ قال صلی الله علیه وآله وسلم: «الوعول وجوه الناس، والتخوت الذین کانوا تحت أقدام الناس»(۲).

أنفاس أهل النار

(لو کان فی هذا المسجد مائَهُ ألف أو یَزیدون، وفیه رجل من أهل النار، فتنفَس وأصابهم نفسه لأحترق المسجد ومن فیه)(۳).

الحجر الأسود

روی سعید بن جبیر عن ابن عباس عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال: «یجیء الحجر یوم القیامه وله عینان یُبصر بهما ولسان ینطق به یَشهد لِمَنْ استلمه بحق»(۴).

هذه بعض من مقتطفات الحدیث، وهی لا تمثل إلّا غیضاً من فیض مما ورد عن سعید بن جبیر فی باب الحدیث، ولکی یتحقق مصداق ما یتصوره القارئ من غزاره الحدیث النبوی الذی رواه سعید، نُثبتُ أسماء المحدثین المشهورین ممن أخذ

۱- (۱) تهذیب التهذیب لابن حجر: الفصل الأول، باب شیوخه، ج ۴، ص ۱۴.

۲- (۲) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۳۰۶-۳۰۷.

۳- (۳) تهذیب التهذیب لابن حجر: الفصل الأول، باب شیوخه؛ حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۳۰۷.

۴- (۴) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۳۰۶.

الحديث عن سعيد ممن لمعت أسماؤهم فى سماء الروايه ممن تتلمذوا على يد سعيد بن جبير، نذكرهم على سبيل القصر لا الحصر:

رُوَاتُهُ وتَلاميذه

بما أن سعيداً التابعى المشهور بالروايه عن بعض الصحابه والتابعين، فمن البديهى إذا كانَ ثِقَةً ثَبْتاً أن نجد الكثير من الرواه ممن يعتز بالروايه عنه من أقرانه من التابعين وتابعى التابعين، وإنّ أبرز من حفظوا الحديث عنه ونقلوا لنا تفسيره ونتاجه الفكرى وفقهه وفتواه وآراءَه فى السلوك الاجتماعى هم:

ابن خيثم(١) ولعله أبو عبد الله عثمان بن خيثم.

أبو إسحاق السبيعى(٢).

أبو أيوب (الأعرج)(٣).

أبو الزبير المكى(٤).

أبو جرير(٥).

أبو سنان(٦).

أبو شهاب موسى بن نافع(٧).

١- (١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى: ج ۴، ص ١١.

٢- (٢) مفتاح العلوم لأبى يعقوب السكاكى: ص ٣٨.

٣- (٣) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ٢٧٢.

۴- (۴) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى: ج ۴، ص ١١.

۵- (۵) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ٢٩٩.

۶- (۶) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ٢٧۴.

٧- (٧) حليه الأولياء: ج ۴، ص ٢٨٠.

أبو عمر بن العلاء(۱).

أبو معشر(۲) (والأرجح هو أبو بشر جعفر بن إياس)(۳).

أبو هاشم(۴).

آدم بن سليمان(۵).

إسحاق مولى عبد الله بن عمر بن هلال بن يَساف(۶).

إسماعيل بن زربى(۷).

إسماعيل بن عبد الملك(۸).

أشعث بن الشعثاء(۹).

أصبغ بن زيد(۱۰).

الأعمش والحكم بن عيينه - أو عتيبه -(۱۱).

الربيع بن أبى راشد(۱۲).

۱- (۱) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۸۹.

۲- (۲) تذكره الحفاظ لشمس الدين الذهبى: ج ۱، ص ۷۷.

۳- (۳) سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبى: ج ۳، ص ۲۲۶؛ حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۷۳.

۴- (۴) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۹۸.

۵- (۵) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى: ج ۴، ص ۱۱.

۶- (۶) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۷۷.

۷- (۷) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى: ج ۴، ص ۱۱.

۸- (۸) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۸۹؛ غايه النهايه لابن الجزرى: ص ۳۰۵.

۹- (۹) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى: ج ۴، ص ۱۱.

۱۰- (۱۰) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۷۴.

۱۱- (۱۱) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۹۹.

۱۲- (۱۲) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۸۴.

الربیع بن أبی صالح(۱).

القاسم بن أبی أیوب الأصبهانی(۲).

المغیره بن النعمان(۳).

المنهال بن عمرو(۴).

أیوب(۵).

بکیر بن شهاب(۶).

بکیر بن عتیق(۷).

ثابت بن عجلان(۸).

جعفر بن أبی المغیره الأصبهانی(۹).

جعفر بن أبی وحشیه(۱۰).

حبیب بن أبی ثابت(۱۱).

۱- (۱) تاریخ واسط لبحشل بن أسلم الرّزاز: ص ۹۹.

۲- (۲) تاریخ واسط: ص ۸۷؛ حلیه الأولیاء: ج ۴، ص ۲۹۹.

۳- (۳) تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۱.

۴- (۴) غایه النهایه لابن الجزری: ص ۳۰۵.

۵- (۵) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۸۹؛ غایه النهایه لابن الجزری: ۳۰۵.

۶- (۶) غایه النهایه لابن الجزری: ص ۳۰۵.

۷- (۷) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۸۱.

۸- (۸) عیون الأخبار لابن قتیبه الدینوری: ج ۳، کتاب السؤدد، ص ۲۵۰؛ تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۲.

۹- (۹) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۷۷.

۱۰- (۱۰) تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۱.

۱۱- (۱۱) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ص ۳۰۰.

حبیب بن أبی عمره(۱).

حِجْر الأصبهانی(۲).

حَصین بن عبد الرحمن(۳).

حماد بن أبی سلیمان(۴).

داود بن أبی هند(۵).

زر بن عبد الله المرهبی(۶).

سالم الأفطس(۷).

سعید بن عبید(۸).

سلمه بن کهل وسماک بن حرب وطلحه بن مصرف(۹).

ضرار بن مره الشیبانی(۱۰).

عبد الله بن سعید بن جبیر - ابنه -(۱۱).

۱- (۱) دلایل النبوّه لأبی نعیم: ج ۲، ص ۱۲۳.

۲- (۲) ذکر أخبار أصبهان لأبی نعیم: ج ۱، ص ۳۲۴.

۳- (۳) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۸۱.

۴- (۴) تذکره الحفاظ لشمس الدین الذهبی: ج ۱، ص ۷۶.

۵- (۵) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۷۴.

۶- (۶) حلیه الأولیاء: ج ۴، ص ۲۹۸؛ تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۲.

۷- (۷) أمالی الصدوق: ص ۱۴.

۸- (۸) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۱۱.

۹- (۹) تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۱.

۱۰- (۱۰) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۷۴.

۱۱- (۱۱) تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۱.

عثمان بن مردويه(۱).

عطاء بن السائب(۲).

عطاء بن دينار(۳).

عمرو بن أبی عمرو(۴).

عبد الله بن عثمان بن خيثم(۵).

عبد الكريم الجزری(۶).

عبد الملك بن أبی سليمان(۷).

عبد الملك بن سعيد بن جبير - ابنه -(۸).

عمرو بن دينار(۹).

عمرو بن ذر(۱۰).

عمرو بن سعيد(۱۱).

۱- (۱) حليه الأولياء لأبی نعيم: ج ۴، ص ۲۸۹-۲۹۰.

۲- (۲) أمالی الشيخ الصدوق: ص ۲۰.

۳- (۳) حليه الأولياء لأبی نعيم: ج ۴، ص ۲۸۴.

۴- (۴) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۱.

۵- (۵) سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبی: ج ۳، ص ۲۲۶.

۶- (۶) حليه الأولياء لأبی نعيم: ج ۴، ص ۲۸۳.

۷- (۷) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۷۳.

۸- (۸) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۱.

۹- (۹) حليه الأولياء لأبی نعيم: ج ۴، ص ۲۹۹.

۱۰- (۱۰) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۷۶.

۱۱- (۱۱) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۷۵.

عمرو بن مُرّه(۱).

فرقد(۲).

قیس بن مسلم الجدلی(۳).

کثیر بن تمیم(۴).

محمد بن سوقه(۵).

مسلم البطین(۶).

مطر الوراق(۷).

معاویه بن إسحاق(۸).

منصور بن المعتمر(۹).

مولی المطلب(۱۰).

وائل بن داود(۱۱).

۱- (۱) تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۱.

۲- (۲) حلیه الأولیاء: ج ۴، ص ۲۹۷.

۳- (۳) الاختصاص للشیخ المفید: ص ۳.

۴- (۴) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۷۵.

۵- (۵) حلیه الأولیاء: ج ۴، ص ۲۸۱.

۶- (۶) حلیه الأولیاء: ج ۴، ص ۲۸۲.

۷- (۷) حلیه الأولیاء: ج ۴، ص ۲۹۹.

۸- (۸) حلیه الأولیاء: ج ۴، ص ۲۷۶.

۹- (۹) تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی: ج ۴، ص ۱۱.

۱۰- (۱۰) الإصابه فی معرفه الصحابه لابن حجر العسقلانی: ج ۳، ص ۱۳۵.

۱۱- (۱۱) عیون الأخبار لابن قتیبه: ص ۲۵۰، کتاب السؤدد.

وبره بن عبد الرحمن(۱).

وفاء بن إياس - ورقاء -(۲).

وكيع(۳).

وهب بن منبه(۴).

هشام بن حسان(۵).

هلال بن خباب(۶).

يزيد بن هزارى(۷).

يعقوب(۸).

يعلى بن حكيم(۹).

يعلى بن مسلم(۱۰).

وكثير غير هؤلاء ممن لم يتيسر لنا إحصاؤهم.

۱- (۱) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى: ج ۴، ص ۱۱.

۲- (۲) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۱، ص ۸، طبع القاهره لسنه ۱۳۱۵ ه -، ۱۹۳۲ م.

۳- (۳) الدر المنثور للسيوطى: ج ۱، ص ۱۶۰.

۴- (۴) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۹۰.

۵- (۵) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۷۹.

۶- (۶) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۷۵.

۷- (۷) ذكر أخبار أصبهان لأبى نعيم: ج ۱، ص ۳۲۴.

۸- (۸) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۸۳.

۹- (۹) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۹۷.

۱۰- (۱۰) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى: ج ۴، ص ۱۱.

ه : آراء سعید الفکریه وسلوکه الاجتماعی

اشاره

کان للبیئه الحضاریه المتطوره فی الکوفه أثر واضح فی شخصیه سعید؛ حیث تمیز بسعه الأفق التفکیری والنظره السلیمه الحکیمه الفاحصه وهو یتفاعل ضمن مؤسسته الصغری - البیت - ومؤسسته الکبری فی إطار مجتمعه آنذاک؛ وسلاحه الشخصی فی عملیه التفاعل فِطرةٌ نقیه وعقل تحلیلی ذو موهبهٍ خلاقه ومبدعه؛ ساعداه کثیراً وأعاناهُ علی ممارسه عملیه الاحتکاک بهذا المجتمع وبغیره من المجتمعات واختیار أسلم سبل الأخذ والطرح والتأثیر والتأثر والتکیف لما یستجد علیه من مشاکل التفاعل الاجتماعی فی بوادر نشأته الأولی حتی مرحله بلوغه قِمَّه السلم الفکری فی مجتمع توارث أعظم الحضارات تمیز دون باقی الحواضر بالتأثیر الغالب علی التأثر، فی نقله عمودیه مضنیه فی عالم الفکر الجدید علی أهل الأرض رفعته إلی مصاف أبرز العلماء فی هذا الباب من الفکر الاجتماعی؛ ارتکزت هذه النقله فی مسار مراحلها علی بعد أفقی علمی أسهم إسهاماً فعالاً فی رفعه إلی أعلی درجات السلم الاجتماعی وبعدُ، فلا عجب إذن حین نَشْرَعُ فی تحلیل جوانب شخصیّته أنْ نَجِدَهُ قد جُبِلَ علی عدم الإیمان بالدّجل ولا بالشّعوذه منذ نشأته ولما کانت مثل هذه التصورات لها مصادیقها فی التفاعل الاجتماعی؛ نراه

وكأنه قد أعِدَّ لِدَفْعِ تأثيرها عليهِ وكشف عقمها بوسائل سهله فى مضمونها صعبه فى تنفيذها ضمن مجتمع حضارى كان يرى فى الفرد الذى يتصف بالشخصيه المزدوجه شخصاً مُتَحَضِّراً يُحسن التعايش ضمن مؤسسه المجتمع الكبرى وما تحويه من مؤسسات متنوعه فى بنيتها الاجتماعيه غير البدائيه.

وهكذا نشأ سعيد؛ فهو مثلاً يذكر لنا من أيام طفولته حادثه عرضت له أو قل مشكله صغيره فى حجمها كبيره فى مدلولها تبين البوادر الأولى التى أنشأ عليها شخصيته وكيف أنه كان شخصيه انتقائيه فهو لم يأخذ من مجتمعه ولم يتأثر إلّا بما كان سليماً من العرف والقيم الاجتماعيه ويرفض ويطرح بل ويهزأ بالهزيل والعقيم والمريض منها وخاصه ما يتعارض مع ما درسه من القرآن والسّنّه.

رأيه فى الرُّقيه

فهو يتذكر جيداً كيف تخلص من واحده من أبسط المشاكل التى يتعرض لها الفرد فى مسيرته الاجتماعيه؛ لقد لدغته عقرب وأقسمت أمه عليه أنْ (يَسْتَرْقِىَ) فما العمل وقد أحرجه قسم أمُه عليه وعدم إيمانِهِ بمثل هذه الوسائل العلاجيه!!!

أعطى سعيد يَدَهُ التى لم تُلْدَغْ للراقى وكره أن يحنث اليمين(۱).

وأخذه مرّه (صُداع) فى مكه؛ فقال له رجلٌ ممن عنده (هل لك أن نأتيك برجل يرقيك من هذه الشقيقه؟ قال: لا حاجه لى فى الرُّقى(۲).

وكان يرى فى (التنجيم) كهانه والنظر إلى القدر زندقه(۳).

۱- (۱) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۷۵.

۲- (۲) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۸۰.

۳- (۳) ذكر أخبار أصبهان لأبى نعيم: ج ۱، ص ۳۲۴.

رأيه فى خُطبه الجمعه؛ – مظاهره إسلاميه –

ورأى سعيد فى خطبه الجمعه أنها مظاهره إسلاميه يحسن بالمسلمين أن يغنموا فوائدها. ومحاضرات أئِمّتها من كبار الفقهاء فى شرح علوم الدين أنوارٌ على مسار الدرب الطويل للمؤمنين. ويقول: (لأنْ أضْرَبَ على رأسى أسواطاً أحبِّ إلىَّ مِنْ أن أتَكَلَّمَ والإمام يَخْطُبُ يوم الجمعه)(۱).

وهذا يكشف لنا قدرته على التركيز والاستيعاب ويجسد الصوره التى يُفتَرَضُ أن يكون عليها المستمع، وكيف على المرء أن لا يفوت فرصه يُتاح له فيها أخذ العلم بلا مشقه.

ولسعيد آراء عميقه ومدركه للنفس الإنسانيه استقاها من القرآن الكريم والتدبر فى آياته ومن التبحّر فى دراسه نفسه ومراقبته لمجتمعه وإدراكه لِحَقيقهٍ ظن علماء الاجتماع المتأخرون أنهم أول من أدركها متجاهلين عمداً أوْ مِنْ غير عَمْدٍ إشارهَ القرآنِ الكريم إلى كون الغرائز البَشريه أموراً لا عقلانيه وأن الإنسان العاقل يجب أن لا يخضعها لامتحان أو يضعها على محك رغباتها ليمتحن قدرته على التحمّل، كما جاء فى تفسير سوره يوسف وفى سوره وآيات أخر.

رأيه فى النفس البشريه

فسعيد كان يفهم سعه المعنى فى قوله تعالى:... إِنَّ النَّفْسَ لَأَمّارَهٌ بِالسُّوءِ...۲ ، ويرى أنَّ النفس عرضه لغوايَه الشيطان إذا ما تواجدت أسباب الغوايه وظروفها.

۱- (۱) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۰.

لـذا كـان لا يشـجّع على انفراد الرجل بامرأه ممن يهفو القلبُ لَهُنَّ، ويضـرب بنفسه مثلاً لِيعطىَ العبره لهم كى لا يعتقـدوا أنّ مَنْ أوتى حظّاً من العلم لا تؤثر فيه الغوايه فيقول: (لئن أؤتمن على بيت من الدر أحب إلىّ من أن أؤتمن على امرأهٍ حسناء)(۱).

رأيه فى الخَشيَهِ

وكان يرى أن الخَشْيَهَ هى (أن تَخْشى اللهَ تعالى حتى تَحُولَ خَشْيَتُكَ بينك وبين معصيتك، فتلك الخَشيه؛ وإلّا كانت رِياءً)(۲).

رأيه فى العباده

ويرى أنَّ ذِكْرَ اللهِ لَيس فى كـثره التسبيـح وقراءه القرآن بـل فى طـاعته (فمـن أطـاعَهُ فقـد ذكره)(۳) ، وذلـك هو صـلب التقوى وصراط الدين المستقيم إلى الهدايه الحقّه ولذا نجده لا يرى التوريه فى الدين ولا يبالى بحياته فى سبيل ما يؤمن به وإن كان فى تركها حتفه.

قيل لما أتِىَ به وبعامر الشـعبى ومطرف بن عبد الله بن الشـخير إلى الحجاج - وكانوا قد اشتركوا فى ثوره ابن الأشـعث سـنه ۷۲ ه -، وهـذه الروايه حين أمسك بهم خالـد بن عبـد الله القسـرى سـنه ۹۵ ه -، وبعـث بهم إلى الحجـاج وطرح الحجـاج عليهم هـذا السؤال:

(أكافِرٌ أنت أم مؤمن؟) - فمن قال كافر نجا ومن قال مؤمن هلك فكفّر

۱- (۱) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۷۶.

۲- (۲) المصدر السابق نفسه.

۳- (۳) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۷۶.

الآخران نفسيهما؛ أما سعيد فقد أبى؛ وقال: ما كفرتُ بالله منذ آمنت به)(۱).

لأنه كان يفهم التقيه وينظرها بمنظار أهل البيت عليهم السلام؛ وليس كما يراها الحسن البصرى - المعتزلى - وغيره؛ فإذا كانت التقيه على حساب العقيده ومما يشوّه إسلام المرء فهى ليست بتقيه(۲).

كان سعيد يرى أنّ على المرء أن يتحيّن الفرصه ويعرف كيف يستغل الظرف الملائم لإعلاءِ كلمه الحق، وقد كان مصداقاً لما يقول فما أن واتته سانحهُ الأيام للثوره على الأمويين، لم يتردد ولم يتوان وإنما بادر للانضمام إلى ثوره ابن الأشعث، فإذا بنا أمام بطل عقائدى كانت خُطَبُهُ فى المعركه وقودَ آلتها وزاد مقاتليها؛ حتى حَوَّلَ (كتيبه القراء) فى (معركه دير الجماجم) إلى قلعه مُدَمِّرَهٍ تسحق أىَّ كتيبه يَدْفَعُ بها الحجاج ضدها، مما اضطره على دفع ثلاث كتائب مَرّه واحده ضد كتيبه القراء دون جدوى؛ وسعيد يشدُّ من عزم القراء منادياً.

(قاتلوهم على جورهم فى الحكم وخروجهم من الدين وتَجَبُّرِهِمْ على عباد الله وإماتتهم الصلاه واستذلالهم المسلمين)(۳).

فلا تقيه فى الإسلام إذا كانت هناك فتنه؛ وفى الفتنه يتبين من يعبد الله ممن يعبد الطاغوت(۴).

وهذه النظره عند سعيد إنما تنبع من فهمه الصحيح لمعنى الحياه والموت فى الإسلام؛ فهو يرى أن الحياه الدنيا طريق يسلكه المرء إلى عالم ثانٍ يُبنى نوعُ حياتِهِ

۱- (۱) العقد الفريد لابن عبد ربه: ج ۱۳، ص ۲۵۷؛ طبع القاهره لسنه ۱۳۴۶ ه -، ۱۹۲۸ م.

۲- (۲) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۳.

۳- (۳) تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبرى: ج ۶، ص ۳۵۸، طبع القاهره لسنه ۱۹۶۴ م.

۴- (۴) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۸۰.

ويُحَدِّدُ جزاءُ الفرد فيه على ما يكسبه فى هذه الحياه، وهذه النظره صارت عند سعيد المرتكز الذى تصدر عنه آراؤه، وهذا ما نُحِسُّهُ من قوله.

فى الموت

(لَوْ فارَقَ ذِكْرُ الموتِ قلبى، خَشِيتُ أنْ يَفْسِدَ عَلَىَّ قلبى)(١).

لأنه كان ينظر إلى الحياه الدنيا بعين واعيهٍ فهى فى عينه قصيره وهى إنما امتحان للمرء وليس متعه كما يحسبها الغافلون: (فما هى إلّا جمعه من جمع الآخره)(٢)، فى نظره (وَأنّ بقاء المسلم كل يوم غنيمه، وعلى المرء الجد فى الفرائض والصلوات وما يرزقه الله من ذكره)(٣)، ومن هذا الإحساس نفهم ما يعنيه بقوله (ما فرِحت فى يسر قط ولا حزِنت فى عسر قط)(٤).

فهو إن يضحك فإنما يضحك ساعه يُواجه الموت بين يدى الحجاج و (مِنْ جُرْأهِ الحجاج على الله وحلم الله عنه)(٥). وإنْ يَبكى فإنما يبكى لسماعه صوت العود يُعْزَفُ به بين يدى الحجاج وحين يسأله الحجاجُ عن سبب بكائه - ظنّاً منه أن سعيداً جزع من الموت - أجاب سعيد الحجاجِ بصراحته المعهوده؛ إنه إنما تذكر قوله تعالى: يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً٦,٧.

١- (١) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ٢٧٩.

٢- (٢) حليه الأولياء: ج ۴، ص ٢٨٠.

٣- (٣) المصدر السابق نفسه.

۴- (۴) تاريخ واسط لبحشل بن أسلم الرّزّاز: ص ٢٠١.

۵- (۵) مروج الذهب لأبى الحسن المسعودى: ج ٣، ص ١٠٢، طبع القاهره لسنه ١٣۵٧ ه -، ١٩٣٨ م.

هذا الفكر السليم وهذه الرؤيا الواضحه ليست فلسفه متشائمه عند سعيد ولا آمن بها ولا قرأ فى المستقبل ليطّلع على آراء (نيتشه)؛ وإنما هى رؤيا صادره عن مؤمن ذى لبٍ وعقلٍ متنورٍ عرف ربَّه حق المعرفه، يرى (أنَّ اللَه تعالى ليرحم يوم القيامه حتى ليقول؛ من كان مسلماً فليدخل الجنان)(۱).

ومن نفس النظره النيّره ينطلق رَدُّهُ لَمّا سُئِلَ: مَنْ أبعد الناس؟ قال: (رَجُلٌ اجترح الذنوب، فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله)(۲).

وكانت نظرةُ سَعيد للعلم تنبع من هذه المعرفهِ بالله ومن الخَشيه الساكنه فى أعماقه المتدفقه فى سلوكه فهو يرى فى الجهل هلاك الناس.

رأيه فى المال

وأما رأيه فى (المال) فلا يختلف عن نظرته الكليه للحياه الدنيا تلك النظره التى تسلّح بها من كثره تدبّره فى آيات القرآن الكريم الذى نزّله الله سبحانه وتعالى تبياناً لكل شىء، بهذا المفهوم سلك فى الحياه قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ...۳۰، فهو لا يعارض جمع المال إذا كان بالطرق التى أحلها الله، ولكنه لا يرى خيراً فى شىء جمع من أجل الدنيا إلّا ما طاب وزكا(۳).

(وإنَّ مِنْ إضاعه المال أنْ يرزقك اللهُ رزقاً حلالاً فتنفقه فى معصيه الله)(۴).

۱- (۱) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۷۹.

۲- (۲) المصدر السابق نفسه.

۳- (۴) وفيات الأعيان لابن خِلّكان: ج ۲، ص ۱۱۴.

۴- (۵) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۸۱.

زهده

كان سعيد وثيق الارتباط بالآخره شديد الحذر من الدّنيا ونعيمها الزائف وحبائلها الخفيه المترصده للبشر، فهو يتعامل معها بكل حذر وفطنه.

سُقِيَ مرّه شَرْبَةً من عسل فى قدح فشربها ثم قال: (واللهِ لأسألَنَّ عن هذا) فلما قيلَ له: لِمه؟ فقال: (شَرِبْتُهُ وأنا أسْتَلِذُّهُ)(١) ، لأنه خَشِيَ من نفسه لئلا تطمَع، فيفلت زمامها من يده وهو الذى شد وثاقها وأحكم إسارَها بِزُهْدِهِ وسمو غايته.

هذا الزهد فى الدنيا وزينتها أكسبه زينه أجلّ منها وأسمى؛ زينه دائمه يتمناها أهل الدنيا أن تكون فيهم ولكن هيهات فالقلب الذى يملؤه غرور الدنيا لابد وأن يصير مرتعاً لِلْكِبْرِ والنفاق والرياء والصّلف.

رأيه فى الخضاب

وسعيد كان حسن الرأى لطيف العباره صريح القصد؛ سُئِلَ مرّه عن (الخِضاب) بالوسمه فقال بوجه باسم: (يَكسو اللهُ العبدَ النّورَ فى وجهه ثم يطفئه بالسواد)(٢) وسأله مسلم البطين مرّه: (الشكر أفضل أم الصبر؟) قال: (الصبر، والعافيه أحَبُّ إلىّ)(٣).

وسُئِلَ عن أولادِ المؤمنين قال: (هُمْ مع خير آبائِهِمْ فإن كان الأب خيراً من الأم فهو مع الأب وإن كانت الأمُّ خيراً من الأب فهو مع الأم)(٤).

١- (١) المصدر السابق نفسه.

٢- (٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٦، ص ٢٦٧.

٣- (٣) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ٤، ص ٢٨٢.

٤- (٤) المصدر السابق نفسه.

أجوبه لا تخلو من دعابه ومرح وصفاء نفس ونقاء سريره ما دامت فى حدود ما أحلّ اللّه، فإن أخذت الغفلهُ أحَدَهُمْ ونسى أنَّ اللّه أقربُ إليه من حبل الوريد وأغوته نفسُه أنْ يغتابَ أحداً فى مجلس سعيد، هَبَّ فى غضب وبادره بقوله: (إذا أرَدْتَ ذلكَ ففى وَجْهِهِ)(١).

أما رأيه فى الأمومه فيستقيه من الحديث الشريف: (المرأهُ فى حملها إلى وضعها إلى فصالها كالمرابط فى سبيل الله، فإن ماتت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد)(٢).

ولسعيد نظره مشرقه فى كيفيه تأديه الفروض العباديه وباقى العبادات التوقيفيه.

ففى رمضان لا يريد أن تمر لياليه كباقى الليالى لأنه يرى أن ليالى رمضان ليست كسائر الليالى.

إنها ليال يعيشها المؤمن فى ضيافه الله وفى ظل رحمته ومغفرته والأجدر به أن يحتفل بهذه الهديه السنيّه، ولذا (كان يوصى بعدم إطفاء الأسرج فى الليالى العشر الأواخر من رمضان لأن العباده فيها تعجبه)(٣).

آراء تهتدى بهدى العقيده وتستنير بنور القرآن وتنبت فى هذا القلب المتبصر وفى ثنايا هذه الفطره النقيه فكيف لا ينفذ نورها فى القلوب العطشى للحقيقه مما يجعل حزب النفاق يستشيط حنقاً عليها ويعمل لإخماد هذا الضياء وإطفاء جذوتها وإذا بالسحر ينقلب على الساحر وإذا بالحجاج يفنى ذكراً وجسداً - إلاّ مِنْ سوء

١- (١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٦، ص ٢٦١؛ تذكره الحفاظ للذهبى: ج ١، ص ٧٦.
٢- (٢) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ٤، ص ٢٩٨.
٣- (٣) حليه الأولياء: ج ٤، ص ٢٨١.

العاقبه – وإذا بسعيد ذى النفس المطمئنه تُكتب له شهاده الخلود على مر العصور ويتحول قبره إلى مزارٍ يذكّر الزّائرين بِعِظَمِ البشرى فى الدنيا والآخره وأنّ العزه لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

الفتوى عند سعيد

قصدتُ من وضع هذا الباب بعد باب (آراء سعيد الفكريه) لكى أوفّر على القارئ عناء مناقشه بعض الروايات التى نقلت عن سعيد، وما تستدعيه المناقشه من مطالب كبيره وقد اختصرتها بتزكيه سعيد لنفسه بنفسه لكى يشاركنى القارئ فى تدبر ما يتسلح به سعيد من وضوح الرؤيا وسلامه النيّه وصدق العقيده التى تسقط الافتراءات التى ألصقت به لأنه يوالى أهل البيت عليهم السلام ولا يوالى الحزب الأموى الحاكم حتى ضحّى بحياته ثمناً لهذا الولاء.

فلقد قيل (إنّ سعيداً كان لا يستطيع أن يكتب مع ابن عباس فى الفتيا، فلما عَمِيَ ابن عباس؛ كَتَبَ فبلغه ذلك فغضب)(١).

هذا نص ما أورده ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) كما نقله عنه بنصه صاحب (روضات الجنات) (الخوانسارى) ومن المحزن حقاً أنّ عالماً فاضلاً مثل الخوانسارى يطمئن إلى روايه آحاد أوردها مؤرخ جُبِلَ على التشكيك فى سيره كثير من المحدثين الثقاه – وهوَ مَنْ طعن فى صحه أعظم مصادر تراث أمتنا الفكرى مثل ابن خلكان ويكفى أن نعلم أنّ ابن خلكان هو من مؤرخى دوله بدر الدين لؤلؤ فى الموصل والذى عُرِفَ عنه كرهه لآل البيت، وهو أول من حاول بعد سته قرون أن يشكك فى صحه نسبه (نهج البلاغه) إلى الإمام على

١- (١) روضات الجنات للخوانسارى: ص ٣٠٩.

علیه السلام مدّعیاً أنه من تألیف الشریف الرضی الذی توفی فی القرن الخامس الهجری (۴۰۶ ه -)، متناسیاً أو متغاضیاً عمّا حفظته بطون الکتب من هذا السفر الإسلامی الجلیل الأعظم رمز من رموز الأمّه الرضی بقرون وکفانا بکتب الجاحظ المتوفی فی (۲۵۰ ه -) وحدها دلیلاً، فالجاحظ وحده یکاد یکون ما أخذه عن (نهج البلاغه) أکثر من ثلثی ما جمعه الشریف الرضی وقد یکون أغلب ما جمعه الشریف الرضی هو من کتب الجاحظ المعتزلی وهذا ما حققه صاحب کتاب (شرح نهج البلاغه) ابن أبی الحدید المعتزلی.

وللتأکید علی أن روایه ابن خلکان عن سعید غیر مُمَحَّصَهٍ وأنها مَزعُومَهٌ، هو ما تواتر عن سعید نفسه (أنَّ ابن عباس کان یَکرَهُ کُتّابَ الحدیث)(۱) ، المجهولین الذین یعتاشون علی هذه الغنیمه العلمیه لأغراض هی معروفه عند ابن عباس وسعید، ولا ندری ما هی الدوافع التی جعلته یکره هؤلاء ویُقَرِّبُ سعیداً!

وکل ما نعرفه أن سعیداً کان یعرف ذلک عنه ومع ذلک فقد تواتر عنه أنه (کان یأتی ابن عباس ویکتب عنه)(۲).

کما أن ما ذکره ابن خلکان یتعارض مع ما ثبت عن ابن عباس من استغرابه من مجیء أهل الکوفه لسؤاله وفیهم ابن أم دهماء(۳) ، وهو نص ظاهر الدلاله علی ثمه ما یدعو لغضب ابن عباس لو أن سعیداً کتب فی الفتیا.

وأما الحکم الذی أصدره الخوانساری من أنّ سعیداً اجتهد فی (الفتیا) دون اتباعه المأثور عن أهل البیت علیهم السلام مستنداً فی حکمه علی قول ابن خلکان

۱- (۱) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۵۸.

۲- (۲) المصدر السابق نفسه.

۳- (۳) المصدر السابق نفسه.

وبحجه (عدم شيوع روايه منه عن أئمه زمانه(۱) - وهو ما عللناه فی باب الحدیث - فلا یخلو هذا الحکم من عدم تمحص الدقه التی نتوخاها من عملیه الجرح والتعدیل؛ وکان علیه أن یستدل ولو بمسأله واحده یستشهد بها علی أن سعیداً اجتهد وخالف أهل البیت علیهم السلام مع أن الخوانساری نفسه کان یعلم أن أهلَ البیت علیهم السلام کانوا ینصحون أصحابهم وأولیاءَهم بالحذر حتی مما یصل منسوباً إلیهم وبالتثبت من کل ما یرد عنهم (بعرضه علی کتاب الله فإن خالف کتاب الله فلیضربوا به عرض الجدار) وهذه النظریه کان لها شأنٌ عظیم فی کشف الکثیر من الروایات التی یروجها وُعّاظ السلاطین وینسبونها إلی أهل البیت علیهم السلام وهی تعارض کتاب الله لغرض دنیء هو إبعاد الناس عنهم غیظاً وحسداً.

وحتی لو افترضنا صحه روایه أن سعیداً کتب فی الفتیا بعد أن عمی ابن عباس وغضب ابن عباس، وتذرّعنا بدلیل أن سعیداً سبق وأن تولی قضاء الکوفه وهو أمر یتطلب الکتابه فی الفتیا - أوْ لا یتطلب!!! - وأنه سبق وأن کان کتاباً لعبد الله بن عتبه بن مسعود حین کان علی قضاء الکوفه(۲) ، فأین هی مخالفه کتاب الله وأین هی مخالفه أهل بیت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم؟

ومن کل هذا یخرج الدارس للفتیا عن سعید بن جبیر بحقیقتین بارزتین لتتمیز بهما فتیاه.

فهو إما أن یسند قضاءَه وقوله فی حکمه بروایه عن شیوخه عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وإما أن یقرن حکمه وفتیاه بآیه من کتاب الله.

۱- (۱) روضات الجنات للخوانساری: ص ۳۰۹.

۲- (۲) البیان والتبیین للجاحظ: ج ۳، ص ۶۳، طبع القاهره لسنه ۱۳۶۸ ه -، ۱۹۴۹ م.

ولو لم يكن سعيد (ثقه ثبت فقيه ممحّص)(۱) ، كما حققه علماء الجرح والتعديل؛ لما وجدنا المحدّثين الثقاه يرضون بأن يؤمَّهم فى الصلاه رجل مشكوك فى ثقته وعدالته وصحه فتواه؛ وهو الذى ما كان يأخذ حتى بفتوى الصحابى ما لم يتأكد منها ويمحصها.

فلقد جاء مره إلى ابن عباس يسأله عما سمعه عن ابن عمر من (أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حَرَّمَ نَبيذَ الجر...).

فرد عليه ابن عباس قائلاً: (صدق ابن عمر) فأعاد سعيد قائلاً: (فأيُّ شيءٍ الجر؟) قال: (كل شيءٍ يصنع من مَدَر)(۲).

ومما يوضح أن سعيداً كثيراً ما يربط بين فتواه وفتوى ابن عباس لاستناد المسألتين إلى عله واحده ودلائل متجانسه ومن سنخ واحد؛ ما أفتى به فى أدب السلوك الاجتماعى الإسلامى.

(قال رجل لسعيد بن جبير: المجوسى يُولينى خيراً فأشكره، ويسلم علىَّ فأرد عليه! فقال سعيد: سألتُ ابن عباس عن نحو هذا فقال لى: لو قال لى فرعون خيراً لرددتُ عليه مثله)(۳).

الزواج المنقطع – مُتْعَهُ النساء –!!!

ومن الأمثله على زياده تحفظه فى الفتيا وبالغ تتبعه للأحداث التى طرأت على بعض الأحكام الشرعيه من ناسخ أو منسوخ مما نزل فى كتاب الله وثبت حكمه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستمر الصحابه يعملون به فى

۱- (۱) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ۴، ص ۱۱.

۲- (۲) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۹۷.

۳- (۳) عيون الأخبار لابن قتيبه: ج ۸، كتاب الحوائج، ص ۱۶۵.

أیام أبی بکر إلی منتصف أیام عمر حین منعه باجتهاد منه، ما رواه سعید فی مُتعه النساء عن ابن عباس قال: (تمتّع رسول الله صلی الله علیه - وآله - وسلم فقال عروه: نهی أبو بکر وعمر عن المتعه. فقال ابن عباس: ما یقول عُرَیّه؟ قال: یقول نهی أبو بکر وعمر عن المتعه. فقال ابن عباس: أراهُمْ سیهلکون أقول: قال رسولُ الله صلی الله علیه - وآله - وسلم ویقولون: قال أبو بکر وعمر)(۱).

فتواه فی شهاده أهل الکتاب عند الضروره

(وَلَمَّا أفتی بجواز شهاده أهل الکتاب علی المسلمین فی السفر إذا کانت الشهاده علی الوصیه، ولم یتیسَّر الشهود من المسلمین؛ ولمّا طُلِبَ منه الدلیل الاستنباطی لهذا الحکم استدلَّ بقوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا شَهادَهُ بَیْنِکُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ حِینَ الْوَصِیَّهِ اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْکُمْ أَوْ آخَرانِ مِنْ غَیْرِکُمْ...۲,۳.

وتتجلّی قیمه فتواه حین یَردُّ علی السائل ذاکراً لَهُ نَصَّاً مِنْ نصوصِ السُّنَّهِ النبویّهِ لِیُزیلَ الشّکَّ الذی یُساور قلبَ السائل ولِیُطْلِعَهُ علی کنوزها الجَذّابه.

سأله رجل عن الکسب قال سعید: (سُئِلَ النبی صلی الله علیه وآله وسلم أیُّ الکسب أطیب؟ قال: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِیَدِهِ وکل بَیْعٍ مبرور»(۲).

۱- (۱) مسند أحمد بن حنبل: ج ۱، ص ۳۳۷؛ کتاب مختصر العلم لأبی عمر: ص ۲۲۶؛ تذکره الحفاظ للذهبی: ج ۳، ص ۵۳؛ زاد المعاد لابن القیّم: ج ۱، ص ۲۱۹.

۲- (۴) عیون الأخبار لابن قتیبه: ج ۳، کتاب السؤدد، ص ۲۵۰.

ومن فتواه التى لا تخلو من مرح إلى الغرض قوله لِمَنْ سأله عن قُبله الصائم؟ فقال: (لا بأس بها، وانها لبريد سوء)(۱).

فبين للسائل من طرف خفى وبأسلوب الدعابه ما تسببه من تنبيه للجوارح - لأن الصائم من صامت جوارحه -.

وله فى تشميت العاطس قوله (مَنْ عَطَسَ عنده أخوهُ المسلم فلم يُشَمِّتْهُ، كان دَيْناً يأخذه به يوم القيامه)(۲). - وهو أن يقول له: يرحمكم الله -.

وكان يرى أن الفروض توقيفيه وأنَّ الأعمال بالنّيات لا بالأداءِ وعلى المرءِ أن يؤدّيها بالصوره التى أمَرَ بها الشارع لا كما يحلو له؛ فلما سأله (أبو شهاب الكوفى) وهو فى مكه عن أناس - تركهم أبو شهاب بالكوفه - يوترون قبل أن يناموا مخافه أن لا يستيقضوا للوتر، فيرزقهم الله قياماً من الليل فيصلون شفيعاً مما بدا لهم ثم يعيدون وترهم؟

قال سعيد: هذا من البدع؛ إذا أنت أوترتَ قبل أن تنام ثم رزقك اللهُ قياماً بعد وَتْرَكَ، فصَلِّ شفيعاً ما بدا لك ولا تُعِدْ وَتْرَكَ واكتفِ بالذى كان)(۳).

وَلَمَّا سأله إسماعيل بن عبد الملك عن فريضه من فرائض الحدّ؟ قال: يا بن أخى، إنه كان يقال من أحبَّ أنْ يَتَجَرّأ على جراثيم جهنم فليتجرأ على فرائض الحدّ)(۴).

معنى هذا مأخوذ من (الحَدِّ): (والحَدّ الحاجِزُ بَيْنَ الشّيئَيْنِ الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخَر، يُقالُ حَدَدْتُ كذا جَعَلْتُ له حَدّاً يُمَيَّزُ. وَحَدُّ الدارِ ما يَتَمَيَّزُ بِهِ عن

۱- (۱) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۸۹.

۲- (۲) المصدر السابق نفسه.

۳- (۳) حليه الأولياء لأبى نعيم: ص ۲۸۰.

۴- (۴) حليه الأولياء: ص ۲۸۹.

غيرها، وَحَدُّ الشيء: الوَصْفُ المحيطُ بمعناهُ المُمَيِّزُ له عن غيرهِ، وحَدُّ الزِّنا والخَمرِ سُمِّيَ بِهِ لكونِهِ مانِعاً لمتعاطِيهِ عن مُعاوَدَهِ مِثْلِهِ ومانعاً لِغَيْرِهِ أنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَهُ، قال الله تعالى:... تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلا تَعْتَدُوها...١.

وقال تعالى:... تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلا تَقْرَبُوها...٢.

وقال عزّ وجل:... وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ.

وقوله تعالى:... وَ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣.

وقال تعالى: تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ...۴.

وقوله سبحانه وتعالى: اَلْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً وَ أَجْدَرُ أَلاّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ...۵.

لأنهم ستقع عليهم البينهُ فى الالتزام بها لأن عدم الالتزام بالحدود يُوقِعُهُمْ فى (المحادَدَهِ) وهى مخالفه (الحدود) قال تعالى: لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ...۶.

وقال تعالى: أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها...۷.

لأنّ المحادِدَ يُخالفُ (الحُدودَ) وَيَتَعَدَّ عليها وهذا ما أراده سعيد بن جبير من اختصار بيان (فرائض الحَدّ) حيث قال تعالى: وَ مَنْ يَعْصِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها...١.

وقال الراغب فی مفرداته: (فالحَدُّ: الحكمُ والحدودُ: الأحكام وقيل حَقائِقُ مَعانيهِ؛ (وجميعُ حدودِ اللهِ على أربعه أوجه: إمّا شيءٍ لا يجوز أن يُعَدّى بالزيادهِ عليه ولا القصور عنه كأعداد ركعات صلاه الفَرْض، وإما شيءٍ تَجُوزُ الزيادهُ عليه ولا يجوزُ النقصانُ عنه، وإمّا شيءٌ يجوزُ النقصانُ عنه ولا تجوز الزيادهُ عليه).

وقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ...٢ ، أی يُمانِعون فذلك اعتباراً بالممانعه - وهم المنافقون الذين يعصون رسولَ اللهِ ويخالفون سُنَّتَهُ؛ واللهُ تعالى يقول:... وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...٣.

وإمّا أنْ تكون الممانَعَهُ مُحادَدَهً بالحديد - وهی التی يَلْجَأ إليها الكفار - والحديدُ معروفٌ، قال عزّ وجل:... وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ...۴ ، وَحَدَّدْتُ السِّكِّينَ رَقّقْتُ حَدَّهُ وَأحْدَدْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ حَدّاً، ثم يُقالُ لكل ما دَقَّ فی نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ الخِلْقَهُ أوْ مِنْ حيثُ المعنی كالبصر والبصيرهِ حديدٌ، فَيُقالُ هو حَديدُ النَّظَرِ وحديدُ الفَهْم؛ قال عَزَّ وَجَلَّ:... سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَهٍ حِدادٍ...۵,۶.

وكان شرح (فرائض الحد) هو مِنْ لَطائف الرَّمز فى الفتيا عند سعيد أردنا تِبيانه وقد ختمنا به (الفتيا) عند سعيد مرتبطه بشيوخه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهناك الكثيرُ والكثيرُ جِدّاً مِنْ فتياه وما حفظه لنا من فتيا شيوخه ومن الفتاوى العَبقه بنفحات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا زال مخبوءاً فى بطون الكتب بانتظار من يُحققه فى بحوث مستقله تكشف لنا السُّنَّهَ النبويه الحقَّهَ!

الصَّلاهُ عند سعيد بن جبير

صلاهُ سعيد، فرائضه ونوافله وكيف يؤدّيها:

لقد أفردتُ لها هذا الباب لا لأزعم أن سعيداً ابتدع بدعه خاصه به تميز صلاته عن غيره؛ وإنما لكى تكتمل الصوره الكليه التى كانَ عليها هذا العبد الصالح فى عبادته ولقد رأيته أن ذلك لا يتم إلّا بمراقبته وهو بين يدى الله.

قال حصين: (رأيت سعيد بن جبير صلّى ركعتين خلف المقام قبل صلاه الصبح، فأتيته فصليتُ إلى جنبه وسألته عن آيه من كتاب الله فلم يجبنى فلمّا صلّى الصبح قال: إذا طَلَعَ الفجر فلا تتكلم إلّا بِذِكْرِ الله حتى تصلى الصّبح)(١).

وهذا الجواب نابع من قوله تعالى:... إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً٢ ، ومن قوله تعالى: تَنَزَّلُ الْمَلائِكَهُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (۴) سَلامٌ هِيَ حَتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ٣.

۱- (۱) حليه الأولياء لأبى نعيم: ص ۲۸۱.

وهذا الوقتُ له جلالته عند سعيد لأن الملائكةَ شهود على الفارِّين فيه إلى اللهِ لقوله تعالى: فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ إِنِّى لَكَمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ١ ، فسعيد يعتبر القيام بين يدى الله حتى يصلى الصبح عمليه (فِرارٍ) بين يدى الله سبحانه وتعالى من يَفِرّ بين يدى الله فى مثل هذه الساعه وهو بمنزله سعيد يجد الحديث مع إنسان آخر إشراكاً مستنبطاً امتناعه عن الإجابه قبل إتمام فرض الصبح إكمالاً لحدود قوله تعالى: وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٢.

وإن ينتهى سعيد من أداء فريضه العشاء فهل يترك النوافل وعظيم أجرها وهو الذى نذر نفسه لله؟ لا... فهو لا يكتفى بما فرضه الله على العباد للتقرب إليه والفوز برضاه، بل يسعى بنفسه للفرار إلى الله ما دامت العافيه مركبه والنوافل عدّته ويتهيّأ لها من بعد العشاء ويباشرها.

يقول القاسم بن أبى أيوب: (إنّ سعيد بن جبير كان يصلى بعد عشاء الآخره أربع ركعات، فكلمته وأنا معه فى البيت فأبى أن يكلمنى)(١).

وأترك للقارئ أن يتصور سعيداً - فى الكوفه - وهو واقف يصلى عند باب الطاق وهو معتمر بعمامه قد أرخى طرفها شبراً من ورائه(٢).

ولقد ناقشنا ما مَرَّ - فى باب القراءه - ما روى عن سعيد (أنه قام ليله فى جوف الكعبه فقرأ القرآن فى ركعه)(٣).

١- (٣) تاريخ واسط لبحشل بن اسلم الرزاز: ص ٨٧.

٢- (۴) تذكره الحفاظ لشمس الدين الذهبى: ج ١، ص ٧٧.

٣- (۵) تذكره الحفاظ للذهبى: ج ١، ص ٧۶.

أمّا صوره سعيد وهو يصلى آخر ركعتين وهو يتوجه بروحه إلى الله قبل أن ينالَ الشهاده ذبيحاً؛ فإنى آليتُ أنْ أبحثها فى إطارها المناسب حين أبحث قصه إلقاء القبض على سعيد من قبل خالد بن عبد الله القسرى والى الأمويين على الحجاز وتسليمه إلى الحجاج فى واسط لِيَذبَحَ سَعيداً السعيد بالاستشهاد على النطع وقد ملأه دماً عبيطاً وهو يَفرّ إلى ربّه بروحه وجسده ذبيحاً غير خائف ولا آبه ببطش الحَجّاج بن يوسف الثقفى!

الدُّعاءُ عند سعيد

حَفِظَ لنا سعيد بن جبير جَوامِعَ الكَلِمِ مِن دعاءِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخذ بَعْضَها عن ابن عباس والبعض الآخر عن باقى شيوخه، وكان يتميز عن غيره من مشايخ التابعين بمجاهدته وسعيه الحثيث لدراسه أسرارها ومعرفه كنهها إلى أو توصّلَ إلى كشف ما انطوت عليه من كنوز؛ فقال مقولته التى صارت مفتاحاً ومبدأً لمن يتمنى استجابه الله سبحانه لدعائه. يقول سعيد: (إنّ الإجابه تكون عند حلاوه الدعاء)(۱).

ولذا لمّا أخِذ إلى الحجاج قال: (ما أرانى إلّا مقتولاً؛ وسأخبركم؛ أنى كنت أنا وصاحبين لى دَعَونا حين وجدنا حلاوه الدعاء، ثم سألنا اللهَ الشهاده، فَكِلا صاحبى رُزِقها وأنا أنتظرها)(۲).

ولمّا طال انتظاره ساوره الشك بعبادته، وحزن وتألم، ولم يفرح إلّا ساعه تبين أنّه ملاق ربه شهيداً، وهو يصف ذلك قائلاً: (ما زال البلاءُ بأصحابى حتى رأيت

۱- (۱) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۷۴.

۲- (۲) المصدر السابق نفسه.

أن ليس للهِ فِيَّ حاجه حتى نزل بِيَ البلاء)(۱).

وهذا القول لا يصدر إلّا عن يقين راسخ بالله، وقد أدرك سعيد أنّ إجابه الدعاء لا تتهيّأ إلّا لمن عرف الله حق قدره، فأوكل أمْرَهُ إليه وأخلص النيّه فى توكله؛ فكان يدعو: (اللهم أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك)(۲).

التوكل على الله

وكان يرى فى التوكل على الله أول طرق الإيمان.

وهذا اليقين بعزه الله وهيمنته على الكون بما فيه قد آمن به سعيد منذ أن حق عليه أداء الفرائض. لقد أحَسَّتْ والدته بخطر دعائه.

(كان عنده ديك يقوم سعيد إلى الصلاه على صِياحِهِ فلم يَصْحُ ليله من الليالى، فأصبح سعيد ولم يُصَلِّ؛ فَشَقَ عليه ذلك فقال: (ما له قطع الله صوته!).

فما سُمِعَ ذلك الديك يصيح بعدها، فقالت له أمه: أىْ بُنى لا تَدْعُ على شىءٍ بعدها)(۳).

وظل سعيد يقتدى بابن عباس وما سمعه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «وإنّ منكم رجالاً لو أنّ أحدهم أقسم على الله لأبَرَّهُ»(۴).

۱- (۱) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۸۱.

۲- (۲) حليه الأولياء: ج ۴، ص ۲۷۴.

۳- (۳) المصدر السابق نفسه.

۴- (۴) ذكر أخبار أصبهان لأبى نعيم: ج ۱، ص ۳۲۴.

فكان سعيد عند ثقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ذلك الرجل.

وكان تعامل سعيد مع الله سبحانه وتعالى تعامل الواثق من كرم الله وسعه استجابته لمن توكل عليه وأخلص فى الدعاء بين يديه.

تجده يلهج بذكر الله فى كلِّ شأنٍ وكل حينٍ؛ فإن فرغ من طعامه توجه بالدعاءِ لرازقه: (اللهم أشبعتَ وأرويتَ فهنّئنا، وأكثرتَ وأطَبْتَ فَزِدْنا)(١).

كان يستنبط أعمق المعانى وأدَقّها وأصدقها تعبيراً فى كل كلمه من كلمات القرآن الكريم؛ فهو يرى فى قوله تعالى: وَسِعْتَ كُلَّ شَىْ ءٍ رَحْمَةً، سِعَةَ الرّحمهِ وشمولَها لكل شىء، فيقول: (لو أنّ رَجُلاً فى شِعْبٍ مِنْ شِعَبِ جهنم يُنادى مقدار ألف عام (يا حنّان يا منّان) لقال رَبُّ العِزّهِ لجبريل عليه السلام: (أخْرِجْ عبدى من النار) فيأتيها فيجدها مطبقه، فيرجع فيقول: يا رَبِّ (إنّها عليهم مُؤصده) فيقول تعالى: (يا جبريل ارجع ففكّها فأخْرِجْ عبدى من النار...)(٢).

وكان آخر ما دَعا سعيد بن جبير فى الحياه الدنيا دعاؤُهُ على الحجّاجِ لمّا هَمَّ بقتله حيث قال: (اللهمَّ لا تُسَلِّطْ الحجاجَ على أحدٍ من بعدى)(٣).

١- (١) عيون الأخبار لابن قتيبه: ج ٩، كتاب الطعام، ص ٢٢١.

٢- (٢) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ٢٨٥.

٣- (٣) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ٢٩۴؛ رجال الطوسى: ص ٩١؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٢، ص ١١٥؛ الاحتجاج للطبرسى: ص ٣٥۶.

الفصل الثالث: صله سعید بمشاهیر عصره

اشاره

صلته بمشاهیر عصره فی مکه

صلته بمشاهیر عصره فی الکوفه

إسهامه فی ثوره ابن الأشعث

ص:۱۶۷

عاصرَ سعيدُ كثيراً من الأشخاص المشهورين فى التاريخ ممن كان لهم أثرهم فى تاريخ العالم الإسلامى، سواء كان أثرهم بما ينفع الناس أو جُفاءً مما يعافه المجتمع الإسلامى.

ولستُ بصدد ذكر تراجم هؤلاء لأنه خارج عن هدف البحث، ولكن سأخصّ بالذكر من اتصل منهم بسعيد أو اتصل به سعيد.

وأهم شخصيتين تعاصرتا ولا من جامع شَبَهٍ يجمع بينهما إذا حَكّمنا المقاييس والموازين الإسلاميه، وهما؛ على بن الحسين عليهما السلام والحجاج بن يوسف الثقفى.

ولنطلع من خلال هذا الفصل على الكيفيه التى تم بها اتصال سعيد بن جبير بكل منهما، وما هى العلاقه التى كانت تجمع بين سعيد وبين كل منهما؟ ومتى انتهت؟ وبأى حال؟

وحسب التّدرّج الزمنى للأحداث التاريخيه، نكتشف أنّ اتصال سعيد بالحجاج كان مُبكِّراً أى كان قبل اتصاله بإمام زمانه على بن الحسين عليه السلام.

وما علينا الآن إلّا أن نُحَدِّدَ متى عرف سعيد بن جبير؛ الحجاجَ بن يوسف الثقفى، وأين؟ وما نوع العلاقه التى كانت بينهما؟

فی مکه المکرمه

لقد عرفنا فی الفصل الأول أن أغلب دراسه سعید کانت فی مکه المکرمه وفی حلقه ابن عباس خاصه حیث کانت تجمع العشرات ممن کانوا یفدون إلی مکه المکرمه لأخذ العلم عن (حَبر الأمه) وکان من هؤلاء الحجاج ابن یوسف الثقفی - ولم یکن حینئذ بالشخصیه التی اشتهر بها فی العصر الأموی، وإنما کان طالب علم حالُهُ حالَ سعید بن جبیر وأقرانه، ویَتَحَدّثُ عنه الرواه؛ أنه فی تلک الفتره کان فی حالٍ یُرثی لها من الفقر لأنه کانَ یَعتاشُ بأرغفه الخبز التی یأخذها أجراً لِتَحْفِیظِهِ الأطفالَ سُوَرَ القرآن القِصَار هکذا کان یَسِدُّ رَمَقَهُ أیامَ الدِراسهِ - ولعله کان مُحِبّاً للعلم فی حینه؛ وسعید یشیر إلی ذلک وهو یستعرض أیام حیاته فیقول: (لقد رأیته یُزاحِمُنی عند ابن عباس)(۱).

إنّ سعیداً یُصَوِّرُ الحجاج فی تلک الفتره تلمیذاً مُنافساً یزاحمه فی الظفر بأقرب مجلس من ابن عباس لِیتسنی له سماع حدیث الشیخ بوضوح ولیتمکن من سؤاله.

ولکننا لو نظرنا للصوره من زاویه أخری ونحن ندرس حیاه ابن عباس؛ کما لم نجد أنّه اهتم ابن عباس به مثلما اهتم بسعید؛ ومن هذا الدلیل وما قبله نستنتج أن الحجاج کان دون أدنی ریب شخصاً مغموراً أیام عرفه سعید فی حلقه ابن عباس العلمیه.

۱- (۱) الطبقات الکبری لابن سعد الزهری: ج ۶، ص ۲۶۷.

ولكن مَسْرَى الحوادث - بعد ذلك - سَيُرينا أنّ الحجاج وإن ترك التعلم واتّجه للعمل ضمن دائره المؤسسه الأمويه فإنه بقى يستذكر ويذكر أيام تلك المرحله من حياته جيّداً، ويتذكر معالم من عاصرهم وعايشهم بوضوح جعلته على إدراك تام لما سيكون عليه سعيد من بناء فكرى، مستخلصاً حُكْمَهُ مِمّا كان يراه عند سعيد من ذكاء وقابليه ومواظبه وحرص على استيعاب العلم، وكان مصداقُ صحه استنتاجه محمولاً على تلك الأوليات فى حكمه.

ولذا وجدنا الحجاج بعد أن انضمَّ إلى المؤسسه الأمويه العسكريه وبعد أن ترأَسَ الحمله على الحجاز من قِبَلِ الأمويين لقمع حركه عبد الله بن الزبير حين أحجم قائدها عن ضرب الكعبه بالمنجنيق بعد أن احتمى ابن الزبير داخلها فتقدم الحجاج من رجل البريد من قبل عبد الملك بن مروانٍ يبدى استعداده لضرب الكعبه إنْ وُلِّىَ قائداً للحمله فرحب عبد الملك بهذه الجرأهِ على بيتِ اللهِ الحرام الذى قال تعالى فى حرمه حِماه:... وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً...١ ، وإذا بالحجاج يصير قائداً لحملهٍ انضم إليها جندياً مرتزقاً مغموراً لا يَجِدُ قُوتَ يومه.

(وبعد أن ضرب الكعبه بالمنجنيق للوصول إلى الإماره لم ينس أنْ يرغم أهل مكه على تجديد البيعه لعبد الملك ابن مروان، ولم يغفل أنْ يأخذَها من سعيد بن جبير وهو فى مكه)(١).

وسعيد حينئذٍ نجمٌ ساطِعٌ بين التابعين يعلو فى سماء مكه المكرمه بمنزلته العلميه بعد وفاه ابن عباس عام ۶۷ ه - فى الطائف.

١- (٢) تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبرى: ج ۶، ص ۴۹۰؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ١٣٠.

سعید یرحل إلی الکوفه

لم یطل المقام بسعید بمکه المکرمه، وفیها الحجاج صار أمیراً بعد أن کان جندیاً مغموراً وإذا به یتسلط علی رقاب الناس یحصی الأنفاسَ علی الناس بعد أن أحرق بیت الله أمامَ أعینهم ببادره لم یسبق لها مثیل لیثبت أنّ ولاءَهُ للسلطان فوق الولاء لله ولِیَطْمَئِنَّ عبد الملک أنه عند حسن ظنّه وأنه طوع یده.

وهذا ما دفع سعیداً إلی العوده إلی مدینته ومسقط رأسه الکوفه، خاصه وقد بدأت حلقات الدراسه تملأ جوانب وأرکان وفضاءات مسجد الکوفه وهی تعج زاخره بالدارسین زاهره بالمعلمین؛ وقد شعر بأن وجودَهُ فی الکوفه سیکون أفضل وأنفع من الناحیه العلمیه والسیاسیه.

وفی الکوفه نجد سعیداً وهو ینشر علمه وتأبی نفسه أن یتکسب بالعلوم الدینیه وتعلیمها لطالبیها؛ ولذا نراه یستغل قابلیته ومعرفته وکفاءته فی القضاء والمعاملات وشؤون الکتابه فیعمل کاتباً لعبد الله بن عتبه بن مسعود - وکان الأخیر یشغل منصب قاضی الکوفه -(۱).ولیتفرغ بعد العمل کاتباً، لِینضمَّ إلی

۱- (۱) البیان والتبیین للجاحظ: ج ۳، ص ۶۳.

باقی شیوخ التابعین من طبقته(۱) ، معلماً وناقداً خَبیراً(۲) ، بعلوم القرآن من قراءه وتفسیر وروایه وفِقه(۳).

ویستمر بالعمل کاتباً عند عبد الله بن عتبه بن مسعود حتی قدوم الحجاج والیاً علی العراق.

۱- (۱) جوامع السیره لابن حزم: ص ۳۲۹.

۲- (۲) رجال الطوسی: ص ۹۰.

۳- (۳) إیمان أبی طالب لفخار بن معد الحائری: ص ۳۲۱؛ الاتقان للسیوطی: ج ۲، ص ۱۸۹.

الحجاج والياً على العراق

قدم الحجاج والياً على العراق من قبل عبد الملك بن مروان (يملك منه سلطات واسعه)(١) تتناسب وتفانيه فى سبيلهم، والغرض من تسليم الأمويين ولايه العراق للحجاج إنما جاء مكافأه له على قتل عبد الله بن الزبير وهو داخل بيت الله الحرام، وهدمه الكعبه المشرفه لينهى حركه ابن الزبير بهذه الطريقه التى كانت وسيله الحجاج لنيل رضا الأمويين، مبيناً من خلالها أنه لا يمنعه شىء ولا حتى البيت الحرام عن تحقيق مآربه - وهذا ما يصبو إليه الأمويون فى عُمّالهم - ولِهذا وَلّاهُ عبد الملك على العراق وخولّه أن يفعلَ ما يشاء بهم ما دام ذلك فيه إعاده سيطرتهم على هذا البلد غير الموالى لهم، فاتّفقت مطامح الحجاج المحروم الجاه والعز مع رغبات سلطان كان هو الآخر لم يصدق كيف دالت دوله الإسلام، (وبدأت أول مذبحه للعراقيين على يد الحجاج).

يذكر ابن قتيبه فى (الإمامه والسياسه): بعد أن قَتَلَ الحجاجُ عبد الله ابن الزبير وجماعته (بَعَثَ برؤوسهم إلى عبد الملك وذلك لسبع عشره ليله مضين من جمادى الأولى، سنه ثلاث وسبعين.

قال أبو معشر: ثم أقام الحجاج بالمدينه عاملاً عليها وعلى مكه والطائف ثلاث سنين، يسير بسيرته كما يقولون.

١- (١) المحاضرات لعبد الله الفياض: ص ٩٤، طبع بغداد لسنه ١٩٦٧ م.

قال فلما مات بشر بن مروان، - وكان والياً على الكوفه والبصره - كتب إليه عبد الملك: أن سِرْ إلى العراقيين، وَاحْتَلْ لقتلهم، فإنه قد بلغنى عنهم ما أكره. واسْتَعْمَلَ عبد الملك على المدينه (يحيى بن حكيم بن أبى العاص).

قال: وذكروا أن عبد الملك لمّا كتب إلى الحجاج يأمره بالسير إلى العِراقيين ويحتال لقتلهم، توجّه ومعه ألف رجل من مُقاتِلَهِ أهل ِ الشام وحُماتِهِمْ، وأربعه آلاف من أخلاط الناس وتقدَم بألفى رجل، وتَحرّى دخول البصره يوم الجمعه فى حين أوان الصلاه، فلما دَنا من البصره، أمرهم أن يتفرقوا على أبواب المسجد، على كل باب مائه رجل بأسيافهم تحت أرديتهم وعهد إليهم أنْ إذا سمعتم الجلبه فى داخل المسجد، والواقعه فيهم، فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقَه رأسه إلى الأرض. وكان المسجد له ثمانيه عشر باباً، يُدخَلُ منها عليه، فافترق القوم عن الحجاج فَبَدَروا إلى الأبوابَ، فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاه.

ودخل الحجاج وبين يديه مائه رجل، وخلفه مائه، كل رجل منهم مرتد بردائه، وسيفه قد أفضى به إلى داخل إزاره.

فقال لهم: إنّى إذا دخلتُ فسأكلّم القوم فى خُطبتى وسيحصبوننى فإذا رأيتمونى قد وضعتُ عمامتى على ركبتى، فضعوا أسيافكم، واستعينوا بالله، واصبروا إنّ الله مع الصابرين؛ فلما دخل المسجد، وقد حانت الصلاه، صعد المنبر فحمد الله ثم قال: (أيها الناس إن أمير المؤمنين عبد الملك أمير استخلفه الله عزّ وجل فى بلاده، وارتضاه إماماً لعباده، وقد وَلاّنى مِصْرَكم، وقسمه فيئِكم، وأمَرَنى بإنصافِ مظلومكم، وإمضاءِ الحكمِ على ظالمكم، وصرفِ الثوابِ إلى المحسنِ البرىء، والعقاب إلى العاصى المسىء، وأنا مُتّبِعٌ فيكم أمرَهُ، ومنفذ عليكم عهده،

وأرجو بذلك من الله عز وجل المجازاه، ومن خليفته المكافأه وأخْبِرُكم أنه قلّدنى بسيفين حين تولّيته إيّایَ عليكم، سيف رحمه، وسيف عذابٍ ونقمه، فأمّا سيف الرحمه فسقط مِنّى فى الطريق، وأمّا سيف النقمه فهو هذا.

فحصبه الناس، فلمّا أكثروا عليه خلع عماته، فوضعها على ركبته، فجعلت السيوف تبرى الرقاب، فلما سمع الخارجون الكائنون على الأبواب وقيعه الدّاخلين. ورأوا تسارع الناس إلى الخروج، تلقّوهم بالسيوف، فردعوا الناس إلى جوف المسجد ولم يتركوا خارجاً يخرج، فقتل منهم بضعه وسبعين ألفاً، حتى سالت الدماء إلى باب المسجد، وإلى السكك).

وفيها قال أبو معشر فى روايه توليه الحجاج على العراق التى مرت بنا: (لما قدم الحجاج البصره، صعد المنبر، وهو معتجر بعمامته متقلد سيفه وقوسه. قال: فنعس على المنبر؛ وكان قد أحيا الليل، ثم تكلم بكلام - يعنى الخطبه مادّةَ الذكر - فحصبوه، فرفع رأسه ثم قال: (إنى أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها... فهابوه وكفوا؛ ثم كلمهم فحصبوه وأكثروا، فأمر بهم جنداً من أهلِ الشام، وكانوا قد أحاطوا به مِنْ حوله ومن حول أبواب المسجد...).

والروايتان تتمِّمْ كلٌّ منهما الأخرى وتكشفان دمويه الحجاج وسيده ولا مبرر لها إلّا الحقد على أهل العراق بسبب كونهم من رعايا دوله آل الزبير - تحت حكم مصعب بن الزبير - ليس إلاّ ولكنهم فى عرف عبد الملك كلهم مصعب وكلهم زبيريون فسلط الحجاج عليهم بسيف (النقمه) فعبد الملك فى عرف الحجاج أمير استخلفه الله أو ليس قَدْ آلتْ إليه من أبيه مروان بن الحكم - خيط باطل، طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم نفاهما هو وأبوه الحكم إلى الطائف، حتى

حكم ابن عمه عثمان وأعادهما على المدينه مُعَزَّزَيْنِ مُكَرَّمَيْنِ - ومروان هو الآخر لم يصدق يوماً أن يكون خليفه لولم يرفض معاويه بن يزيد الخلافه، فالمصالح الباطنه والظاهره مشتركه بين عبد الملك والحجاج!

بعد قتله سعيداً:

يا رُبَّ ناكِثِ بَيْعَتَيْنِ تَرَكْتَهُ وَخِضابُ لِحْيَتِهِ دَمُ الأَوْداجِ (١)

ويحاول الحجاج الظهورَ بمظهر الأمير الحكيم العادل الذى لا يرغب فى سفك الدماء للوصول إلى مآربه بل يحاول كسب رضا الناس وهدم جدار الصمت والعزله الذى فصل بينه وبينهم من أوّل أيام ولايته؛ فبعث يطلب سعيد بن جبير إمام قراء الكوفه(٢) ، وشيخ مفسريها وخليفه ابن عباس، ويسلمه مئه ألف درهم يوزعها فى أهل الحاجه(٣) ، متيقناً ومعتمداً على ما عُرِفَ به سعيد من زهد وأمانه وتقوى وخبره بأهل الكوفه كمحاوله من الحجاج لكسب قلوب القراء الذين كانوا يمثلون أخطر جهاز إعلامى ضدّ الأمويين فى بيئه تميزت برفض الأمويين والثوره عليهم كلما تهيأت الفرصه لذلك.

١- (١) تاريخ الطبرى: ج ۶، ص ۴۹۰؛ شرح ديوان جرير لمحمد بن إسماعيل الصاوى: ص ۹۰، طبع القاهره لسنه ١٣٥٣ ه -.

٢- (٢) مفتاح العلوم لأبى يعقوب السكاكى: ص ٣٨؛ تأسيس الشيعه للسيد حسن الصدر: ص ٣۴٢.

٣- (٣) وفيات الأعيان لابن خِلّكان: ج ٢، ص ١١٥.

سعيد يصبح إماماً وقاضياً

لم يتوقف دهاء الحجاج عند الحد السابق بل حاول كسب الموالى وهم ألدُّ أعداء النظام الأموى الذى فرض الجزيه عليهم بعد أن رفعها الإسلام عنهم(١).

وَلِيموِّهَ الحجاج الغرض الحقيقى، عين سعيد بن جبير إماماً للجماعه فى المسجد الجامع فى الكوفه؛ فكان أولَ مولىً يتولى مثل هذا المنصب، إذ كان وقفاً على العرب(٢).

ولم يكتفِ الحجاجُ بذلك بل ظل يُكثِرُ مِنْ استدعاء سعيد بن جبير فيجلسه بين رؤوس العرب مِنْ جُلاّسِهِ ليتسامروا(٣) ، محاولاً بمكره هذا جَرَّهُ إلى صف الأمويين من جانب وإضفاء الصبغه المتدينه على سلوكه ساعياً لإسناد منصبه؛ ولمّا لم يجد فيه رُوحَ الولاء والمساومه سعى إلى أسلوب آخر من المكر محاولاً إغراءَهُ بالمنصب؛ فولاّهُ القضاء(٤).

وهو منصب كانت تترك فيه الحريه للقاضى فى تطبيق أحكام الشريعه

١- (١) المحاضرات لعبد الله الفياض: ص ٩٥-٩٦.

٢- (٢) المعارف لابن قتيبه: ص ١٩٧.

٣- (٣) المصدر السابق نفسه..

٤- (٤) المصدر السابق نفسه.

الإسلاميه فيما يشجر بين الناس اعتماداً على عداله القاضى حيث لا يحق للوالى التدخُّل فى شؤون القضاء؛ إلّا أنّ هذه الحيله باءت بالفشل لأنها استفزّت الأمويين وحَفّزَت أعوانهم لأن يَضِجّوا مُحْتَجِّينَ على فِعْلَهِ الحجاج وخطوره تسليمه مَنْصِبَ القضاء لغيرهم كون هذا المَنْصِب يُعَدُّ أخطرَ مَنْصِبٍ بعد مَنْصِبِ الوالى.

وهذا التمييز الطبقى يكشفَ لنا خطأ الحكم الذى ذهب إليه بعض الباحثين من أنّ (بعض الموالى كانوا يتسببون أحياناً فى خلق روح الكراهيه والعداء نحوهم(١) ، مستشهدين بقصه سعيد بن جبير مع الحجاج، وكيف كان الحجاج يُحْسِنُ مُعامله ابن جبير ومع ذلك خرج عليه مع ابن الأشعث(٢) ، وسبب الخطأ ليس فى إطلاق هذا الحكم العام الذى لا يخو من مصداق بل الخطأ فى سوء اختيار الشاهد وسوء الاستدلال والتعليل، ولو اختار الباحث مثلاً من (البرامكه) مع (هارون الرشيد) لَما بَعُدَ عن الصواب؛ أمّا أنّ الظالم إذا ما قَرَّبَ أحَدَ الأتقياء ووضعه فى المَنْصِبِ الذى هو أهل له يكون قد أحسن إليه وعليه إذن أن يجاريه ويسكت على ظلمه وأن يكون تبعاً له، فهذا ما لا يرضاه منطق العدل؛ ولقد فات على الباحث إدراك حقيقه تقريب الحجاج بِهِ كسب رضا أهل الكوفه وهم رؤوس أهل العراق.

ولما أدرك الحجاج أنَّ فعلته أثارت فتنةً مزعزعةً لكيانِ حكمه تراجع وأخذ برأى القاضى السابق - شريح القاضى وكان قد طلب من الحجاج إعفاءه؛ فامتنع الحجاج قائلاً: (لا أعفيك أو تبغينى رجلاً). فأشار عليه شريح بأبى بُرده بن أبى

١- (١) الموالى فى العصر الأموى لمحمد الطيب النجار: ص ١٤٣، طبع القاهره لسنه ١٣٦٨ ه -، ١٩٤٩ م.

٢- (٢) الموالى فى العصر الأموى للنجار: ص ١٤٣.

موسى الأشعرى ولكن الحجاج عين سعيداً بدله(۱).

إلاّ أنّ الفتنه جعلته يعود عن رأيه ويستقضى أبا بُرده بن أبى موسى الأشعرى - وهو عامر بن عبد الله بن قيس -(۲) ،وشرط عليه أنْ لا يقطع أمراً ما لم يأخذ برأى سعيد(۳) ، وأنْ يَتَّخذهُ كاتباً ووزيراً(۴).

وسعيد يقبل على مضض أن يكون مستشاراً فى القضاء خَشيه أن يتضاعف البلاء على الأمه فيما لو تركه بيد مَنْ يجهل أسراره.

وتمر الأيام وسعيد يَتحيّن ساعهَ الخلاص مما هو فيه؛ حيث كان يعيشُ فى صراع بين ما يحتّمه واجبه الدينى من مناهضه الظلم وإحقاق الحق وبين فقدان الحَوْلِ وقله الجماعه وخنوع البعض - ولكن إلى حين - إذ تهيأت لسعيد فُرصه الجهاد فى وقت تبلور وَنَمى عند الناس الاستعداد والدافع للثوره؛ وذلك لمّا أراد الحجاج أن يضرب عصفورين بحجر حيث دفع أهل العراق لقتال (رتبيل) ملك الترك حين أعدّ منهم جيشاً بقياده عبد الرحمن بن الأشعث، فأتاح لسعيد الفُرصه المواتيه بأن جعله على الجند(۵). وقد رصد الحجاج لهذه الحمله مبالغ طائله تستوجب منه أن يشرف عليها رجل أمين مثل سعيد بن جبير.

۱- (۱) عيون الأخبار لابن قتيبه: ج ۱۲، كتاب السلطان، ص ۶۲، طبع القاهره لسنه ۱۳۸۳ ه -، ۱۹۶۳ م.

۲- (۲) تاريخ الكوفه لحسين بن أحمد النراقى: ص ۲۲۹، طبع النجف الأشرف لسنه ۱۳۷۹ ه -، ۱۹۶۰ م.

۳- (۳) المعارف لابن قتيبه: ص ۱۹۷؛ عيون الأخبار: ج ۱۲، ص ۶۲.

۴- (۴) البيان والتبيين للجاحظ: ج ۳، ص ۶۳.

۵- (۵) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ۱۳۰.

سعيد يسهم فى ثوره ابن الأشعث

فى مبدأ ربيع الأول سنه ٨٢ ه - ٧٠١ م(١) ، ثار العراقيون على الحكم الأموى مُغتَنِمِينَ الفُرصه بعد أن (استقطبت الأمور بينهم لأمور كثيره منها ما لَهُ علاقه بالشؤون الإداريه ومنها ما له علاقه بالشؤون العسكريه(٢) ، ومنها لدوافع دينيه.

أما قائد الثوره فقد يكون ثار لدافع شخصى طمعاً بالعراق كما فعل ابن الزبير قبله؛ مُستغلاً ذكاءَه وَفطنته فى توجيه دفّه الأمر لصالحه بشكل يبدو فيه وكأن ثورته إنما لإعاده الأمور إلى أصحابها.

ولأى من هذه الأسباب؛ فلقد أعلن الثوره ونادى بعزل الحجاج.

وقد صور سعيد حال أهل العراق وهم يعانون من حكم الأمويين تصويراً دقيقاً - وهو يخطب فى قرّاء الكوفه يحثّهم على قتال بنى أميه (وهم مَنْ تجبّر فى الدين وأماتَ الصلاه واستغلوا الضعفاء)(٣).

١- (١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ٣٥٨؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ٨١؛ الدوله العربيه وسقوطها ليوليوس فِلهاوزن: ص ١٩٣، طبع دمشق لسنه ١٣٧۶ ه -، ١٩٥۶ م.

٢- (٢) المحاضرات لعبد الله الفياض: ص ٩٥-٩۶.

٣- (٣) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ٣٥٨.

ظروف الثوره

لقد كان عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس قائداً ذكياً فی ثورته؛ سواء أكان يسعی لتحقيق أغراضه أم لصالح الشعارات التی رفعها المحاربون الثائرون الساخطون علی الحكم الأموی؛ ودليل ذكائه يظهر من تقديره وحسن تصرفه خلال المعركتين اللتين خاضهما ضد الحجاج.

اغتنم ابن الأشعث غياب الحجاج عن الكوفه فنادی بخلعه وأيّدَه المحاربون ومنهم سعيد بن جبير(۱).

وقدم الحجاج بجيشه من البصره ودارت بين الحجاج وابن الأشعث المعركه فی منطقه تسمی (الزاويه) فی محرم الحرام عام ۸۲ ه-(۲).

وكاد ينتصر ابن الأشعث وكادت أحلام وآمال أهل العراق بالخلاص من جور الأمويين تتحقق بعوده سؤددهم ومجد عزهم المسلوب؛ فلقد انهزم الحجاج أمام جيش أهل العراق فی بدايه المعركه؛ إلاّ أن انهزام ميمنه ابن الأشعث علی يد (سفيان بن الأبرد الكلبی)(۳) - أحد قواد الحجاج - كان سبباً فی تغيير كفّه المعركه فخارت العزائم وتوالت الهزائم فی صفوف جيش ابن الأشعث.

۱- (۱) الكامل فی التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ۸۰.

۲- (۲) المصدر السابق نفسه.

۳- (۳) المصدر السابق نفسه.

الحجاج ينكث الأمان

وقد نادى الحجاج بالأمان فاجتمع إليه من المنهزمين من جيش ابن الأشعث (١١ ألفاً) فنكث الأمانَ وقتلهم صبراً(١).

ثم عاد الثوار فلملموا صفوفهم وَقَوَّوْا عُدَّتهم وزادوا من عددهم بعودتهم إلى الكوفه، وعسكر الحجاج بدير (قُرّه) قريباً من الكوفه(٢). على الضفه اليُمنى من الفرات ليسهل عليه الاتصال بالشام والتّموّن منها عن طريق (عين التمر) و (الفلاليج).

وخرج ابن الأشعث بجيش عظيم بلغ مئتى ألف مقاتل اجتمع فيهم الكثير من أهل الكوفه والبصره والقرّاء وأهل الثغور والمسالح(٣) ، واحتل معسكراً حصيناً قريباً من (دير الجماجم) - ولعله المسمى ب - (دير الجلجله)(٤).

وبلغ مسامع عبد الملك بن مروان ما أعدّه ابن الأشعث للجوله الثانيه من المعركه، فبعث بولده (عبد الله بن عبد الملك) مع أخيه (محمد بن مروان) يعرضان

١- (١) المصدر السابق نفسه.

٢- (٢) المصدر السابق نفسه.

٣- (٣) المصدر السابق نفسه.

٤- (٤) الدوله العربيه وسقوطها ليوليوس فلهاوزن: ص ١٩٣.

على أهل العراق عَزْلَ الحجاج حقناً للدماء وأمرهما أن يُعيدا للعراقيين جرايَهَ العطاء كما يجرى على أهل الشام، واشترط على نفسه بأن يُوَلّى عبد الرحمن أىّ بلد ينزله؛ وإلّا كان القتال، والحجاج يكون أمير الجماعه(۱).

ولما بلغ ذلك عبد الرحمن بن الأشعث أدرك نجاح خطته فخطب فى القوم يحثهم على القبول، لأنه أدرك أن الأمويين إنما رضخوا لهم لما هم فيه من عزّه وقوّه وهيبه؛ وقال: (واللهِ لازِلتم عليهم جُرَآءَ وعندهم أعزاء أبداً ما بقيتم إنْ أنتم قبلتم...)(۲).

ولكن الثوارَ - وخاصه كتيبه القراء - أصروا على الاستمرار فى القتال لإسقاط السلطه الأمويه فى العراق، بعد أن وجدوا الضعف قَدْ دَبَّ فى صفوف جيش الحجاج - مع ما وصلته من الإمدادات الكثيره -.

ولم يَرَ ابن الأشعث بُدّاً من موافقه الثوار بعد أن تكشف لديه أن كتيبه القرّاء كانت هى القدوه والطليعه التى يسير الثوار بهدى رجالها.

فهؤلاء الأخيار الأتقياء أمثال (سعيد بن جبير وابو البحترى الطائى وعبد الرحمن بن أبى ليلى...)(۳) لم يكن إسهامهم فى الثوره طمعاً فى المنصب أو لمُساواتهم فى ا (الجِرايَهِ) مع أهل الشام، بل حضروا القتال للجهاد وطلباً للآخره؛ وهذا الموقف من قِبَل هؤلاء القراء ثبت وتأكد من خلال جَرَيانِ أحداثِ المعركه؛ فلقد كانت كتيبه القراء تحارب بروح معنويه عاليه، كان لها أثر كبير فى رجحان كفه الثوار مما حفّز الحجاج لأن يعبئ ثلاث كتائب وبعث عليها (الجراح بن عبد الله

۱- (۱) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ۸۰.

۲- (۲) المصدر السابق نفسه.

۳- (۳) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ۸۲.

الحكمى) - قائداً - فحملوا على القراء ثلاث حملات كل كتيبه تحمل حمله ثم تزوغ لتحمل الثانيه والقراء لم يبرحوا، بل صبروا وحاربوا ببساله وثبات(١).

وسعيد بن جبير يقاتل ويحرض الثوار على الاستبسال وهو يُبَيِّن لهم أهداف الثوره وشعارها لئلا يَضِلوا أو يخوروا: (... قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنيّه ويقين، قاتلوهم على جورهم فى الحكم وتجبرهم فى الدين واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاه)(٢).

وإذا بالنداء يصل إلى شغاف القلوب لبلاغته وإصابته كَبِدَ الحقيقه التى كان يعيشها المسلمون تحت وطأه نير الحكم الأموى فيستبسل المقاتلون.

ويندفع إلى القتال باقى الكتائب العراقيه بعزم وقوّه وبعضهم يخبر بعضاً عن بساله كتيبه القراء وشجاعه شيوخها وعلى مقدمتهم قدوتهم سعيد بن جبير.

ولما وجد الحجاج أن المعركه تميل إلى غير صالحه وأنّ كتيبه القراء ترهق قطعاته، وتضطره إلى تغيير خططه الحربيه فيجند لها ثلاث كتائب على حساب باقى الجبهات دون جدوى حيث أن هذه الكتيبه لم تضعف ولم تتراجع بل بعثت العزم فى باقى الكتائب للقتال بجرأه وشجاعه فائقه دوّخت جيش الحجاج وأوقعت فى صفوفه الهوان والضعف والتشتت؛ عمد الحجاج إلى كسر شوكه كتيبه القراء لِيفلّ من عزم باقى المقاتلين فدفع جماعه من أعوانه لِينفَردوا بقائد كتيبه القراء (جبله بن زحر ابن قيس الجعفى) ويقتلوه(٣).

١- (١) المصدر السابق نفسه.

٢- (٢) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ٦، ص ٣٥٨.

٣- (٣) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص ٨٢.

ونجحت الخطه؛ إذ أثَّرَ مقتل (جَبَلَه) تأثيراً كبيراً فی عزيمه القراء لأنهم فقدوا التوجيه القيادی الذی يعتمد عليه أسلوب القتال حينذاك، فصاروا يتحركون فی المعركه بصوره تفتقر إلی التوزيع والتنظيم؛ مما جعل كتائب الحجاج تتفوق عليهم وتكسر شوكتهم.

وترتب علی انكسار شوكه (كتيبه القراء) انهيار فی معنويات باقی الثوار، يُضاف له ما تخلل المعركه من مساومات ووعود ورشاوی لبعض قواد الكتائب الأخری لتحريضهم علی التخلی عن ابن الأشعث.

وبدأ انهيار جيش ابن الأشعث بهرب قائد ميسره ابن الأشعث (الأبرد بن قرّه التميمی)(۱) فتخاذلت الميسرهُ كلها، وبعدها بدأت قطعات الثوار تنهار الواحده تِلو الأخری وتشتّتت فی ميدان المعركه؛ فأسِرَ مَنْ أسِرَ وهَرَبَ من استطاع الهرب.

أمّا الأسری فقد أقام الحجاج محكمه دمويه تقضی بشأنهم(۲) ؛ ذهب ضحيتها الآلاف من الثوار نتيجه عدم أخذهم برأی قائدهم وقد كانت المبادره بأيديهم.

وأما سعيد بن جبير فكان يعلم بما تنطوی عليهِ سريره الحجاج؛ فلم يسلم نفسه وهرب بعد أن قُتِلَ ابنُ الأشعث(۳).

۱- (۱) المصدر السابق نفسه.

۲- (۲) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ۲، ص ۱۱۳.

۳- (۳) المصدر السابق نفسه.

الفصل الرابع: اختفاء سعيد وعزلته

اشاره

تنقّله بين الأمصار

التقاؤه بإمام زمانه السجاد عليه السلام

ص:۱۸۷

جمع الحجاج الأسرى وانتقم من الأحياء وقتلهم صبراً – وكان عدد من وثق بأمانه الكاذب أحد عشر ألفاً – وبعث من العيون من يفتس عن سعيد بن جبير ليأتى به إليه حياً أوْ مَيِّتاً؛ ولكنه لم يعثر عليه ولم يقف له على أثر؛ لأن سعيداً كان عالماً محبوباً عند الناس، ولقد استطاع سعيد بما وهبه الله من ذكاء أن يختار الأماكن المناسبه الأمينه لِيختفىَ فيها، كى لا تطاله عيون جلاوزه الحجاج أو تناله أيديهم. وكانت الأيام التى أعقبت المعركه مساعده لسعيد على الهرب.

فالعراقيون لم يَنْسَوْا بَعْدُ أرواحَ الضحايا التى أبادها الحجاج صبراً؛ فكيف يهون عليهم التفريط بالبقيه ممن نجا مِنْ بطش الحجاج ما دام لا يبتغى إلّا التخفى والابتعاد عن عيون بنى أميه. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار منزله سعيد وشهرته وتقواه ازْدَدْنا قناعه باحتمال مساعده الكثيرين منهم له بالحمايه والإجاره والمال ولوازم الترحال ليبلغ الوِجهه التى يقصدها.

ص:١٨٩

سعيد ينتقل بين الأمصار

إلى أصبهان

مرّت الأيام على سعيد عصيبه وهو يقاسى مراره فشل الثوره بعد أن تحوّلَ النصر إلى هزيمه وهو يعانى الكبْتَ ولوعه فراق الديار والأهل والأصحاب، متوجهاً إلى أصبهان.

وأصبهان هذه قد سبق أن دخلها سعيد قبل أن يلجأ إليها هارباً!

ولعله كان قد زارها لغرض غير (الحديث).

فالروايات تشير إلى أنه: (لمّا كان بأصبهان يسألونه عن الحديث فلا يُحدّث؛ فلما رجع إلى الكوفه حَدَّثَ، فلما سُئِلَ فى ذلك قال: انشر بَزَّكَ حيث تُعرف)(١).

والدليل على أن سعيداً قد زار أصبهان من قبل، هو ما فى هذه الروايه التى مرّت علينا من إشاره صريحه على عدم التحدث، بينما نجد روايات كثيره رواها جماعه من أهل أصبهان بالتواتر عن سعيد منهم (جعفر بن أبى المغيره وحُجر الأصبهانى ويزيد بن هزارى والقاسم بن أبى أيوب)(٢).

١- (١) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٢، ص ١١٣.

٢- (٢) ذكر أخبار أصبهان لأبى نعيم: ج ١، ص ٣٢٤.

وهـذه الروايات موثقه تكشف لنا حقيقه أنّ سـعيداً قـد بدأ الحديث فى أصـبهان لما دخلها هارباً، وأما الزياده الأولى فلم يحدث فيها، ولعلها كانت له فيها إقامه قصيره حيث تشير الروايات إلى أنه ارتحل عنها إلى العراق وسكن قريه سنبلان.

وبـديهى فإنه ليس من المعقول أن يترك سـعيد أصـبهان بعد لجوئه إليها هرباً من بطش الحجاج ويعود إلى العراق ليكون تحت طـائفه عيون الحجاج؛ كما لا يمكن أنْ نُسَـلِّمَ بما ورد فى الروايه الأولى من أنه (لمّا رجع إلى الكوفه حـدّث) إلّا عَلى أنها كانت قبـل اشـتراك سـعيد فى الثـوره، وإلاّـ كيـف يعقـل أن يقـع ذلـك ويفلت سـعيد من ملاـحقه الحجـاج وهـو ذلـك العلم الجهبذ المعروف، والذى لم يَفْتُرْ سَعى الحجاج يطلبه حثيثاً.

هذا شـىء وهناك أشـياء أخرى تدل على أن الحجاج قد علم عن طريق جواسـيسه وضـعاف النفوس ممن جعلوا من التقرب إلى السـلطان عبـاده فكان مثل هؤلاء عوناً للحجاج يخبرونه بمكان سـعيد؛ حيث نجـد فيما ورد عن المؤرخين أن الحجاج يكتب إلى عامله على أصبهان: (إنَّ سعيداً عندك فخذه)(١).

فيتحرج عامل الحجاج من القبض على سعيد فيطلب من سعيد راجياً إياه أن يترك أصبهان ويتحول عنه(٢).

ويبـدو من واقع الحـال والمعرفه بالرجال أنّ سـعيداً حين لجأ إلى أصـبهان كان مطمئناً إلى عاملها وطيبته وحمايه أهلها، إذ تشـير المصادر التأريخيه إلى أنّ أهل أصبهان (بعد لجوء سعيد إليهم صاروا يَفِدون عليه لأخذ العلم عنه حيث كان

١- (١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ۴۸۸؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ۱۳۰.

٢- (٢) المصدر السابق نفسه.

يصلى فى المسجد المعروف بمسجد جُلجله بن بديل التميمى)(۱).

ومن كل ذلك يتبين للقارئ أن سعيداً لما هرب إلى أصبهان إنما كان عن معرفه سابقه بها؛ كما يتوضح له أيضاً الغموض الذى بدت عليه بعض الأخبار المرويه عن هذه المرحله من حياه سعيد وكأنها متعارضه والتى أوقعت بعض المؤرخين فى الاشتباه والخلط فى سرد الحوادث ودفعت البعض الآخر إلى الإحجام عن إعطاء الحكم القاطع فى ذكر أخبار سعيد كقولهم: (لما هرب إلى أصبهان... ربما دخل الكوفه فى بعض الأحيان فحدّث)(۲).

وبالاستدلال المذكور نفسه نستطيع أن نطرح جانباً ما جاءت به بعض الأخبار التى ذهبت إلى (أنّ سعيداً لما انهزم ابن الأشعث لحق بمكه)(۳)، وذلك لأسباب عديده منها: أن الفتره بين هرب سعيد من وجه الحجاج عام (۸۲ ه -) وبين إلقاء القبض عليه عام (۹۵ ه -) تبلغ ثلاثه عشر عاماً؛ وقد صَوَّرَ سَعيدُ ذلك أدقّ تصوير فى يوم (عَرَفَه) قبل القبض عليه بيوم واحد لمّا سُئِلَ عن المده التى هرب فيها عن وجه الحجاج وفارق أهله فقال: (خرجت عن امرأتى وهى حامل فجاءنى الذى فى بطنها وقد خرج وجهه)(۴).

ومثل هذه المده الطويله لا يعقل أن يقضيها سعيد فى مكه والحجاج لا يدرى ولا يحرك ساكناً وعيونه تترصد أهل المواسم من المعتمرين والحاجّين! يضاف إلى ذلك الأدله التاريخيه التى مرّت علينا والتى تثبت أنّ سعيداً حدّث فى أصبهان وكان

۱- (۱) ذكر أخبار أصبهان لأبى نعيم: ج ۱، ص ۳۲۴.

۲- (۲) البدايه والنهايه لابن كثير: ج ۹، ص ۹۸.

۳- (۳) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۳؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ۲، ص ۱۱۳.

۴- (۴) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۹۰؛ تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ۴، ص ۱۲.

له رواه عديدون وما خلق له هذا الأمر من مشاكل مما تسبب فى انكشاف مكمنه وتوجه العيون إليه والحديث عنه فى مجالس أصبهان الخاصّه والعامّه، وإلّا كيف نفسر كتابه الحجاج إلى عامل أصبهان فى شأنه لأخذه؟ وليس هذا فحسب بل لهذا الدليل ما يعضده ويتممه.

فى أذربيجان

حيث وجد سعيد أنّ بقاءه فى أصبهان فيه خطر عليه وحرج على عاملها الذى آواهُ وأحسن إليه؛ تَنَحّى عنه وأتى إلى آذربيجان(١) - وهذه المدينه كانت قد فُتِحَتْ فى حكومه عمر بن الخطاب وتولّاها الأشعث بن قيس والد عبد الرحمن بن الأشعث(٢).

وكانت كثير من القبائل العربيه قد نزحت إليها فى ولايه (الأشعث بن قيس) فأسكنَ حاضِرتها (أردبيل) أهل العطاء والديوان ومَصَّرَها وبَنى مسجدها الجامع(٣).

واختارها سعيد مسكناً وملجأً له لسنين طويله(٤) يتنقّل بين أمصارها مطمئناً إلى الحمايه من قبل أهل عبد الرحمن بن الأشعث وقبيلته؛ يؤدى رسالته فى نشر العلوم الدينيه.

ثم رحل سعيد إلى خراسان لفتره وجيزه ولكنه لم يمكث فيها مدّه طويله إذ عاد إلى أذربيجان؛ لأنه كان لا يسأله أحد هناك عن شيءٍ من العلم فكان يقول:

١- (١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ۴۸۸؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ١٣٠.

٢- (٢) فتوح البلدان لأبى الحسن البلاذرى: ص ٣٢۴، طبع القاهره لسنه ١٩٥٩ م.

٣- (٣) المصدر السابق نفسه.

۴- (۴) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ۴۸۸.

(إنّ مِمّا يهمّنى ما عندى من العلم وددتُ أنّ الناسَ أخذوه)(۱).

وطال مقام سعيد فى أذربيجان، ومراره الحسره والشوق إلى مكه المكرمه تحزّ فى نفسه وهو الذى تعوّد أنْ يَفِدَ إلى مكه مرتين فى العام، مرّه للحج وأخرى للعمره أيام كان فى الكوفه.

وفى يوم من الأيام طفح كيل الصبر عند سعيد حيث تاقت نفسه إلى مكه فدفعه الوجد والشوق إلى ترك الحيطه والحذر وشدّ الرحال إلى بيت الله الحرام فخرج من أذربيجان بقصد العمره إلى مكه فإذا به يتشبث بها ويختارها مقاماً دائماً ولم يفارق بيت الله الحرام إلّا إلى حتفه.

فى مكه المكرمه

وصل سعيد إلى مكه المكرمه فى ولايه عمر بن عبد العزيز على الحجاز - أيام خلافه الوليد بن عبد الملك -(۲).

وكان قد لجأ إليها الكثير من أهل العراق ممن فرّوا إليها هرباً من ظلم الحجاج وعدوانه، لجأوا إلى الحجاز بعد أن اطمأنّوا إلى واليها (عمر بن عبد العزيز) وحمايته لهم(۳).

ومن هؤلاء (من اشترك فى ثوره ابن الأشعث إلّا أنهم كانوا يستخفون فلا يخبرون بأسمائهم(۴). حذراً وخَشيه أن يصل أمرهم إلى أعوان الحجاج فيظفروا بهم،

۱- (۱) البدايه والنهايه لابن كثير: ج ۹، ص ۹۸.

۲- (۲) العبر لابن خلدون: ج ۳، ص ۶۵، طبع القاهره لسنه ۱۳۸۴.

۳- (۳) المصدر السابق نفسه.

۴- (۴) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ۴۸۸.

أو خَشيه التفريط بالحمايه التى يتمتّعون بها هم وإخوانهم من الذين لجأوا إلى (عمر ابن عبد العزيز) الذى منع الحجاج عنهم(۱).

من هذا الواقع نستشف أسباب الثورات على الحكام من قبل سعيد وأمثاله فالحجاج كان والياً للأمويين على العراق وكان جائراً فثار عليه أهل العراق وكان عمر بن عبد العزيز والياً للأمويين على الحجاز ولكنه عدل وأتقى الله فكان ملجأ للهاربين من جور الحجاج.

۱- (۱) العبر لابن خلدون: ج ۳، ص ۶۵.

سعید یتصل بإمام زِمانه علی بن الحسین علیهما السلام

فی الحجاز کان سعید بن جبیر یتمتع بحمایه خاصه من قبل (الوالی علی الحجاز عمر بن عبد العزیز)، حیث تواترت الأخبار علی: أن سعید بن جبیر کان یأتمّ بعلی بن الحسین علیه السلام وکان علی بن الحسین علیهما السلام یثنی علیه، وأنه کان من أصحابه(۱).

وَلمّا کنّا نعلم الظروف التی کان یعیشها الإمام علیه السلام والعیون التی کانت مبثوثه حوله من قبل الحکام الأمویین بالتعاقب من أیام (یزید بن معاویه، ومروان بن الحکم وعبد الملک بن مروان والولید بن عبد الملک) لِما له من شأن عظیم فی الأمه؛ أمکننا أن نستنتج مما ورد عن اتصال سعید بن جبیر بعلی بن الحسین علیه السلام إنما علی علم من (عمر بن عبد العزیز) وبتغاض منه متعمد.

نستدل علی ذلک من کتاب یبعث به عمر بن عبد العزیز إلی الولید بن عبد الملک عام (۹۳ ه -) یقص علیه أفعال الحجاج بالعراق وما هم فیه من ظلمه وعدوانه(۲).

۱- (۱) رجال الکشِّی: ص ۱۱۰، طبع کربلاء؛ رجال الطوسی: ۹۰-۹۱؛ الاختصاص للمفید: ص ۲۰۵، طبع طهران لسنه ۱۳۷۹ ه -؛ منتهی المقال للحائری: ص ۱۴۶، طبع طهران لسنه ۱۳۰۰ ه -؛ جامع الرواه للأردبیلی: ج ۴، ص ۳۵۹؛ الاحتجاج للطبرسی: ص ۳۵۵.

۲- (۲) مقدمه العبر لابن خلدون: ج ۳، ص ۶۵.

الفصل الخامس: الحجاج ينشط فی البحث عن سعید

اشاره

القبض علی سعید فی مکه

سعید فی الطریق إلی واسط

قِصّه سعید والراهب

ص:۱۹۷

وصل للحجاج خبر عن ظهور سعيد فى صحبه الإمام على بن الحسين عليهما السلام وائتمامه به فَجُنَّ جُنون الحجاج إذ وجد فى ذلك تحدّياً من سعيد له، وهو الذى كان يرى فى خُطَبِ سعيد أيام ثوره ابن الأشعث تصدر من لسان أحدّ كثيراً من سيوف ابن الأشعث عليه فى دير الجماجم، فبعث العيون والجواسيس لكى يتقصّوا أثره ويعلموا مكان تواجده؛ ولم يألوا جهداً حتى حدّدوا له البيت الذى يسكن فيه(۱).

ولكن الحجاج سكت على ضِغْنٍ ومضض، وأحجم عن أن يُقدِم على التعرض لسعيد بسوء وهو فى كنف عمر بن عبد العزيز وحمايته؛ وظلّ متربصاً به الدوائر يتحين الفرصه ليظفر به وينال منه.

ثم تطورت الأمور إلى الحد الذى جعل الحجاج يتمادى فى غيّه ويصل فى حقده إلى حَدِّ تأليب (الوليد بن عبد الملك) على (عمر بن عبد العزيز) ويدفعه إلى عزل عمر بن عبد العزيز(۲) ، خاصه بعد أن بلغه أن (عمر بن عبد العزيز) قد كتب كتاباً إلى (الوليد بن عبد الملك) يصف له فيه ظلم الحجاج وعدوانه، فازداد حقده على (عمر بن عبد العزيز) - والحقد طبع متأصل فى الحجاج باعترافه حين

۱- (۱) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ۴۹۰.

۲- (۲) مقدمه العبر لابن خلدون: ج ۳، ص ۶۵.

وصف نفسه لعبد الملك مرّه قائلاً: (أنا لجوج حسود حقود)(۱) -.

ولكن الحجاج كما وصف نفسه مال إلى طبعه من اللجاجه والحسد والحقد وراح يكيد لعمر بن عبد العزيز عند الوليد بن عبد الملك بما أوتى من دهاء وقوه عباره وسوء وذمه؛ فكان مما كتب إلى الوليد فى عمر: (... إنّ كثيراً من المُرّاق وأهل الشقاق قد انجلوا عن العراق ولحقوا بالمدينه ومكه ومنعهم عمر، وذلك وهن...)(۲).

فاستجاب له الوليد وعزل (عمر بن عبد العزيز) عن ولايه الحجاز وَوَلّى مكانه (خالد بن عبد الله القسرى) - وكان يوصف بأنه رجل سوء لا يؤتمن -(۳).

۱- (۱) العقد الفريد لابن عبد ربه: ج ۳، ص ۲۵۴.

۲- (۲) مقدمه العبر لابن خلدون: ج ۳، ص ۶۵.

۳- (۳) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ۴۹۰؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ۱۳۰.

القبض على سعيد فى مكه

ولما بلغ أهل العراق ممن يتخفّون فى مكه أنّ (خالـد بن عبد الله القسـرى) صار والياً على الحجاز؛ جاء (مجاهد)(۱) - عثمان بن عاصم الملقب بأبى حصين - إلى سعيد يرجوه أنْ يَضْعَنَ عن الحجاز خوفاً عليه من بطش خالد بن عبد الله القسرى بعد أنْ ذهب من يحميه ولكن سعيداً أبى، وَرَدَّ قائلاً لمجاهد: (يا أبا حصين قدْ واللهِ فررت حتى استحييت من الله! سيجيئنى ما كتب الله لى...)، فَرَدّ عليه مجاهد: (أظنك واللهِ سعيداً كما سمتك أمك...)(۲).

وقـدم خالـد بن عبـد الله القسـرى إلى الحجـاز ومعه (عثمـان بن حيـان المرّى) واسـتلم ولايتهـا، ومعه أمر من الوليـد بـإخراج من بالحجـاز من العراقيين من أهل العِراقَيْنِ وحملهم إلى الحجاج بن يوسـف(۳). بعـد أن كثر إلحاح الحجاج على الوليـد راجياً إياه (أن يأخذ له فى أهل العراق ممن لجأ إلى مكه والمدينه)(۴).

۱- (۱) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ۴۸۸.

۲- (۲) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ۱۳۰؛ تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ۴۸۸.

۳- (۳) تاريخ اليعقوبى لأحمد بن يعقوب بن واضح الأخبارى اليعقوبى: ج ۳، ص ۳۴، طبع النجف الأشرف لسنه ۱۳۵۸ ه -.

۴- (۴) تاريخ الرسل والملوك: ج ۶، ص ۴۸۸.

فبعث خالد بن عبد الله القسری عثمان بن حیان المرّی إلی المدینه لإخراج من بها من العراقیین(۱).

فجلبهم هذا مکبّلین بالقیود، وتکفّل خالد مَنْ بمکّه من العراقیین؛ ولم یطل به البحث عن سعید فقد (وَشی به واشٍ فأخبرهم أنه یطوف بالکعبه، - وکانت أیام عید الأضحی - فقبض علیه مع عشره من أصحابه وأکملوا الطواف وهم مقیّدون داخل الکعبه)(۲).

ولم یقاوم سعید وهو فی ثیاب الإحرام - وهی لأمثاله من الأتقیاء کیوم الحشر - فأوکل أمره إلی الله وأتمّ الطواف علی تلک الحال لیؤخذ بعد ذلک إلی والی الحجاز - خالد بن عبد الله القسری -.

فتحققت فی سعید وصحبه نبوءَهُ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم حین قال: (یُؤتی بقوم من ها هنا، یُقادون إلی حظوظهم فی السَّواجیر) فقال الجاحظ وهو یشرح الحدیث؛ (فأوتِیَ بسعید بن جبیر إلی الحجاج وفی عنقه ساجور، وهی زماره القید)(۳).

۱- (۱) تاریخ الیعقوبی: ج ۳، ص ۳۴.

۲- (۲) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۴.

۳- (۳) البیان والتبیین للجاحظ: ج ۳، ص ۶۳.

سعید فی الطریق إلی واسط

بعد أنْ تَمَّ القبض علی سعید بن جبیر وعطاء ومجاهد وعمرو بن دینار وطَلْق، مِنْ قبل خالد بن عبد الله القسری؛ أبقی منهم عمرو بن دینار وعَطاء لأنهما مکیّان وبعث بسعید ومجاهد وطلق إلی الحجاج بن یوسف الثقفی والی العراق)(۱).

أما (طلق) فقد مات فی الطریق وبقی سعید ومجاهد مع الحرس.

والظاهر أنّ الحراس بعد موت (طلق) تکفل کل جماعه بأسیر؛ لأننا لم نسمع عن (مجاهد - عثمان بن عاصم الملقب بأبی حصین -) شیئاً وهو فی الطریق إلی الحجاج، بل کلُّ ما تذکره لنا الروایات المتوفره هو أنه (حُبِسَ حتی مات الحجاج)(۲).

أمّا سعید فقد نزل به حرسیّاهُ فی مکان قرب (الرّبذه) وکان الوقت لیلاً فانطلق أحد الحرسین لحاجه وظل الثانی مع سعید وهو مقید القدمین.

وتَذْکُرُ بعض الروایات أنّ هذا الحارس غلبه النوم من التعب ووعثاء السفر ثم استیقظ بعد بُرهه مذعوراً یتبرّأ من دم سعید، یعرض علی سعید الهرب، وسعید

۱- (۱) تاریخ الرسل والملوک للطبری: ج ۶، ص ۴۸۸؛ الکامل فی التاریخ لابن الأثیر: ج ۴، ص ۱۳۰.

۲- (۲) الکامل فی التاریخ لابن الأثیر: ج ۴، ص ۱۳۰؛ تاریخ الرسل والملوک للطبری: ج ۶، ص ۴۸۸.

لم يُجِبْهُ إلى طلبه(١) حفاظاً على حياه الحارسين من بطش الحجاج ورغبه من سعيد عن الهرب.

ولما قدموا إلى الكوفه سمح الحرسيان لسعيد أن يبيت فى داره؛ وعلم قراءُ الكوفه بذلك فدخلوا عليه فوجدوه يداعب بُنيّةً له وهى فى حجره، وهم يحادثونه حتى طلع الصباح.

ولما قام إلى مصيره رأت الطفله القيد فى رجله فبكت؛ فَشَقّ على سعيد ذلك وقال لها مواسياً (أى بُنَيَّه لا تَطَيَّرى)(٢).

وسار سعيد مع الحَرَسِيَّيْن وأهل الكوفه يشيعونه حتى عَبَرَ جِسْرَ الفرات باتجاه واسط ليلقى الحجاج(٣).

هذا ما كان من أمر سعيد بن جبير وهو فى طريقه إلى الحجاج، وهو ما نُرَجِّحُهُ لاتفاق أغلب الروايات وتواترها فى ذلك ولأنه من خلال التمحيص ينطبق مع واقع الحال وما ثبت عن سعيد وَمَلَلِهِ مِن الفرار وعدم مُبالاته عندما حذّره (مجاهد)، حتى قُبِضَ عليه وهو يطوف مع أصحابه بالكعبه، وتوفر الروايات فى ذلك من عده طرق.

أما ما رُوِىَ من روايات حول كيفيّه أخرى تم فيها القبض على سعيد بمساعده (الراهب) وعدم دخول سعيد إلى داخل فناء الدير، وقصه حراسه اللبوه والأسد لسعيد وهو خارج الدير فهى روايات لا تتطابق مع واقع الحال ويرفضها منطق العقل؛ وإن تصورها البعض أنها من كرامات هذا الولى الشهيد

١- (١) المصدر السابق نفسه.

٢- (٢) تاريخ الرسل والملوك: ج ٦، ص ٤٨٩؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص ١٣٠.

٣- (٣) المصدر السابق نفسه.

قبل استشهاده فأقول؛ إنه قد مَرَّ القارئ الكريم على فصل (نتاجهِ الفكرى) ما لسعيد من كرامات منها كرامه كونه مستجاب الدعاء منـذ نعومه أظفاره إلى اللحظه التى دعا فيها على الحجاج أن لا يسلّطه الله على أحـدٍ من بعـده، وكرامه كهذه إذا ما قورنت بهذه الروايه لهى أعظم منزله عنـد الله وأمضـى تأثيراً فى النفس وأقرب إلى حكم العقل، وأرسـخ للعِبْرَهِ عند المؤمن حين يدرس تراثه الفكرى ويجد أن شهيداً مظلوماً دعا على ظالمه فقتله الله بعده شر قتله كما سنبين ذلك بعد هذا الفصل.

ص:٢٠٥

قصّه سعید والراهب واللبوه

إنّ هـذه الروایه وإن بَدَتْ منسـجمه ومقبوله عند البعض؛ إلّا أنّها لا تصـمد للمناقشه والتحلیل وتبدو ملیئه بالتناقضات التی تجعلها بعیده عما ثبت عن سعید وموقفه من الهرب ومع ما جری له حقّاً وهو فی الطریق إلی سیف الحجاج المتعطش للدماء.

ولاـ نریـد طرح الروایه من البحث قبـل ذکر تفاصـیلها ومنـاقشه مـا جاء فیها من أحـداث ومقارنتها مع واقع الحال مع الإشاره إلی بعض الحقائق التی تـدل علی أنّ الروایه قـد تغاضت وتغافلت عن حقائق کثیره؛ لتعرض علینا بأسـلوب قصصـی شـیق لا یخلو من إثاره بدیعیه سادت فی العصور المتقدمه.

یقول الراوی: (- إنّ الحجـاج بن یوسف لمّـا ذُکِرَ له سـعید بن جبیر، أرسـل إلیه قائـداً من أهل الشام من خاصه أصـحابه یسـمی (المتلمس بن الأـحوص) ومعه عشـرون رجلاًـ من أهل الشام؛ وبینما هم یطلبونه فإذا هم ب - (راهب) فی صومعه له فسألوه عنه، فقال الراهب: صِفوه لی فوصفوه له فدلّهم.

فانطلقوا فوجـدوه ساجـداً یناجی بأعلی صوته فدنوا منه فسـلموا علیه، فرفع رأسه فأتمَّ بقیه صـلاته ثم رَدَّ علیهم السـلام. فقالوا: إنّا رسل الحجاج إلیکَ فأجِبْهُ! قال: ولابُدَّ من الإجابه؟ قالوا: لابُدَّ من الإجابه.

فحمد اللَه وأثنى عليه وصلى على نَبِيِّهِ ثم قام فمشى معهم حتى انتهى إلى دير الراهب...)(۱).

إلى هنا ونتوقف قليلاً ـ عن سرد القصه لنناقش بعض ما جاء فى هذا الجزء منها مع مقارنتنا إياه بما ثبت من روايات القبض على سعيد وما تؤيده الوقائع التأريخيه والتى منها ما عرفناه من المكاتبه بين الحجاج والوليد بن عبد الملك بشأن سعيد بن جبير وجماعته، وعزل الوليد لابن عمه عمر بن عبد العزيز بسبب ذلك وتوليه خالد ابن عبد الله القسرى، ثم كتابه الوليد إلى خالد كتاباً بالقبض على سعيد وجماعته(۲).

وقول الحجاج لمّا جِيءَ بسعيد: (كنتُ أعرف حتى البيت الذى فيه فى مكّه)(۳) - كما سنبينه فى الفصل السادس - ومحاوره سعيد مع صديقه مجاهد وطوافه مقيداً، وما رُوِىَ عنه من قوله: (وشى بى واش فى بلد الله الحرام، أَكِلُهُ إلى الله)(۴).

ومحاوره الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام لأبى حنيفه فى شأن سَعيد لمّا سأله عن قوله تعالى:... وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً...۵ : «أىَّ موضع هذا؟»، قال أبو حنيفه: ذلك بيت الله الحرام، فقال عليه السلام: «نشدتكم باللهِ هل تعلمون أنّ عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلا فلم يأمنا»، قال أبو حنيفه: فاعفنى يا بنَ رسول الله)(۵).

۱- (۱) حِليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ۲۹۱.

۲- (۲) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ۴۸۸.

۳- (۳) تاريخ الرسل والملوك: ج ۶، ص ۴۹۰.

۴- (۴) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۶، ص ۲۶۴.

۵- (۶) سفينه البحار للشيخ عباس القمّى: ج ۱، ص ۶۲۲.

هـذه وقـائع حفظها لنا التاريـخ بأمانه وهى بمجملها تتعارض مع ما ورد فى صـدر الروايه - كما أنها روايه آحاد - من (أنّ رسـلَ الحجاج وجدوا راهباً فى صومعه فسألوه عن سعيد، وطلب الراهب منهم أن يصفوه ليدلهم عليه، ثم انطلقوا فوجدوه).

هـذا مع أنّ الروايه نفسـها لم تسـلم من التناقض؛ إذ كيف تسـنّى لراهب فى صومعه منقطع إلى الله يسـهم فى مثل هذا العمل، ثم كيف تفرغ هـذا الراهب لشؤون الناس ليعرف أوصافهم ومنهم سـعيد بن جبير بالذات؟ وأين يا ترى كانت صومعته؟ هل هى فى مكه؟ أم فى المـدينه؟ مع علمنـا بـأن نصارى الحجاز نزحوا عنها وسـكنوا فتوح الشام منـذ حكومه عمر بن الخطاب؛ فكيف أُتِيحَ لراهب أن يسـكن صومعه قرب مكه - وهى المكان الـذى أجمعت الروايات على أن القبض على سـعيد قـدْ تَمَّ فيه؛ فكيف تتبعه هذا الراهب بهذه الدقه فحدّد لهم مكانه بمجرد أنْ وصوفه له!

وورد أيضاً فى الروايه أنهم (دَنَوْا مِنْ سعيد فسلّموا عليه، فرفع رأسَه فأتمَّ بقيه صلاته، ثم ردّ عليهم السلام)(1).

وهـذا ينـافى أبسـط آداب الصـلاه، وهو أمرٌ لا يمكن أن يكون سـعيد ممن يجهل أمره؛ وهو أنّ رَدَّ السـلام واجب على الفرد أنْ يردَّه بمثل لفظه؛ فكيف يُسَلَّمُ على سعيد ولا يجيب إلّا بعد إتمام الصلاه! ولو سلّمنا بحدوث ذلك نكون عندها قد وصمنا سعيداً بالجهل بأبسط الأحكام الشرعيه!

وتسـتمر الروايه لتقول: (أنه بعد أن انتهى إلى دير الراهب؛ قال الراهب: يا معشـر الفرسان! أصبتم صاحبكم؟ قالوا: نعم! فقال لهم: اصـعدوا الدير فإن اللبوه والأسد يأوِيان حول الدير، فعجلوا الدخول قبل المساء! ففعلوا ذلك، وابى سعيد أن يدخل الدير؛ فقالوا: ما نراك إلّا وأنت تريد الهرب منا! قال: لا ولكن لا أدخل

١- (١) حِليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ٢٩١.

منزل مشرک أبداً. قالوا: فإنا لا نَدَعُکَ، فإن السباع تقتلک، قال سعید: لا ضیر إن معی ربی سیصرفها عنی ویجعلها حرساً حولی یحرسوننی من کل سوء إن شاء الله.

قالوا: فأنت من الأنبیاء! قال: ما أنا من الأنبیاء ولکن عبد من عبید الله خاطئ مذنب.

قال الراهب: فلیعطنی ما أثق به علی طمأنینته، فعرضوا علی سعید أن یعطی الراهب ما یرید. قال سعید: إنی أعطی العظیم الذی لا شریک له لا أبرح مکانی حتی أصبح إنْ شاء الله. فرضی الراهب ذلک...)(۱).

وأهم ما یُناقش به هذا القسم من الروایه هو ما ورد علی لسان الراهب قوله: (فلیعطنی ما أثق به علی طمأنینته؟) تُری؛ لِمَ یهتم الراهب بأخذ الضمان من سعید أکثر من اهتمام الحراس بالأمر؟ حتی لیشعر المرء کأن صاحبنا حریص علی تنفیذ أمر الحجاج أکثر من الحراس أنفسهم وهم کما تشیر الروایه (خاصهِ الحجاج) فهو بهذا السلوک یعطی لنا صوره من هو مَلَکِی أکثر من الملک.

ومن جهه أخری فإن موقف الحراس وقبولهم بقاء سعید فی الخارج هو الآخر یتناقض مع ما وصفتهم الروایه من اعتماد الحجاج علیهم واختیارهم من خاصته.

إذ کیف یتفق هذا مع السماح لسعید بالبقاء خارج الدیر - وهو الطرید الذی تجشموا العناء من أجل الوصول إلیه وعلیهم الحرص علی حمایته حتی تسلیمه إلی الحجاج؛ ومثل هذه المهمه الخطیره لا تحتمل التهاون والمجازفه بالسجین إرضاءً لمشاعره، کما لا تتلاءم مع ما یبدو فی سیاق الروایه من اقتناعهم بأقوال سعید، ومع ما تذکره الروایه - کما سیأتی - فی سردها من تجشمهم مشقه السهر

۱- (۱) حِلیه الأولیاء لأبی نعیم: ج ۴، ص ۲۹۱-۲۹۲.

وفی أیدیهم القسی موتوره لینفرّوا السباع عن سعید إذا ما أتت لیلاً!

إذ تذکر الروایه؛ أنّ الراهب قال لهم: (اصعدوا وأوتروا القسی لِتُنَفِّروا السباع عن هذا العبد الصالح)(۱). ثم إطلاق السهام (مساءً) بدقه وبسرعه تجعلهم قادرین علی تخلیص سعید فی آخر لحظه وقبل أن تتمکن براثن اللبوه منه دون احتمال إصابته بسهم طائش من حارس أرهقه المسیر نهاراً ثم جاء لیکمله بالسهر لیلاً لا لشیءٍ إلاّ إرضاءً لرغبه أسیرٍ وُکِّلَ بتسلیمه إلی الجلاد حیّاً!

ولعل الروایه قد هیأت بما مضی حصول هذا الفاصل الذی ختمت به الروایه؛ - وهو کما ورد فی خاتمتها -: (وإن الراهب لمّا رأی ذلک وأصبحوا؛ نزل إلیه فسأله عن شرائع دینه وسنن رسوله محمد صلی الله علیه - وآله - وسلم ففسر سعید ذلک کلّه فأسلم الراهب وحسن إسلامه. وأقبل القوم علی سعید یعتذرون إلیه ویقبلون یدیه ورجلیه ویأخذون التراب الذی وطأه باللیل لیصلّوا علیه)(۲). ولا أدری لما التراب الذی وطأه باللیل دون التراب الذی وطأه بالنهار!!!

وهنا یلاحظ القارئ کلاماً مدبّجاً لا یحوی إلاّ صوراً فیها من الإیغال فی المبالغه لطمس معالم حقیقیه أراد بنو أمیه وصنیعتهم الحجاج أن تُنسی؛ (فَبَیْتُ الله الذی من دخله کان آمناً هدمَه الحجاج علی ابن الزبیر إرضاءً لعبد الملک فلم یأمن ابن الزبیر فیه من بطش الحجاج عام (۶۸ ه -)، ولا أمِنَ سعید یوم لجأ إلیه وأسروه وصحبه وقیدوه، وأتم طوافه مقیداً واقتید إلی الحجاج علی تلک الحال) فَهُمْ مَنْ دَفَعَ المالَ لوعاظ السلاطین لیختلقوا هذه القصه وسوّقوها بدلاً عن الحقیقه المرّه التی کانت وصمه عارٍ لحکمهم الجائر! والقصه علی ما جاء فیها نری فیها الکثیر مما

۱- (۱) حلیه الأولیاء لأبی نعیم: ص ۲۹۲.

۲- (۲) المصدر السابق نفسه.

لا يرضى به سعيد وهو المؤمن العارف بأحكام دينه.

فكيف يرضى أن تُقَبَّلَ يداه ورجلاه وأن يُصَلّى على التراب الذى وطأه بالليل - وهذا طبعاً يستلزم البحث والتنقيب لئلا يختلط بالتراب الذى وطأه الأسد ولبوته وما تناثر عليه من بعض شعرهما النجس طبعاً لكونهما مفترسين! دعك عما التصق بملابس سعيد لمّا تمسحا به تبركاً!

وهذا كله مما يتنافى وسيره هذا العبد الصالح الذى أُخذ مقيداً بملابس الإحرام من جوف المسجد الحرام وهو يطوف حول الكعبه، هذه الحقيقه ثبتت وستبقى تصور بُعْدَ الحجاج وأسياده عن روح الإسلام؛ نَعَمْ فالملك عقيم والمال موفور لمن يقف على أعتاب الملوك ليزوّق ما يتعارض من أعمالهم مع شرع الإسلام!!!

ثم تسرد الروايه ما يجعلها مقبوله لدى القارئ:

فيقولون له: (... يا سعيد قد حَلّفَنا الحجاج بالطلاق والعتاق، إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نُشْخِصُكَ إليه فمُرنا بما شئت)(١).

ولا أدرى كيف رضى من حلف بالطلاق والعتاق أن يعرّض بأسيره ليتأكد بعد ذلك من أنه سيتخلص من براثن اللبوه والأسد وهم ينظرون!!!

وتستمر الروايه: (... ويقول لهم سعيد: امضوا لأمركم فإنّى لائذٌ بخالقى ولا رادَّ لقضائه، فساروا حتى بلغوا واسطاً)(٢).

وهنا سيستنتج القارئ أن التسليم بهذه الروايه ينسف ويُسقط كل الوقائع التاريخيه التى حدثت لسعيد فى الكوفه بشهاده جمهور قرّائها.

١- (١) المصدر السابق نفسه.

٢- (٢) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ٢٩٢.

وتستمر الروايه، فيقول الراوى: (... فلما انتهوا إليها - أى واسط - قال لهم سعيد: يا معشر القوم، قد تحرمت بكم وبصحبتكم ولست أشك أنّ أجلى قد حضر، وأن المدّه قد انقضت؛ فدعونى الليله آخذاً أهبه الموت وأستعد لِمُنْكر ونكير وأذكر عذاب القبر وما يُحثى عَلَىَّ من التراب فإذا أصبحتم فالميعاد بينى وبينكم الموضع الذى تريدون)(١).

ثم يعود الراوى الذى روى على لسان الحرس ثقتهم بسعيد (... فمرنا بما شئت) فيشكك بسعيد الذى تَحرَّمَ بهم وبصحبتهم... والذى ما خافوا عليه أن يأكله - الأسد - ويضع الرّاوى على لسان بعضهم ردّاً ينافى ما قبله إذ يقول: (... قال بعضهم: لا نريد أثراً بعد عين، وقال بعضهم: قد بلغتم أملكم واستوجبتم جوائزكم من الأمير فلا تعجزوا عنه. فقال بعضهم: يعطيكم ما أعطى الراهب، ويلكم أما لكم عبره بالأسد كيف تحاكت به وتمسّحت به وحرسته إلى الصباح، فقال بعضهم: هو عَلَىَّ أدفعه إليكم إن شاء الله)(٢).

وهنا يلاحظ القارئ صوره عدم اتفاقهم بشأنه تجافى اتفاقهم فى الدير ويومئذ كان الموقف أكثر خطراً!

وتعود القصه فتصور لنا اتفاقهم مره أخرى فيقول الراوى: (فنظروا إلى سعيد وقد دمعت عيناه وشعث رأسه واغبرَّ لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ يوم لقوه وصحبوه؛ فقالوا بجماعتهم: يا خير أهل الأرض، ليتَنا لم نعرفك ولم نسرح إليك! الويل لنا طويلاً، كيف ابتلينا بك! اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر فإنه القاضى الأكبر والعدل الذى لا يجور.

١- (١) المصدر السابق نفسه.

٢- (٢) المصدر السابق نفسه.

فقال سعيد: ما أعذرنى لكم وأرضانى لما سبق من علم الله تعالى فِيَّ، فلما فرغوا من البكاء والمجاوبه والكلام بينهم - [وهى صوره لا تتفق وخاصّه الحجاج!] - قال كفيله: أسألك بالله لما زوّدتنا من دعائك وكلامك، فإنّا لن نلقى مثلك أبداً ولا نرى أنّا نلتقى إلى يوم القيامه)(١).

ثم يقول الراوى: (... ففعل سعيد ذلك؛ فَخَلَّوْا سبيله، فغسل رأسَه ومدرعتَه وكساءَه وهم مِختفون اللّيلَ كله، ينادون بالويل [والثبور] واللهف، فلما انشقّ عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب)(٢).

وهذه الصوره تبين وكما يبدو من وقائعها أنهم فى مدينه أو حَضَر مثل واسط وكل ذلك يحدث وسعيد يتصرف على راحته - وعلى مسؤوليه الحراس - والحجاج وعيونه فى غفله. ويستمر الراوى يصور لنا الموقف بعد أن (قرع سعيد الباب): (... قالوا: صاحبكم وربّ الكعبه؛ فنزلوا إليه وبكوا معه طويلاً؛ ثم ذهبوا به إلى الحجاج وآخَرَ معه)(٣).

وفى نهايه الروايه فقط نسمع ب - (الآخر) مع سعيد، ولعل الراوى أراد أن يكمل الصوره لتبدو أقرب للواقع بعد أن أشارت أغلب الروايات المتواتره إلى أنّ هناك الكثير من العراقيين من قبض عليه مع سعيد وهم يطوفون بالكعبه وأن من عاش منهم رافقه إلى سجن الحجاج فى سراديب واسط ومنهم صديقه مجاهد ومنهم عامر الشعبى؛ وقد ذكرنا أن (طلق) قد مات فى الطريق، فلم يشأ الراوى نفيها لتبدو روايته مقبوله؛ ولم ينسَ الراوى أن يضع لروايه (اللبوه والأسد) نهايه

١- (١) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ٢٩٢-٢٩٣.

٢- (٢) حليه الأولياء: ج ۴، ص ٢٩٣.

٣- (٣) المصدر السابق نفسه.

مناسبه إذ يقول: (فدخلا على الحجاج؛ فقال الحجاج: أتيتمونى بسعيد بن جبير؟ قالوا: نعم؛ وعايَنّا منه العجب. فصرف بوجهه عنهم، فقال: أدْخِلُوهُ عَلَيَّ.

فخرج (المتلمس) فقال لسعيد: استوعدتكَ اللهَ وأقرأ عليكَ السلام فادخل عليه)(۱).

ثم يربط صاحب هذه الروايه نهايتها بالمحاوره المشهوره التى جَرَتْ بين سعيد والحجاج من سؤاله عن اسمه وردّه: أنا سعيد بن جبير، وقول الحجاج له: (أنت شقى بن كسير) كل ذلك ليسبغ على الروايه رداً تبدو به وكأنها روايه صحيحه حقيقيه صادقه لا مجال لإنكارها أو نفيها.

وما أكثر ما دست من الروايات المدلّسه خدمه للسلاطين. ولا أعلّق بأكثر من ذلك وأترك الحكم للقارئ وهواه فى أن يأخذ بها أو يرفضها وأنّى ما ذكرت هذه الروايه ولا أخضعتها لعلم الجرح والتعديل إلّا لأثبت نزاهه سعيد وترفعه عمّا نُسِبَ إليه كيف تطمس معالم جريمه تاريخيه لا تغتفر حين يتجرأ حاكم على بيت الله الحرام الذى من دخله كان آمناً؛ فيقبض على عباد الله فى بيته وقد رأينا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ماذا صَنَعَ لمّا فتح الله له مكه فى ساعه من الزمن؟.

ولكى يقارن القارئ بنفسه بين من هدم الكعبه على ابن الزبير وقتله فيها وصلبه، وبعده تجرأ وأخذ سعيد بن جبير وهو مُحْرِمٌ فى الطواف مُصَفّداً بالأغلال - ويُمَجِّدُه وعاظ السلاطين وبين ما فعله رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بأعداء اللهِ فى بيت الله فى يوم الفتح، تقول مصادر السيره عن فتح مكه: (وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعه حين صلى العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان، وقيل لعرش مضين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

۱- (۱) المصدر السابق نفسه.

والمسلمون صائمين حتى إذا كانوا بالكَدِيد - وهو موضع بالحجاز على بعد اثنين وأربعين ميلاً من مكه بين (عسفان وأمج))(١).

أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا الموضع وأمَرَ الناس فأفطروا، وبلغه أنّ قوماً لم يُفطِروا، فقال: أولئك العصاه(٢).

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولقيه العباس بن عبد المطلب بذى الحُليفهِ - قريه بينها وبين المدينه سته أميال أو سبعه منها ميقات أهل المدينه(٣) -.

وكان العباسُ مهاجراً، فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يُرسلَ رَحْلَه إلى المدينه ويعودَ مَعَهُ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناحيه (مَرِّ الظَّهران)(٤) فى عشره آلاف فارس مِنْ بنى غفار أربعمائه، وسائرهم من المهاجرين والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب ثم من تميم وأسد وقيس)(٥).

(ودخل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مكه ودخل أصحابه من أربعه مواضع وأحلّها الله له ساعه من نهار)(٦).

(ولما دخل رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مكه كانت عليه عِمَّهٌ سوداء، فوقف على باب الكعبه وقال: لا إله إلاّ اللهُ وحده وحده صدق وعده

١- (١) السيره النبويه للسيد سامى البدرى: هامش ص ١٧٨.

٢- (٢) تاريخ اليعقوبى: ص ٥٨؛ السيره النبويه للبدرى: هامش ص ١٧٨؛ إمتاع الأسماع للمقريزى: ص ٣٦٥؛ صحيح مسلم: ج ١، كتاب الأصنام، حديث ٧٨۴.

٣- (٣) السيره النبويه للسيد سامى البدرى: ص ١٧٨.

۴- (۴) المصدر السابق نفسه.

۵- (۵) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ١٣٠؛ السيره النبويه للسيد سامى البدرى: ص ١٧٨.

۶- (۶) السيره النبويه للسيد سامى البدرى: ص ١٧٨.

ونصر عبده وهزم الأحزابَ وحده)(١).

(ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أنى فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فعفا عنهم فلذلك سُمِّىَ أهل مكه الطلقاء)(٢).

(ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا وإنَّ مكهَ مُحَرَّمَهٌ بحرمهِ اللهِ لم تحل لأحد من قبلى ولا تحل لأحد مِنْ بعدى، وإنما حُلَّتْ لى ساعه ثم أغلِقتْ فهى محرمهٌ إلى يوم القيامه)(٣).

هذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه سنته وقارن بين فعله وبين ذلك الجندى المرتزق المغمور - الحجاج بين يوسف الثقفى - يوم عصى اللَّه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأبدى استعدادهُ لحرق البيت الحرام على ابن الزبير إن ولّاه عبد الملك بن مروان قياده الجيش الذى أبى قائده أن يعصىَ اللَّه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم إرضاءً للسلطان ونزواته وتخلى عن القيام بهذا العمل المحبط للأعمال وترك القياده فكانت فرصه للحجاج المغمور أن يبرز قائداً مخلصاً للسلطان على حساب دينه وعقيدته، ثم يأتى بعد حين (والى الحجاز للوليد ابن عبد الملك المدعو خالد بن عبد الله القسرى) فيضرب بقول الله تعالى بحق بيته المعظم: (من دخله كان آمناً) عرض الحائط فيلقى القبض على سعيد وجماعته أثناء الطواف ويكبلهم بالقيود، فَيُتمّون الطواف مكبلين، ثم يبعث بهم إلى الحجاج على الحاله التى ذكرنا.

١- (١) المصدر السابق نفسه.

٢- (٢) السيره النبويه للسيد سامى البدرى: ص ١٧٨.

٣- (٣) المصدر السابق نفسه.

الفصل السادس: سعید بین یدی الحجّاج

اشاره

المحاوره بین سعید والحجاج

الحجاج بعد أنْ قتل سعیداً

ص:۲۱۷

لمّا وصل الحرسيان بسعيد إلى واسط قادمين من الكوفه؛ نقلاه إلى حبس الحجاج، وبقى فيه عده أيام قبل أن يأمر الحجاج باستدعائه - وكان قد شيَّعَهُ بعض أهله وأصحابه من الكوفه إلى واسط منهم خالهٌ له استطاعت أن تزوره فى حبسه، وكان أول عمل قامت به نحوه أنْ قَبَلَتْ يده(١).

ولمّا أخرجوهُ من السجن هو وأصحابه وجماعه من السجناء، رآه أحد أصحابه - وهو الربيع بن أبى صالح - فبكى على حال سعيد وهو يراه موثقاً.

فقال له سعيد: (ما يبكيك؟ فقال له: الذى أرى بك قال: فلا تبك؛ فإنّ هذا كان فى علم الله تعالى، ثم قرأ: ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَهٍ فِى الْأَرْضِ وَ لا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها...٢,٣.

وأدْخِلَ سعيد بن جبير وعامر الشعبى ومطرف بن عبد الله الشخّير؛ وكان الحجاج يطرح عليهم هذا السؤال:

(أكافر أنت أم مؤمن؟). فمن قال بالكفر عفا عنه، ومن قال مؤمن قتله.

١- (١) تاريخ واسط لأسلم بن سهل الرزاز بحشل: ص ١٠٠، طبع بغداد لسنه ١٣٨٧ ه -، ١٩٦٧ م.

وكـان أول من تقـدم للإجـابه عـامر الشـعبى حيث قـال: (أصـلح اللّٰه الأمير، نَبا بِنا المنزل واجـدب بنا الجناب واستحلسـنا الخوف واكتحلنا السهر وخبطتنا فتنه لم نكن بها بررہ أتقياء ولا فجره أقوياء).

فقال الحجاج: صدق والله ما برّوا بخروجهم علينا ولا قووا؛ ثم أخلى سبيله.

وتقـدم (مطرف بن عبـد الله الشـخّير) بعـد أن سـأله الحجـاج السؤال نفسه؛ فردّ قائلاً: (أصـلح اللّٰه الأمير؛ إن مَنْ شق العصا ونكث البيعه وفارق الجماعه وأخاف المسلمين لجدير بالكفر).

فقال الحجاج: (صدق، خلّيا عنه)(١).

أما سعيد فقد استمر الحجاج يحاوره أكثر من ساعه قبل أن يأمر بقتله(٢).

١- (١) المصدر السابق نفسه.

٢- (٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٦، ص ٢٦٤.

المحاوره بين سعيد والحجاج

اشاره

لقد وَجَدْتُ بعد دراسه مصادر عديده متنوعه؛ أن بعض المؤرخين كان يختار قسماً منها ويترك قسماً، أوْ يأتى مؤرخ فَيُدَوّنُ قسماً من المحاوره عن مؤرخ قبله ثم يضيف تكمله لها من مؤرخ آخر؛ كما فعل (ابن خلكان) فى كتابه (وفيّات الأعيان) حين نقل عن أبى نعيم والطبرى والمسعودى وكما قام به ابن الأثير فى كتابه (الكامل فى التاريخ) من نقل حرفى عن كتاب الطبرى (تاريخ الرسل والملوك).

ولأهميه هذه (المحاوره) تاريخياً، وجدتنى - بعد تحقيق ومقارنه ما ورد منها فى المصادر التى اعتمدتها فى بحثى - أعمل على تقسيمها إلى مجموعات ليتسنى لى استخلاص الروايه الصحيحه منها.

فجعلت أساسَ المجموعه الأولى ما ورد فى كتاب (حِليه الأولياء) لأبى نعيم وقابلتها بكتاب (مروج الذهب) للمسعودى وكتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان، وهذه المجموعه تناولت المحاوره من جانب معين.

وأما (المجموعه الثانيه) التى تتناول (المحاوره) من جانب آخر، فقد جعلت أساسها ما أخذه ابن الأثير فى (الكامل فى التاريخ) نقلاً عن (تاريخ الرسل والملوك) للطبرى، وقابلتها مع كتاب (المعارف) لابن قتيبه وكتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان - فى روايه ثانيه أيضاً -.

ص:٢٢١

وهناك ملاحظه لابـد من الإشاره إليها وهى أنّى وجـدت أن ابن خلكان قد أخذ الروايتين بنصـهما عن (حليه الأولياء) لأبى نعيم وأبو نعيم هو الآـخر اعتمـد فى نقله على (تاريـخ الرسل والملوك) للطبرى وجاء ابن الأثير بعـده فجمع روايات الطبرى فى روايه واحـده فى كتـابه (الكامـل فى التاريـخ) وقـارنت ذلك بما جاء فى (الإمامه والسـياسه) ولـذا سوف أذكر من المحاوره ما ترجَّح ذكره عنـد الروايه، وسوف أشـير إلى المصـدر الـذى انتهت عنده العباره؛ أو اشترك الراوى فيها مع غيره وسوف أذكر ما يُخَالفه فى الحاشـيه بعد التعليق على كل مجموعه ليتسـنّى للقارئ مسايره البحث فى اسـتخلاص المحاوره الأصـليه من مجموع المناقشـه العامه إذ قد يشاركنى الرأى أو يخرج هو برأى يخالف ما أخرج به أنا من ذلك!

المجموعه الأولى

والروايـه الأسـاس كمـا أسـلفت هى عن (حِليه الأوليـاء)(١) ، مقـابله بمـا فى (مروج الـذَهب)(٢) للمسـعودى، وبمـا فى (وفيات الأعيان)(٣) لابن خلكان.

وتبدأ هذه المجموعه بسؤال الحجاج لسعيد بن جبير: (ما اسمك؟ قال: سعيد ابن جبير.

قال: بل أنت شقى بن كسير.

قال: كانت أمى أعلم باسمى منك(٤).

١- (١) حليه الأولياء لأبى نعيم: ج ۴، ص ٢٩٣-٢٩٥.

٢- (٢) مروج الذهب للمسعودى: ج ٣، ص ١٠٢-١٠٣.

٣- (٣) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٢، ص ١١۴-١١٥.

۴- (۴) فى نسخه (مروج الذهب) قال: (كان أبى أعلم باسمى منك). انظر: ج ٣، ص ١٠٢.

قال: شَقِيتَ وشَقِيَتْ أمك(۱).

قال: الغيب يعلمه غيرك.

قال: لأبدلَنَّك ناراً تلظى.

قال: لو عملتُ أنّ ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً.

(قال فما قولك فى محمد؟ قال: نبى الرحمه وإمام الهدى)(۲).

۱- (۱) لقد اتفقت أغلب روايات المجموعه الأولى على هذا المقطع من النص وإن اختلفت فى الجزئيات، كما فى روايه (الكشّى) فى كتابه (الرجال): ص ۱۰۰، حيث جاء فيها: (... قال: كانت أمى أعلم باسمى؛ سمّتنى سعيد بن جبير. قال: ما تقول فى أبى بكر وعمر...) ثم يعود النص الأصلى حتى ينتهى بقول سعيد: (لم أحب أن أكذبك)، وعنه أخذ الطبرى فى الاحتجاج: ص ۳۵۵-۳۵۶، وعند ابن عبد ربه، (قال: شقِيتَ وشَقِيَتْ أمك. قال: الشقاء لأهل النار. قال: أكافرٌ أنت أم مؤمن. قال: ما كفرتُ بالله منذ آمنتُ به. قال: اضربوا عنقه). العقد الفريد: ج ۳، ص ۲۵۷.ووردت زياده على النص عند أبى نعيم فى (حليه الأولياء): ج ۴، ص ۲۹۳-۲۹۴، ارتأيتُ أن أدرجها هنا فى الهامش لعدم قناعتى بمطابقتها لواقع الحال والذى دفعنى إلى ذلك هو أنَّ هذه الزياده لم ترد عند المسعودى مع أنه أقدم عهداً من أبى نعيم وهذه الزياده هى قول الحجاج لسعيد: (... فما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خُلِقَ من طين والطين تأكله النار؟ قال: فما بالنا نضحك؟ قال: لم تَستوِ القلوب. ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه. فقال سعيد: إنْ كُنْتَ جمعت هذا لتتقى به فزع يوم القيامه فصالح، وإلّا ففزعه واحده تذهل كل مرضعه عما أرضعت، ولا خير فى شيءٍ جمع للدنيا إلّا ما طاب وزكا. ثم دعا الحجاج بالعود والناى؛ فلما ضُرِبَ بالعود ونُفِخَ فى الناى، بكى سعيد. فقال: ما يبكيك! أهو اللعب! قال سعيد: هو الحزن؛ أمّا النفخ فذكّرنى يوماً عظيماً، يوم النفخ فى الصور، وأما العود فشجره قطعت فى غير حق، وأما الأوتار فمعاء الشّاء تبعث معها يوم القيامه. قال الحجاج: ويلك يا سعيد. قال: الويل لمن زُحْزِحَ عن الجنه وأدخل النار). الحليه. انظر: الإمامه والسياسه: ج ۲، ص ۴۲-۴۳.

۲- (۲) لقد انفرد ابن خلكان بهذه العباره بين القوسين وهى غير موجوده فى كتاب (حِليه الأولياء) لأبى نعيم الأصبهانى ولا فى (مروج الذهب) للمسعودى، ولا فى الإمامه والسياسه (لابن قتيبه).

قال: ما قولك فی علی؛ أهو فی الجنه أو فی النار؟(۱).

قال: لو دخلتُها وَعَرَفْتُ مَنْ فیها، عَرَفْتُ أهلها.

قال: فما قولك فی الخلفاء؟ قال: لستُ علیهم بوکیل.

قال: فأیُّهُمْ أحَبُّ إلیك؟ قال: أرضاهم للخالق.

قال: فأیهم أرضی للخالق؟

قال: علم ذلك عند الذی یعلم سرَّهُمْ ونَجْواهم.

قال: أبیت أن تصدقنی! قال: لم أحب أن أکَذِبَك(۲).

قال الحجاج: فاختر أیَّ قتله أقلتك!

قال سعید: اختر لِنَفْسِکَ یا حجاج(۳) ، فو اللهِ ما تقتلنی(۴) قتله إلّا قتلك الله مثلَها فی الآخره.

قال: أفتریدأنْ أعفوَ عنك؟

قال: إن کان العفو فمن الله. وأمّا أنت فلا براءه لك ولا عذر(۵).

قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج من الباب ضحك. فأخبِرَ الحجاج بذلك فأمر بِرَدِّهِ وقال: ما أضحك؟

۱- (۱) وفی الرجال للکشّی: ص ۱۱۰؛ وفی الاحتجاج للطبرسی: ص ۳۵۵-۳۵۶، توجد زیاده: (فما قولك فی أبی بکر وعمر أهما فی الجنه أو فی النار؟ قال لی).

۲- (۲) إلی هذا الحد ومصادر المجموعه تتطابق فی نص الروایه.

۳- (۳) وفی مروج الذهب: ج ۳، ص ۱۰۲ (اختر یا شقی لنفسك...).

۴- (۴) وفی مروج الذهب: ج ۳، ص ۱۰۲ (ما تقتلنی الیوم قتله...).

۵- (۵) العباره لم یذکرها المسعودی فی مروج الذهب.

قال: عجبت من جرأتِک علی الله وحلم الله عنک(۱). (فأمر الحجاج بالنِّطع فَبُسِطَ، فقال: اقتلوه.

فقال سعید: (وجّهتُ وجهیَ للذی فَطَرَ السماوات والأرض حنیفاً مسلماً وما أنا من المشرکین.

قال: شدّوا به لغیر القبله(۲).

قال سعید: فأینما تُوَلوا فثم وجه الله.

قال: کُبُوهُ لِوَجْهِهِ.

قال سعید: منها خلقناکم وفیها نعیدُکم ومنها نخرجکم تاره أخری)(۳).

قال الحجاج: اذبحوه. قال سعید: أما إنّی أشهد وأحاج(۴) أن لا إله إلّا الله وحدهُ لا شریک له وأنّ محمداً عبده ورسوله(۵). خذها منی حتی تلقانی یوم القیامه، ثم دعا سعید اللّه فقال: اللهم لا تسلطه علی أحد یقتله بعدی. فَذُبِحَ علی النطع رحمه الله(۶).

ولم یعش الحجاج بعده إلّا خَمس عشره لیله حتی وقعت فی جوفه الأکله(۷)

۱- (۱) إلی هنا والنص متطابق بین مروج الذهب والحلیه والوفیات.

۲- (۲) وفی وفیات الأعیان جاء بدل (شدّوا) (وجهوا): ج ۲، ص ۱۱۴.

۳- (۳) العباره بین القوسین الکبیرین لم ترد فی مروج الذهب: ج ۳، ص ۱۰۳.

۴- (۴) کلمه (واحاج) لم ترد فی (مروج الذهب) ولا (الوفیات).

۵- (۵) وفی مروج الذهب: ج ۳، ص ۱۰۳ (... وإن الحجاج غیر مؤمن بالله. اللهم لا تسلط...).

۶- (۶) وفی مروج الذهب: ج ۳، ص ۱۰۳ (فذُبِحَ واحتزّ رأسه) وفی الوفیات: ج ۲، ص ۱۱۵، وکان قتله فی شعبان سنه (۹۵ ه -) ومات الحجاج بعده فی شهر رمضان من السنه المذکوره، ولم یسلطه الله عز وجل بعد علی قتل أحد إلی أن مات.

۷- (۷) هنا تتفق (الحلیه): ج ۴، ص ۲۹۴، مع (مروج الذهب): ج ۳، ص ۱۰۳، وفی المروج تختم الروایه بقول المسعودی: (... فمات من ذلک، ویُروی أنه کان یقول بعد قتل سعید: یا قوم؛ ما لی ولسعید بن جبیر کلما عزت علی النوم أخذ بحلقی).

فی بطنه فدعا بالطبیب لینظر إلیه فنظر ثم دعا بلحمٍ مُنْتِنٍ فعلقه فی خیط ثم أرسله فی حلقه فترکها ساعه ثم استخرجها وقد لزق به من الدم، فعلم أنه لیس بِناجٍ.

وظل ینادی بقیه حیاته: ما لی ولسعید بن جبیر، کما أردت النوم أخذ برجلی)(۱). - انتهی ما ورد فی المجموعه الأولی -.

والآن لو أعدنا النظر فیما ورد فی (المجموعه الأولی) لوجدنا أنّ الموقف تغلب علیه المحاورات الکلامیه التی تظهر الحجاج وهو یحاکم سعید بن جبیر محاکمه یسأله فیها أسئله خارجه عن سیاق المحاکمه التی یتطلبها الموقف خاصه لشخصیه مثل سعید بن جبیر!

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار العلاقه السابقه التی کانت تربط بین سعید والحجاج، ودهاء الحجاج الذی یجعلنا لا نُسَلِّم بأنه یترک الحدیث عن التهمه التی من أجلها جازف بمنصبه وأوغر قلب الولید بن عبد الملک علی ابن عمه عمر بن عبد العزیز والی الحجاز الذی کان سعید وأصحابه قد لجأوا إلیه، والحجاج فعل ما فعل لیتمکن من القبض علی سعید، کل ذلک ومن ثَمَّ نجد الحجاج یحاور سعیداً فی أمور یعلم هو سلفاً ما هو موقف سعید منها - کَسُؤاله عن رأیه بمحمد رسول الله صلی الله علیه - وآله - وسلم ومع ذلک لانقطع بعدم حدوث مثل هکذا حوار، ولکن بعد الترجیح بأن واقع العمران وسلامه المنطق یجعلنا نمیل إلی أن المحاکمه بدأت کما ورد فی (المجموعه الثانیه) مع احتمال حدوث مثل ما جاء فی (المجموعه الأولی) ضمن (المجموعه الثانیه).

۱- (۱) لم یذکرها ابن قتیبه فی الإمامه والسیاسه، انظر: ج ۲، ص ۴۴.

والـذى يـدفعنى لأـن أرجّـح مـا ورد فى (المحـاوره) التى ذكرتهـا مصـادر المجموعه الثـانيه، هو ما سـيجده القارئ من التسلسـل المنطقى لأحـداثها وانسـجامه مع مـا يتوقعه القـارئ من محـاكمه الحجـاج لسـعيد، بعـد أن اطّلع على سـير الأحـداث فى الفصول السابقه.

المجموعه الثانيه

وهذه المصادر تتكون مؤتلفه مما جاء فى كتاب (المعارف) لابن قتيبه و (تاريخ الرسل والملوك) للطبرى و (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير و (وفيات الأعيان) لابن خلكان و (الإمامه والسياسه).

وقـد اعتمـدت المصـدر الأساس لهذه المجموعه كتاب (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير للمقابله بين روايات المجموعه الثانيه لما أخذه ابن الأثير عن الطبرى لضبط أطراف المحاوره، وبناء أركانها على أساس يكون الأقرب لما جرى بين سعيد والحجاج.

وقد رأيت أن أذكر الروايات المطابقه والمخالفه ليشاركنى القارئ فى إعطاء الحكم الصحيح الأكثر محاكاه لواقع الحال، مستعيناً فى المقـارنه والمقـابله والتـأليف بمصـادر أخرى لتسـهيل مسـار عمليه البحث فى جادّتهـا التى طرقتهـا المحـاوره كما أتصور أنه الأرجح!

(المحاوره) – وتبدأ عند المجموعه الثانيه كالتالى: –

(لمّا أدخِلَ سـعيد على الحجاج، قال الحجاج: لعن الله ابن النصـرانيه – يعنى خالد القسـرى الذى قبض على سـعيد وبعث به – أما كنت أعرف مكانه! بلى

والله والبيت الذى هو فيه بمكه.

ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد، (ألم أشرككَ فى إمامتى! ألم أفعل؟ ألم أستعملك؟ قال: بلى)(۱).

فقال: يا سعيد ما أخرجك علىَّ؟

فقال: (أصلح اللهُ الأمير)(۲) ، إنما أنا امرؤٌ من المسلمين، يخطئُ مَرّه ويصيب مرّه. فطابت نفس الحجاج، (وَتَطَلَّقَ وجهه ورجا أن يتخلّص من أمره)(۳).

ثم عاوده فى شىء فقال له سعيد: إنما كانت له بيعه فى عنقى [يعنى ابن الأشعث].

فغضب الحجاج وانتفخ (حتى سقط أحد طرفى ردائه عن منكبه)(۴) ، (وقال: ألم أقدم مكه فقتلت ابن الزبير، ثم أخذت بيعه أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى)(۵).

قال: ثم قَدِمْتُ الكوفه والياً (على العراق)(۶). وَجَدَّدْتُ لأمير المؤمنين البيعه فأخذتُ بيعتك له ثانيه! قال: بلى.

قال: فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين، وتفى بواحده للحائك ابن الحائك!

۱- (۱) العباره بين القوسين ذكرها ابن الأثير: ج ۴، ص ۱۳۰، ولم ترد عند الطبرى: ج ۶، ص ۴۹۰، وذكرها ابن حجر فى تهذيب التهذيب: ج ۴، ص ۱۲-۱۳، ولم ترد فى الإمامه والسياسه.

۲- (۲) العباره بين قوسين وردت عند الطبرى فقط: ج ۶، ص ۴۹۰.

۳- (۳) العبارات وردت عند الطبرى فقط: ج ۶، ص ۴۹۰.

۴- (۴) العبارات وردت عند الطبرى فقط: ج ۶، ص ۴۹۰.

۵- (۵) العبارات وردت عند الطبرى: ج ۶، ص ۴۹۰، ومعه ابن الأثير فى الكامل: ج ۴، ص ۱۳۰.

۶- (۶) العبارتان انفرد بهما الطبرى فقط: ج ۶، ص ۴۹۰.

(والله لأقتلك. قال: إنى إذا لسعيد كما سمتنى أمى)(۱).

(فأمر به فَضُرِبَتْ رَقَبَتُهُ، فَنَدَرَ رأسه - عليه كمه [عِمّهِ] بيضاء لاطئه صغيره)(۲).

(فلما سقط رأسه هَلّلَ ثلاثاً أفصحَ بِمَرَّهٍ ولم يفصح بِمَرَّتَين)(۳).

(فلما قُتِلَ، الْتَبَسَ عَقْلُ الحجاج فجعل يقول: قُيودُنا قُيودُنا فظنوا أنه يريد القيود فقطعوا رِجلى سعيد من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود)(۴).

وكان الحجاج إذا نام يراه فى منامِهِ يأخذ بمجامع ثوبه فيقول يا عَدُوَّ اللهِ فِيمَ قتلتنى؟ فيقول: ما لى ولسعيد بن جبير ما لى ولسعيد بن جبير(۵).

وأما عند ابن قتيبه - والروايهُ نفسُها نقلها عنه ابن خلكان فى (وفيّات الأعيان) عن (المعارف) ولم يذكرها فى (الإمامه والسياسه) فالروايه تبدأ بقول الحجاج لسعيد (... اختر أى قتله شئت قال له: بل اختر أنت لنفسك فإن القِصاص أمامك.

قال له: يا شقى بن كسير: ألم أقدم الكوفه وليسَ يؤمُّ بِها إلاّ عربى فجعلتك إماماً؟ قال: بلى.

۱- (۱) العبارتان انفرد بهما الطبرى فقط: ج ۶، ص ۴۹۰.

۲- (۲) انفرد به الطبرى: ج ۶، ص ۴۸۹، ومعه ابن الأثير فى الكامل: ج ۴، ص ۱۳۰.

۳- (۳) انفرد بها ابن الأثير فى الكامل: ج ۴، ص ۱۳۰.

۴- (۴) انفرد بها الطبرى فقط: ج ۶، ص ۴۹۰.

۵- (۵) انفرد بها الطبرى: ج ۶، ص ۴۹۱، وابن الأثير: ج ۴، ص ۱۳۰. وفى روايه أخرى للطبرى فيها زياده على هذه الروايه تبدأ بقوله (لمّا جيءَ بسعيد إلى الحجاج فقال: أكتبتَ إلى مصعب بن الزبير؟ قال: بل كتب إلىَّ مصعب. قال: والله لأقتلنك...) الطبرى: ج ۶، ص ۴۹۰-۴۹۱.

قال: ألم أوَلِّكَ القضاء فضجّ أهل الكوفه وقالوا: لا يصلح للقضاء إلّا عربى، فاستقضيتُ أبا برده بن أبى موسى الأشعرى وأمَرْتُهُ أنْ لا يقطعَ أمْراً دونك؟ قال: بلى.

قال: أما جعلتُك فى سُمّارى؟ قال: بلى.

قال: أوَ ما أعطيتُكَ مائَهَ ألف درهم تفرّقها فى أهل الحاجه فى أول ما رأيتُك ثم لم أسألْكَ عن شيءٍ منها؟ قال: بلى.

قال: فما أخرجك؟ قال: كانت بيعه لابن الأشعث فى عنقى.

فغضِب الحجاج ثم قال: أفما كانت بيعه أمير المؤمنين عبد الملك فى عنقك من قبل؟ واللهِ لأقتلك يا حرسى، إضْرِبْ عنقه، فضرب عنقه)(1) - انتهى -.

ويلاحظ القارئ أن مصادر المجموعه الثانيه وإن تفاوتت أركانها وتعددت صِيَغُ الروايات فيها إلّا أنّها تبدو للباحث أقرب لواقع المحاكمه التى كنّا نتوقعها من الحجاج بعد أن ظفر بسعيد قرابه عقد ونيّف من السنين وهو يتتبع آثارَ سعيد فى الأمصار.

ونحن إنما أخذنا بترجيح روايات المجموعه الثانيه من متابعه الحوادث التى مرّت فى حياه سعيد بن جبير، ومع ذلك يبقى للقارئ والباحث حق التوفيق بين روايات المجموعه الأولى والثانيه للوصول إلى نتيجه واحده نستخلص منها إلى ما يفوق الظن ويقرب من اليقين عما كانت عليه تلك الساعه التى سبقت قتل سعيد على يد الحجاج والتى لم تنته بإزهاق روح هذا الولى الصالح بهذا الشكل الذى أخذ هذا الجانب المهم عند المؤرخين وإنما وَثَّقُوا أيضاً ما حدث للحجاج بعده.

١- (١) المعارف لابن قتيبه: ص ١٩٧؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٢، ص ١١٥-١١٦؛ وعند ابن قتيبه روايه أخرى فى الإمامه والسياسه: ج ٢، ص ٤٣.

الحجاج بعد مقتل سعيد

(لمّا قَتَلَ الحجاجُ سعيداً؛ سال منه دمٌ كثير، فَذُهِلَ الحجاج وسَألَ عن السبب فقيل لَهُ، قتلتَهُ ونفسه عنده، ومن كُنْتَ تَقْتُلُهُ قبلَه كانت نفسه تذهب من الخوف فلذلك قَلَّ دَمُهُمْ)(۱).

(وكان مقتل سعيد بيد الحجاج فى النصف الثانى من شعبان عام (۹۵ ه -) وله من العمر (۴۹ سنه)(۲).

وقد أجمعت أغلب الروايات على أن الحجاج لم يبق بعده أكثر من خمس عشره ليله قضاها مُسَهّداً يتلوى من ألمِ داء (الأكله).

۱- (۱) وفيات الأعيان لابن خلكان: ص ۱۱۶.

۲- (۲) البيان والتبيين للجاحظ (ت ۲۵۵ ه -): ج ۳، ص ۶۳؛ مروج الذهب لأبى الحسن على بن الحسين المسعودى (ت ۳۴۶ ه -): ج ۳، ص ۱۰۵؛ تاريخ اليعقوبى (من علماء القرن الثالث الهجرى): ج ۳، ص ۳۴؛ رجال الطوسى (ت ۴۶۰ ه -): ج ۳، ص ۹۰- ۹۱، ويرى أنّ قتل سعيد على يدى الحجاج قد تم فى شوّال! وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ۶۸۱ ه -): ج ۲، ص ۱۱۶؛ تذكره الحفاظ للذهبى (ت ۷۴۸ ه -): ج ۱، ص ۷۶؛ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى (ت ۸۵۲ ه -): ج ۴، ص ۱۳؛ إيمان أبى طالب للحائرى: ص ۳۲۱؛ سفينه البحار للشيخ عباس القمى (ت ۱۳۵۹ ه -): ج ۱، ص ۶۲۲؛ مرآه الجنان وعبره اليقضان فى معرفه ما يعتبر من حوادث الأزمان لعبد الله بن أسعد اليافعى (ت ۷۶۹ ه -): ج ۱، ص ۱۹۶، طبعه بيروت لسنه ۱۳۹۰ ه -، ۱۹۷۰ م.

وهناك روايات ذكرت أن سعيداً قتل (عام ۹۴ ه -) فى العام الذى سُمِّىَ عام الفقهاء(۱). ونحن لا نستبعد ذلك. لأنّ مثل هذه الأمور مما يعانى من ضبطها أصحاب الاختصاص؛ ولكن الذى يدفعنى إلى ترجيح التاريخ السابق هو ما ذُكِرَ من أنّ الحجاج لم يقتل أحداً بعد سعيد حتى مات فى رمضان من السنه نفسها(۲). وهى السنه التى رجّح أغلب المؤرخين أنّ سعيداً قُتِلَ على يدِ الحجاج فيها وهى (سنه ۹۵ ه -) وأن سعيداً دعا ساعه قَتْلِ الحجاج له: (اللهم لا تسلط الحجاج على أحد من بعدى) وكان استشهاده فى أواخر شعبان، ومات الحجاج بداء (الأكله) بعده بأُسبوعين فى رمضان.

وكان يوم قتل سعيد بن جبير نَكبةً نُكِبَ بها المسلمون، ولقد قال الحسن البصرى لمّا بلغه نبأ مقتل سعيد بن جبير (واللهِ لقد مات سعيد بن جبير يوم مات وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون لِعلمه)(۳).

۱- (۱) الطبقات الكبرى لابن سعد الزهرى (ت ۲۳۰ ه -): ج ۶، ص ۲۶۶؛ المعارف لابن قتيبه الدينورى (ت ۲۷۶ ه -): ص ۱۹۷؛ تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ۶، ص ۴۹۱؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ۱۳۰؛ نهايه الأرب فى فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى: ج ۱، ص ۱۶۸، وقد ذكر النويرى قائلاً: (سُمِّىَ عام الفقهاء لأنه مات فيه على بن الحسين - عليهما السلام - وأبو بكر بن عبد الله بن أبى بكر الصديق وسعيد بن المسيب وعروه بن الزبير وعطاء بن يسار وسعيد بن زيد بن ثابت، وفيه قتل الحجاج سعيداً).
۲- (۲) البيان والتبيين للجاحظ: ج ۳، ص ۶۳؛ مروج الذهب للمسعودى: ج ۳، ص ۱۰۵؛ رجال الطوسى: ج ۹۰-۹۱؛ تاريخ اليعقوبى: ج ۳، ص ۳۴؛ إيمان أبى طالب لفخار بن مَعد الحائرى: ص ۳۲۱؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ۲، ص ۱۱۶؛ تذكره الحفاظ للذهبى: ج ۱، ص ۷۶؛ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى: ج ۴، ص ۱۳؛ مرآه الجنان لليافعى: ج ۱، ص ۱۹۶؛ سفينه البحار للشيخ عباس القمى: ج ۱، ص ۶۲۲.
۳- (۳) حياه الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميرى: ج ۱، ص ۱۷۱.

وقال أحمد بن حنبل (ت ۲۴۱ ه -): (قَتَلَ الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحدٌ إلّا وهو مفتقر إلى علمه)(۱).

وخُتِمَ ضحايا الحجاج بسعيد بن جبير؛ ذلك العالم الجهبذ والفقيه النّحرير الذى ألَهَ الإلهَ حق ألوهيتهِ منذ وجبت عليه الصلاه وحتى آخر صلاه صلّاها وهو يرجع إلى ربه مقطوع الرأس مضرجاً بنجيع الوتين المذبوح الذى ملأ النطع دماً عبيطاً لأنه مات غير خائف وذهب ضحيه حقد جلاد خلدته دماءُ ضحاياه ولم تخلده حسناته.

والحجاج الذى كان مرتزقاً مغموراً فى جند عبد الملك بن مروان أيام كان نجم سعيد بن جبير يسطع فى سماء العلوم الدينيه؛ ما اشتهر ولا- تخلد إلا- يوم قدم نفسه إلى عبد الملك أنه هو صالته المنشوده فى القضاء على (عبد الله بن الزبير) وإن لجأ إلى (الكعبه) - فما الكعبه فى نظر رجل نكره محروم من العز والجاه إن كان حَرْقُها على من فيها يحقق له الحضره عند سلاطين الدنيا، وقد تحقق له ذلك فَنَحَلَهُ ولايَهَ العراق لينتقم به من قوم ما منحوا الولاء للشجره الملعونه من يوم عرفوا أنها ستنزو على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بعده؛ ولما صار الحجاج والياً لبنى أميه صار يصرح بدخيله نفسه مطمئناً إلى رضا السلطان عنه كل الاطمئنان لأنه كان يعلم أنّ هذا يرضيهم: (رأى الحجاجُ الناسَ يوماً يطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره، فقال: إنما يطوفون بأعواد ورمه)(۲).

۱- (۱) رجال الطوسى: ص ۹۰-۹۱؛ إيمان أبى طالب للحائرى: ص ۳۲۱؛ مرآه الجنان لليافعى: ج ۱، ص ۱۹۷؛ سفينه البحار للشيخ عباس القمى: ج ۱، ص ۶۲۲؛ العقد الفريد لابن عبد ربه: ج ۳، ص ۲۰۵.

۲- (۲) العقد الفريد لابن عبد ربه: ج ۳، ص ۲۰۵.

وقـد حَزّ قَتْـلُ الحجـاجِ لسـعيد بن جبير فى نفس عمر بن عبـد العزيز حيث كان يـدعو أن يكون موت الحجاج على فراشه ليكون أشد لعذابه فى الآخره. ولما مات الحجاج كما تمنّى عمر بن عبد العزيز خرّ عمر ساجداً يشكر الله(۱).

وكـان عمر بن عبـد العزيز يحب سـعيداً ويحميه، وظلّت ذكراه تؤلمه حتى قيـل أنه (رأى الحجـاج فى المنام بعـد موته وهو جيفه منتنه؛ فقال له: ما فعل اللهُ بك؟ قال: قتلنى بكل قتيل قتله واحده إلاّ سعيد بن جبير فإنه قتلنى به سبعين قتله)(۲).

ويعلق الـدميرى على هذا فى كتابه (حياه الحيوان الكبرى) بقوله (والحكمه أن الحجاج لمّا قتل سـعيداً لم يكن له نظراء فى العلم وأمّا مَنْ قُتِلَ قَبله - كابن الزبير مثلاً - فقد كان له نظراء كثيرون)(۳).

۱- (۱) العقد الفريد: ج ۳، ص ۲۵۷.

۲- (۲) حياه الحيوان الكبرى للدميرى: ج ۱، ص ۱۷۰.

۳- (۳) حياه الحيوان الكبرى: ج ۱، ص ۱۷۰-۱۷۱.

الفصل السابع: سعید بن جبیر والحجاج فی المیزان

اشاره

ص:۲۳۵

لمّا كان الإنسان ما خُلِقَ إلا ليعبد الله كما يؤكده قوله تعالى: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ ۱.

صار لزاماً تكليفياً عليه أنْ يسعى لِرِضاء خالقه، هذا هو المنطق السليم للعلاقه بين الخالق والمخلوق، وهذا هو مبدأ السلوك الإنسانى الذى يقبله الله ويرتضيه ولا يقبل غيره.

وقصه أبينا آدم وأمنا حواء هى مصداق ما نقول يوم لم يكن اللهُ قد اصطفى آدم نبيّاً، وقوله تعالى بعد خلق أبينا وأمنا: وَ قُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّهَ وَ كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ ۲.

وهبط آدم وهبط إبليس، وكَثُرَتْ ذريه آدم وكثر قبيل إبليس واصطفى اللهُ آدم أول نبى لذريته يبين لهم الفرق بين طاعه الله ومعصيته، بين ترويض النفس على ما يرضى الله ويحزن الشيطان وبين ما يؤسف اللَه ويفرح إبليس الذى ما أن أخذ العهد بالانظار إلى يوم الوقت المعلوم حتى أقسم أمامَ الله بعزه الله العَزيز

الحكيم أن يحتنك ذريه آدم - أى يجرّهم من لحاهم إلى المعصيه؛ إلّا عبادَك منهم المخلصين قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)١.

وانقسم البشر من أيام قابيل وهابيل وانقسم الصراط، صراط الذين أنعم الله عليهم بالطاعه الخالصه فى حياتهم وهم يكدحون إلى لقاء الله وهم عبادُهُ المخلَصون وصراط الذين رضوا بالحياه الدنيا من الآخر من المغضوب عليهم من المشركين والمنافقين والكافرين والضالين ممن عصى الله ورسله من الأولين وممن عصى اللَه ورسله من الآخرين... الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا...٢.

ولم تتغير المعادله ولم يتغير الميزان عند الله جلّ جلالُه لأنه يعلم خائنه الأعين وما تخفى الصدور لكن المضحك المبكى هو أن الشيطان المقترن بالنفس الأماره بالسوء يصور لها الغِوايه هدايه والهدايه غوايه ما دامت تعشو عن ذِكر الله ولا تطمئن القلوب إلّا بذكر الله وإذا اطمأنت القلوب مَلأتْ الرحمه أوعيه النفس فصارت مطمئنه؛ فقال تعالى فى الفريقين: وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣۶) وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ٣.

وهذه هى المصيبه وإلّا كيف يتجرع الدارس المتتبع لحياه (النفس المطمئنه) سعيد بن جبير الذى كَدَحَ إلى ربه كدحاً لِيُلاقيهِ شهيداً على نطعٍ لكافِرٍ ضالٍ ـ عاصٍ يقول له: (أكافر أنت أمْ مؤمن)؛ أوَ تحسب سعيداً كفر بثورته على قومٍ

أحرقوا بيت اللهِ ليثبتوا ملكهم الدنيوى ويحسبون أنهم مهتدون؟

وفى أى ميزان تضع سعيداً من كفّتى ميزان سوره الأحزاب وقد اطلعت على سلوكه منذ نعومه أظفاره حتى ساعه وقوفه بوجه طاغيه عصره ليفوز بالشهاده ذبيحاً غير خائف ويجعل الحجاج بعد قتله سعيداً يلعن اليوم الذى ولد فيه وَهُوَ الذى كان قبل قتله سعيداً يتباهى بمعصيه الله ورسوله! والميزان فيما جاء فى الأحزاب، قال تعالى: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَى اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً١. وقال تعالى: وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً٢.

والحجاج يفخر بعصيانِه رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم (خَطَبَ فى أهل البصره فقال: يا أهل العراق إنّى قد استعملتُ عليكم محمداً ابنى وبه الرّغبه عنكم... وقد أوصيته فيكم خلاف وصيهِ رسولِ الله بالأنصار. فإنه أوصى أنْ يُقْبَلَ مِنْ محسنهم ويُتَجاوَزَ عن مُسِيئِهم. وقد أوصيته أنْ لا يقبلَ من مُحسِنِكم ولا يتجاوزَ عن مُسيئِكم)(١).

ولا غرابه فَلقد كانَ فى سلوكه كما يقول العقاد فى معاويه ومعاويه مؤسس الدوله الأمويه (كل شىء فى الحياه الإنسانيه هيّن إذا هان الخلل فى موازين الإنسانيه. وإنها لأهون من ذلك إذا جاوز الأمر الخلل إلى انعكاس الأحكام وانقلابها من النّقيض إلى النّقيض... فمن الناس من يحب أن تتغلب المنفعه على الحقيقه أو على الفضيله... لأنه يرجع إلى طبيعته فيشعر بحقارتها إذا غلبت

١- (٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى: ج ٣، ص ٨٥-٨٦.

مقاييس الفضائل المنزهه والحقائق الصريحه... وإنه ليعترف بالرّذيله إذا استطاع أن يُلَوِّثَ الفضيله التى يمتاز بها عليه ذوو الفضائل البيّنه...)(۱).

ويستدل العقاد على ذلك بقوله: (وإذا لم يرجح من أخبار تلك الفتره إلّا الخبر الراجح عن لعن علىّ على المنابر بأمرٍ من معاويه لكان فيه الكافيه لإثبات ما عداه مما يتم به الترجيح بين كفتى الميزان)(۲).

والحجاج سار على هذا النهج؛ فإذا ما وجد من يقتدى بعلى عليه السلام أو يأتم بالأئمه من بعده مثل سعيد بن جبير وائتمامه بعلى بن الحسين بن أبى طالب عليهم السلام فإنه يشعر بحقارته أمام مثل هذا الإنسان الملتزم بمقاييس أهل البيت عليهم السلام، فقوله لسعيد: (أكافر أنت أو مؤمن...) هو محاوله لإدخال الخلل بقيم سعيد بن جبير بالتخريف عسى أن يحوّله فى محاورته إلى انتهازى منافق مثله أمام الحاضرين؛ وكان يتمنّى أن يجيب بالكفر فيرضى بهذه الكلمهِ الحجاجُ ليعفوَ عنه كما فعل مع صاحبيه كما مَرَّ.

فالحجاج فى محاورته سعيداً (أكافر أنت أو مؤمن) لم يقصد المعنى الحقيقى الإسلامى للكلمات وهو يعرف سعيداً ومنزلته الإسلاميه حق المعرفه وإلّا ما كان شتم (والى الحجاز خالد بن عبد الله القسرى) الذى قبض له على سعيد وبعث به إليه - كما مَرَّ فى المحاوره - فالحجّاج يعرف الإيمان والكفر ويعرف حدودهما، ولكنه اختار أن يكون صنيعه لقوم (اتخذوا الدين وسيله لقمع حركات المسلمين الذين طالبوا (الحكام) الأمويين بتطبيق مبادئ الدين على تصرفاتهم أى أن الأمويين كانوا يتظاهرون بالتدين فيدعون المسلمين - فى خطبهم وخطب ولاتهم

۱- (۱) معاويه بن أبى سفيان لعباس محمود العقاد: ص ۱۱.

۲- (۲) معاويه بن أبى سفيان للعقاد: ص ۱۲-۱۶.

- إلى التمسك بالدين الذى لا يتمسكون هم وولاتهم بتعاليمه. وكانت غايتهم من ذلك - بالطبع - هى صرف الناس عن المطالبه بتطبيق الدين على شؤون الحياه من جهه وعاملاً من العوامل التى يبرر الأمويون فيها اعتداءاتهم على أرواح المسلمين وممتلكاتهم.

وقد أصبح الأمويون - وولاتهم طبعاً على نهجهم - بهذا النوع من التصرف ممن يشملهم منطوق قوله تعالى: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخادِعُونَ اللّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ ما يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ * وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لكِنْ لا يَشْعُرُونَ ١.

وقوله تعالى: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ * وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ * وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ٢.

والحجاج وعبد الملك مصداق لمثل هؤلاء الناس إذا ما تولّوا على رقاب العباد؛ فالحجاج لما بعثه عبد الملك والياً على العراق صعد المنبر وخاطبَ جموعَ المسلمين فى أول خطاب له فيهم فى مسجد البصره؛ فقال: (إنّى لأرَى رُؤُوساً قد أينعت وقد حان قطافها، إنّى لأنظر الدماء بينَ العمائمِ واللحى... ثم قرأ قوله

تعالى: وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَهً كانَتْ آمِنَهً مُطْمَئِنَّهً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذاقَهَا اللّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ ١ ، وأنتم أولئك... إنكم أهل بغى وخلاف وشقاق ونفاق.

فإنكم طالما أوضعتم فى الشر وسننتم سنن البغى... فَوَ اللهِ لأذيقنّكم الهوان... ولألحونّكم لحو العود ولأعصبنّكم عصب السّلمه حتى تذلّوا. وَلأضربنّكم ضرب غرائب الإبل حتى تَذَرُوا العصيان وتنقادوا)(١).

(فالمسلم بنظر الحجاج هو الذى يستسيغ موبقات الأمويين ويرتاح لاستهتار الحجاج، ويفوض أمره إلى الله. وإلّا فهو مُعَرَّض - فى كل لحظه - لشتى صنوف العقاب؛ أمّا أنْ يبحث الحجاج - (أمير المسلمين!!! - عن عوامل التذمّر، ويسعى إلى إزالتها بالمعامله الحسنه والسير وفق مستلزمات الشريعه الإسلاميه فشىء لم يخطر بباله. وسبب ذلك أنه - وأسيادَه الأمويين - كانوا من الآمرين بالمعروف التاركين له)(٢).

حج عبد الملك بن مروان بالناس فى عام (٧٥ ه -) فقال: (لستُ بالخليفه المستضعف - يعنى عثمان - ولا بالخليفه المأفون - يعنى يزيد - ألا وإنّى لا أدارى هذه الأمه إلّا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم... واللهِ لا يأمرنى أحد بتقوى الله - بعد مقالى هذا - إلّا ضربتُ عنقه)(٣).

١- (٢) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نورى جعفر: ص ٨٢، مطبعه الزهراء فى بغداد لسنه ١٩٥٦ م؛ الإمامه والسياسه: ج ٢، ص ٢٦.

٢- (٣) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نورى جعفر: ص ٨٢.

٣- (٤) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص ٣٣-٣٤.

ولكن هـذا الخليفه المتمرد على الله (لمّـا نزل به الموت أمر بفتـح باب قصـره فإذا قصار يقصـر ثوباً؛ فقال: يا ليتنى كنتُ قصاراً... فقال سعيد بن عبد العزيز: الحمد لله الذى جعلهم يفزعون إلينا ولا نفزع إليهم)(١).

(وقال سـعيد بن بشـير إن عبد الملك حين ثقل جعل يلوم نفسه ويضـرب يده على رأسه وقال وددت أن كنت أكتسب يوماً بيوم ما يقوتنى وأشـتغل بطاعه الله. فَذُكِرَ ذلك لابن حازم فقال: الحمد لله الذى جعلهم يتمنّون - عند الموت - ما نحن فيه، ولا نتمنى - عند الموت ما هم فيه)(٢).

أما الحجاج فقد فاق خليفته، فمن ينصـحه يستفزّه لأنه يُثيرُ كَوامِنَ نفسه لأن الحجاج عارف أنه متمرد على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. (خطب الحجاج متذمراً من أهل العراق. فقال له (جامع المجارى): أما إنهم لو أحبّوك لأطاعوك. على أنهم ما شنئوك لنسبك ولا لبلدك ولا لِذات نفسك فدع عنك ما يباعدهم منك إلى ما يقربهم إليك.

فقـال الحجاج: ما أرانى أرُدُّ بنى اللكيعه إلى طاعتى إلا بالسـيف. فقال: أيها الأمير إنّ السـيف إذا لاقى السـيف ذهب الخيار. قال الحجاج: الخيار يومئذٍ لله! قال: أجل!! ولكنك لا تدرى لمن يجعله الله... قال الحجاج: والله لقد هممت أن أخلعِ لسانك فأضـرب به وجهك. فقال: يا حجاج إن صَدَقناك أغضبناك وإن كذبناك أغضبنا الله؛ فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله)(٣).

والغريب فى الأمر أن أبسط العقوبات الشائعه فى العهد الأموى هى القتل.

١- (١) الكامل فى التاريخ: ج ۴، ص ۴١.

٢- (٢) المصدر السابق نفسه.

٣- (٣) عيون الأخبار لابن قتيبه: ج ٢، ص ٢١٢، طبع دار الكتب فى القاهره.

وكان ينبغى أن تكون تلك العقوبه آخر العقوبات حسب تعاليم الدين والعرف السياسى الشائع(١) ، وأغرب من ذلك أن القتل كان يجرى على الظن والشبهه(٢) ، ودون محاكمه أو سماع وجهه نظر المتهم(٣).

والحجاج ساهم بكل هذه الموبقات حتى ملأ اسمه أسماع الناس مقروناً بالظلم والبغى والخروج على تعاليم الإسلام (وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكثر لذّاته سفك الدماء وارتكاب الأمور التى لا يقدم عليها غيره ولا سبق إليها سواه)(٤). وقد بدأها بحرق الكعبه!

(وقد سأل الحجاج يوماً بعض كُتّابه عن رأى الناس فيه، فاستعفاه الكاتب فلم يَعْفِهْ. فقال: يقولون إنك ظلوم، غشوم، قتّال، عسوف، كذّاب)(٥). والحجاج لا ينكر هذا...

(وقد سأله يوماً عبد الملك بن مروان أن يصف نفسه على حقيقتها. فقال: إعفنى يا أمير المؤمنين. قال: لَتفعلَنَّ قال: أنا لجوج، حقود، حسود؛ قال عبد الملك ما فى الشيطان شرّ ممّا ذكرت)(٦).

ويحلل المؤرخ العراقى (د. نورى جعفر) الحكم الشمولى [الدكتاتورى] بقوله: (إن ظلم الرعيه من أسهل الأمور التى يستطيع أن يقوم بها الحاكم إذا

١- (١) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نورى جعفر: ص ١٥٥-١٥٦.

٢- (٢) تاريخ الرسل والملوك للطبرى: ج ٧، ص ٢١٧.

٣- (٣) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نورى جعفر: ص ١٥٦.

٤- (٤) مروج الذهب للمسعودى: ج ٣، ص ٦٧، طبع الرجاء بمصر.

٥- (٥) الوزراء والكتاب للجهشيارى: ص ٤٢، مطبعه مصطفى البابى الحلبى فى القاهره لسنه ١٩٣٨ م.

٦- (٦) عيون الأخبار لابن قتيبه: ج ٢، ص ٨، الطبعه الأولى، دار الكتب فى القاهره.

توافرت لديه عناصر القوه فى جهازه الحكومى وإن غالبيه الناس فى العاده يتحملون الذل ويألفون الانقياد تفادياً للتعذيب والقتل. وإذا رأينا بعض الحكام لا يميلون إلى الشدّه - رغم توافر الإمكانيات الماديه لاستعمالها - فإن مردّ ذلك على ما نرى؛ ليس هو الخوف من الرعيه أو من انتفاضها بقدر ما هو الخوف من وخز الضمير وعقاب النفس)(١).

ويقول محللاً شخصيه الحجاج: (إن اسم الحجاج مقرون فى العاده - عند كثير من الناس - بالشده والقسوه المتناهيتين حتى أصبح اسمه يضرب فيه المثل فى أخذ الرعيه بسياسه الشده بأبشع صورها.

وقد يُخيل لبعض الناس أن هذه الشده تدلّ على الرجوله والشجاعه. غير أنى أرى أنها تدل على الجبن والتخاذل؛ لأن الشجاعه إنما تظهر عند الرجل فى مواقفه مع مَنْ هم فى منزلته (من الجاه والسطوه والنفوذ أو القوه الجسميه) أو مع من هم فوقه فى ذلك. أمّا أن يستعمل المرءُ ضروب القسوه والشدّه مع مَن هم دونه فى السطوه والنفوذ، أوْ مَعَ العُزّل من الناس فأمْرٌ إن دَلَّ على شىء فإنه يدل على الخسه والجبن وضِعهِ النفس، خاصه إذا ما كانت مواقف ذلك الشخص - مع من هم أعلى منه - تنطوى على الجبن والتهافت)(٢).

والدليل على ما خرج به المؤرخ الفيلسوف د. نورى جعفر من دقه التحليل لشخصيه الحجاج ومواقفه التى مَرَّتْ مع من هم دونه ومواقفه مع عبد الملك بن مروان - والقارئ يتذكر (معركه دير الجماجم) التى شارك سعيد فيها - (عندما أسرف الحجاج فى قتل أسرى (دير الجماجم)، وعلم بذلك عبد الملك بن مروان

١- (١) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نورى جعفر: هامش ص ١٥٦.

٢- (٢) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام: ص ١٥٧.

كتب إليه يزجره وذيَّلَ كتابه بالأبيات التهديديه التاليه:

إذا أنتَ لم تترك أموراً كَرِهْتَها وتَطلبْ رِضائى بالذى أنا طالِبُهْ

وتخشَى الذى يَخشاهُ مِثْلِكَ هارِباً إلى اللهِ مْنْهُ، ضَيَّعَ الدَّرَ حالِبُهْ

فَإنْ تَرَ مِنّىَ غَفْلَةً قَرَشِيَّةً فَيا رُبَّما قَدْ غَصَّ بالماءِ شارِبُهْ

وَإنْ تَرَمِنِّىَ وَثْبَةً أمَوِيَّةً فَهذا وَهَذا كُلُّ ذا أنَا صَاحِبُهْ

فَلا لا تَلُمْنِىَ والحَوادِثُ جَمّةٌ فإنّك مَجْزِيٌّ بِما أنْتَ كاسِبُهْ

ولا تَعْدُ ما يأتيكَ مِنِّىَ وَإنْ تَعُدْ يَقومُ بِها يَوْماً عَلَيْكَ نَوادِبُهْ)(١)

(والحجاج إنما أسرف فى القتل خدمه للعرش الأموى، لا شك فى ذلك عنده أو عند عبد الملك أو عند الآخرين.

فلما قرأ الحجاج كتاب عبد الملك أجابه متخاذلاً ـ متراجعاً ذليلاً ـ متهافتاً، حتى طفحت وضاعه نفسه على لسانه، وذيّل كتابه بالأبيات التاليه:

إذا أنَا لم أتبعْ رِضاك وَأتّقِ أذاكَ فَيَوْمى لا تَزولُ كواكِبُهْ

وَما لامرِئٍ - بَعْدَ الخليفهِ جُنَّةٌ تَقيهِ مِنَ الأمرِ الذى هُوَ كاسِبُهْ

أسالِمُ مَنْ سَالَمْتَ مِنْ ذِى قَرابهٍ وَمَنْ لَمْ تُسالِمْهُ فإنى مُحارِبُهْ

إذا قارَفَ الحَجّاجُ مِنْكَ خَطِيئَةً فَقامَتْ عَلَيْهِ فى الصِّياحِ نَوادِبُهْ

إذا أنَا لمْ أدْنِ الشَّفِيقَ لِنُصْحِهِ وَأقْصِ الّذى تَسْرِى إلىَّ عَقارِبُهْ

فَقِفْ بِى عَلى حَدِّ الرضا لا أجُوزُهُ - مَدى الدَّهْرِ - حتى يُرْجِعَ الدَّرَّ حالِبُهْ (٢)

١- (١) مروج الذهب للمسعودى: ج ٣، ص ٧٤-٧٦.

٢- (٢) مروج الذهبى: ج ٣، ص ٧٦.

(فأنت ترى شخصيه متناقضه، حَجّاج القسوه والشِّدَّهِ مَعَ العُزَّل والضُّعفاء والأبرياء، وحَجّاج التخاذل والجبن مع القساه الفجره من الحكام والأمراء).

حَجّاجٌ (يرى رؤوساً قد أينعت وحان قِطافُها: يعصب الناس عصب السلمه حتى يَذلّوا ويضربهم ضرب غرائب الإبل حتى يذروا العصيان وينقادوا) وحجاج آخر جبان متخاذل إذا لم يبغ رضا الخليفه ويَتّق أذاه فليله لا تزول كواكبه)(1).

والمثال الثانى على شخصيه الحجاج المهزوزه المتخاذله، حين (دخل على الحجاج (أنس بن مالك)، قال له الحجاج: لا مرحباً ولا أهلاً بك يا ابن الخبيثه، شيخ ضلاله، جَوّال فى الفتن... أمَا واللهِ لأجرِدَنَّكَ جَرْدَ القضيب ولأعصِبَنَّكَ عَصْبَ السَّلَمَهِ ولأقلِعَنَّكَ قلعه الصمغه.

فقال أنس: مَنْ يعنى الأمير؟ قال: إياك أعنى أصَمَّ اللهُ صداك.

فرجع أنس فكتب إلى عبد الملك كتاباً يشكو فيه الحجاج... فكتب عبد الملك إلى الحجاج: إنك عبد طمت بك الأمور فعلوتَ حتى عدوت طورَك، وجاوزت قَدْرَك. يا ابن المستضرمه بعجم الزبيب لأغمزنّك غمزه كبعض غمزات الليوث للثعالب، ولأخبطنّك خبطه تَوَدُّ لها أنك رَجَعْتَ فى مخرجك من بطن أمِّك أما تذكر حال آبائك فى الطّائف حيث كانوا ينقلون الحجاره على ظهورهم ويحتفرون الآبار بأيديهم فى أوديتهم ومياهِهم؟!

أنسيتَ حالَ آبائِك فى اللؤم والدّناءه، فى المروءه والخُلُق؟ وقد بلغ أميرَ المؤمنين الذى كان منك إلى أنس بن مالك... فعليك لعنه الله من عبدٍ أخفشِ

1- (1) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نورى جعفر: ص 158.

العينين أصكّ الرجلين، ممسوح الجاعرتين... أكْرِمْ (أنساً وأهلَ بيته) واعرف حقه ولا تقصِّر فى شىءٍ من حوائجه).

وبعث بالكتاب مع (إسماعيل بن عبد اللهِ) مولى بنى مخزوم؛ فأتى إسماعيل بكتاب أمير المؤمنين فقرأه. وأتى الحجاج - بالكتاب إليه - فجعل يقرؤه ووجهه يتغير وجبينه يرشح عرقاً ويقول: يغفر الله لأمير المؤمنين. ثم اجتمع بأنس. فرحب الحجاج به واعتذر إليه)(١).

وإليك رأى (عمر بن عبد العزيز) بالحجاج، قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد: (حدّثنا هِشام بن يحيى عن أبيه قال: حدّثنا عمر بن عبد العزيز قال: لو جاءت كلّ أمه بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفَضَلْناهم).

وذكر (ميمون بن مهران عن الأجلح قال: قلت للشعبى يزعم الناس أن الحجاج مؤمن!! قال: مؤمنٌ بالجبت والطاغوت لا بالله).

وقال على بن عبد العزيز عن إسحاق بن يحيى عن الأعمش قال: (اختلفوا فى الحجاج فقالوا: بِمَن ترضون؟ قالوا: بمجاهد. فأتَوْهُ، فقالوا: إنّا اختلفنا فى الحجاج. فقال: أجئتم تسألوننى عن الشيخ الكافر!!!

وقال (محمد بن كثير عن الأوزاعى) قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: كان الحجاج بن يوسف ينقض عُرى الإسلام عروه عروه)(٢).

١- (١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج ۴، ص ٣٩.

٢- (٢) العقد الفريد لابن عبد ربه: ج ٣، ص ٢٥٣-٢٥۴.

نُبوءَه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحجاج

(وكان الحجاج لمّا فرغ من قتال (عبد الله بن الزبير) بعث إلى أمه (أسماء بنت أبى بكر الصدّيق أن تأتِيَهُ، فأبَتْ أن تأتِيَهُ، فقال: واللهِ لَئِنْ لم تأتِنى لأبعثن إليها من يجرّ بقرون رأسِها، ويسحبها حتى تَصل إلىّ، فقيل ذلك لها فقالت: والله لا أسير إليه حتى يبعثَ إلىَّ من يجرّ بقرون رأسى، فأقبل الحجاج حتى وقف عليها، فقال لها: كيف رأيتِ ما فعل الله تعالى بابنكِ، عدوّ الله الشاقِ لِعصا المسلمين، المَفنِى لعبادِهِ المشتّت لكلمه أمّهِ نبيّهِ؟ فقالت:... أبْشِرْ، فإنّى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم يقول: «مُنافِقُ ثقيف يَملأ اللهُ بِهِ زاوِيَهً مِنْ زَوايا جَهَنَّم، يُبِيدُ الخَلْقَ، وَيَقْذِفُ الكَعْبَهَ بأحْجَارِها، ألا لَعْنَهُ اللهِ عَلَيْهِ»، فأفْحِمَ الحجاجُ ولم يُحِرْ جَواباً)(۱).

فالحجاج هو هذا الحجاج كما أخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بروايه (أسماء بنت أبى بكر) ولما وقف عليها متشفياً بقتله ولدها صفعته بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه فأفحمته ولم يُحِرْ جواباً لأنه ذُهِلَ لأنه يعلم صدقها وأنه هو المقصود بنبوءه رسول اللَه صلى الله عليه وآله وسلم

۱- (۱) الإمامه والسياسه لابن قتيبه الدينورى، تحقيق: د. طه محمد الزينى: ج ۲، ص ۳۵، طبعه منشورات الحلبى فى القاهره لسنه ۱۳۷۸ ه -، ۱۹۶۷ م).

وسقط الحجاج ميتاً حتف أنفه تلاحقه لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن دعا سعيد بن جبير عليه رَبَّهُ فى آخر ركعتين قبل الشهاده أنْ لا يُسَلِّطَ الحجاج على أحدٍ من بعده فكان الله سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير لسعيد حيث سَلَّطَ سعيداً على الحجاج يعذبه قرابه أسبوعين والحجاج المصاب بالأكله يهبّ مذعوراً وهو يصرخ: (ما لى ولسعيد بن جبير كلما أردتُ النوم أخذ بخناقى وهو يقول لِمَ قتلتنى يا عدو الله).

وإذا كانت نفس سعيد قد رجعت إلى ربها راضيه مرضيه فإن نفس الحجاج قد ذهبت إلى جهنم كما تنبّأ لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يَمْلأ اللهُ به زاويه من زوايا جهنم»(۱).

۱- (۱) الإمامه والسياسه لابن قتيبه الدينورى: ج ۲، ص ۳۵.

الفصل الثامن: مرقد سعید بن جبیر

اشاره

عماره القُبّه

عماره المسجد

تجدید عماره المرقد

ص:۲۵۱

بَعْدَ أنْ قُتِلَ سعيد حُمِلَ جثمانه الطاهر ودفن فی مکان قرب (شط الغراف وهو نهر غرب مدینه واسط فی حی واسط الغربی علی بعد خمسه عشر میلاً منها)(۱).

والذی أرجحه أن أهله حملوه وکان کما یبدو من تسلسل الأحداث قصدهم أن یعودوا به إلی الکوفه، ولکنهم اضطرّوا بعد مسیره یوم أن یدفنوه فی هذه الدیار مخافه أن یفسد جثمانه الشریف من شده الحر أو ربما تکون هذه الدیار هی مدافن مدینه واسط، لأن الروایات تشیر إلی أنه (بعد أن قتله الحجاج دُفِنَ فی دیار خارج مدینه واسط وظل قبره یُزارُ بِها منذ ذلک الحین)(۲).

وإن یُدفن سعید بن جبیر فی هذه الدیار فذلک أمر بدیهی، إذْ لیس من المنطق أن یسمح الحجاج بأن یُدْفَنَ مثل سعید فی (واسط) نفسها وهو صاحب المنزله العظیمه التی کان الحجاج أعرف من غیره بمکانتها من قلوب الناس، فلا یمکن أن یقبل بدفن سعید علی مقربه من قصره لیبقی علماً یدل علی بشاعه

۱- (۱) الغرّاف: نهر عظیم، کانت وما تزال تعیش علی ضفافه أهم القبائل العراقیه وأسعدها عیشه ورفاهیه، وهو سُرَّهُ العراق وجَنّهُ عدنه. وکان یُظن أن مجراه الحالی إنما هو مجری دجله القدیم حتی برهنت التحقیقات الآثاریه والبحوث التاریخیه علی أن مجری (الدجیله) هو المجری المذکور. طول نهر الغراف (۲۳۰ کم) وعلی صدره ناظم له سبع فتحات سعَه کل فتحه سته أمتار مع ممر للسفن...)، انظر: العراق قدیماً وحدیثاً لعبد الرّزّاق الحسنی: ج ۱، ص ۷۱-۷۱، الطبعه الثالثه لسنه ۱۳۷۷ ه -، ۱۹۵۸ م.
۲- (۲) وفیات الأعیان لابن خلکان: ج ۲، ص ۱۱۶.

جريمته بحق هذا العبد الصالح، وهو نفسه ندم على قتله بعد حين!

ولقد ذكرنا فى سياق البحث كيف شُيِّعَ سعيد من الكوفه مِنْ قِبَلِ أهله وأصحابه حتى بلغ بعضهم واسط. كما يتذكر القارئ كيف دخلت خالته عليه السجن وقبلت يديه(۱) ، لِمكانته الجليله!

يضاف إلى ذلك أن مُقتضيات العرف فى ذلك الحين كانت تقتضى بتسليم القتيل إلى ذويه وخاصته بعد قتله.

كما أن تداعى سير الأحداث يحكم بأن أهل سعيد وخاصته سيتوجهون به نحو الكوفه؛ ولكن تكون الأسباب التى ذكرتها فى بدايه الفصل فرضت عليهم دفنه فى هذا الموقع وليس - كما قيل - (فى (بَرجونيهِ) القريه التى كانت شرقى واسط قبالتها والتى عندها عَمْرُ النصارى...)(۲).

كما زعم ياقوت الحموى من أن (... بها قبر يزعمون أنه قبر سعيد بن جبير الذى قتله الحجاج)(۳). وأستدل على ما ذهبتُ إليه من نفى روايه ياقوت بأدله كثيره منها، أنّ ياقوت الحموى كثيراً ما يَذكرُ فى كتابه (معجم البلدان) اسماء لمناطق لا وجود لها معتمداً فى ذلك على نقل روايات موضوعه أو لا تتطابق مع الواقع(۴).

(أو كان يحدد مكان قريه أو مدينه أو حادثه فى غير موضعها الحقيقى)(۵). ومنها، إنّ (عمر النصارى) هذا هو (عمر كسكر - وهو دير كان فى أسفل واسط

۱- (۱) تاريخ واسط لبحشل: ص ۱۰۰.

۲- (۲) معجم البلدان لياقوت الحموى: ج ۱، ص ۳۷۴، طبع فى بيروت لسنه ۱۳۷۴ ه -، ۱۹۵۵ م.

۳- (۳) المصدر السابق نفسه.

۴- (۴) خمسون ومائه صحابى مختلق لمرتضى العسكرى: ج ۱، طبع فى بغداد لسنه ۱۳۸۹ ه -، ۱۹۶۹ م.

۵- (۵) المصدر السابق نفسه.

فی الجانب الشرقی علی بعد فرسخ منها)(۱). ولا نجد ثمه داعیاً لأن یلجأ أهل سعید إلی دفنه فی هذا الموضع حتی لو أرادوا دفنه حول المدینه، لأن هذا الموضع یفصل بینه وبین مدینه واسط نهر دجله، وکان یمر بحذائها من الجهه الشرقیه وکانت (واسط) بینه وبین الغراف(۲). ولا تزال آثار مجری دجله - بعد أن غیّر مجراه وابتعد عن واسط عشرات الأمیال - ماثله للعیان لمن یزور آثار (واسط الحجاج) وقد زرتها بنفسی - ألا - وتسمی (المناره) عند أهل المنطقه(۳). لأن (مناره) مسجدها ظلت شاخصه إلی الآن وکذلک باب المدینه.

والاستدلال الثانی هو أن قبر سعید بن جبیر فی الجانب الثانی أی الجانب الغربی من دیار واسط مشهور(۴). ومکانه مشخّص عند مؤرخین کانوا أقدم عهداً من یاقوت الحموی(۵). ولأن شیخ التابعین لیس بالشخص القلیل الشأن عند صحابته وتلامذته وأهله خاصه والمسلمین عامه. وقد ذکرنا فی الفصل السادس دعاء عمر بن عبد العزیز ودعاء الحسن البصری، وقول أحمد بن حنبل فیه، ثم ما الذی یمنع محبیه من أن یهتموا برعایه وعماره قبر سعید بعد أن أماتَ اللهُ الحجاجَ وَخَلَّصَهُمْ منه ومن ظلمه ولم یمض علی قتلِهِ سعیداً خمس عشره لیله.

والدلیل الآخر هو فی عباره یاقوت الحموی نفسها، حیث إن العباره لا تخلو من تناقض إذ یقول: (... وبها قبر (یزعمون) أنه قبر سعید بن جبیر الذی قتلهُ

۱- (۱) الدیارات لعلی بن محمد الشّابشتی: ص ۱۷۶، طبع فی بغداد لسنه ۱۹۵۱ م.

۲- (۲) مباحث عراقیه لسرکیس یعقوب: ج ۲، ص ۱۰۷.

۳- (۳) المصدر السابق نفسه.

۴- (۴) وفیات الأعیان لابن خلکان: ج ۲، ص ۱۱۶.

۵- (۵) المصدر السابق نفسه.

الحجاج)(۱). فكلمه (يزعمون) ظنيه والظنُّ لا يغنى عن الحق شيئاً! وأن ما يذكره هو كما ذكرنا من باب ذكره مواقع الحوادث المشهوره فى غير موضعها الحقيقى، إذ كيف يكون قبر سعيد مشهوراً ثم يعين له موضعاً ما سمعنا مؤرخاً غيره قد وافقه عليه سابقاً أوْ لاحقاً، بينما اتفق الجميع على أن هذا القبر هو قبر سعيد بن جبير الذى تواترت الروايات على نسبته كما ثبت فى المصادر القديمه بأنه ظل مزاراً للمسلمين(۲). يتبركون به ويتخذون من قصته دروساً يعتبرون بها.

(ولم يَنسَ المؤرِّخون أن يتثبتوا من مسأله تاريخيه أخرى وهى أن الأراضى التى بين مدينه (واسط) وشط الغراف كانت دياراً عامره بالمزارع والبَساتين والسبب يعود إلى أن أكثر (مياه دجله كانت تسيل فى نهر الغراف منذ أيام الساسانيين، والقليل منها كان يمرّ فى دجله...)(۳).

ولما غيّر (دجله) مجراه متخذاً مجرى يبعد مسافه كبيره شرقى واسط، نزح عنها أهلها نحو الخصب والماء فى الديار المحيطه بقبر سعيد بن جبير، واشتهر بعد ذلك ب - (حى واسط) والتى تعرف حالياً (بقضاء الحى) والتى يُرمز لها فى الخرائط الجغرافيه ب - (الحى) والتى (يقال لها - حى واسط - للتمييز بينها وبين أحياء كانت هناك فى القديم)(۴) - ولا تبعد عن مدينه كوت مركز محافظه واسط بأكثر من ۲۵ ميلاً فى الجنوب الغربى منها.

۱- (۱) معجم البلدان لياقوت الحموى: ج ۱، ص ۳۷۴.

۲- (۲) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ۲، ص ۱۱۶؛ شذرات الذهب لابن عماد الحنبيل: ج ۱، ص ۱۰۸.

۳- (۳) أربعه قرون من تاريخ العراق الحديث، تأليف: ستيفن هيمسلى لونكريك، ترجمه د. جعفر خياط: ص ۲، الطبعه الثالثه فى بغداد لسنه ۱۹۶۲ م.

۴- (۴) مباحث عراقيه، تأليف يعقوب سركيس: ج ۲، ص ۳۶؛ العراق قديماً وحديثاً لعبد الرزاق الحسنى: ج ۱، ص ۲۰۱-۲۰۲.

عماره القبر

يقع قبر سعيد بن جبير فى القسم الجنوبى من مدينه (الحى) والتى تُذكر مضافه إلى (واسط) فى سجلات ووثائق التسجيل العقارى فى العهد العثمانى - الطابو - للأراضى الزراعيه المحيطه بقبر سعيد وفى غيرها من الوثائق والمستندات الأثريه والسجلات الحكوميه العراقيه على مرّ العصور فيقال (حى واسط).

وقد تبيّن - بعد التمحيص والبحث - أن الأرض المحيطه بضريح سعيد هى وقف مسجل لعماره وسدانه القبر، ولا يحلو لأهل حى واسط على مرّ العصور إلا تجديد عماره القبر بما يليق بمقام صاحبه ولا يزال قبر سعيد مزاراً للمسلمين.

وتمرّ القرون وقبر سعيد تتولّاه الأيدى الخيّره بالرعايه إلى أن هَيَّأ اللهُ له من شَيَّدَ قبه كبيره تظلل قبره الطاهر وتقى زُواره من حراره الشمس المحرقه صيفاً وتمنع عنهم بَرْدَ الشتاء وأمطاره، وذلك فى (سنه ١٠٥٣ ه -، ١٦٤٣ م)، والمحسن الكريم الذى قام بهذا العمل الحميد هو (كنعان أغا) وقد حفظ لنا تاريخ عماره القبه فى (رخامه) أشار فيها إلى أنه قد بنى قبه لضريح سعيد بن جبير مع إيوان مسقوف بجانب الضريح لاستراحه الزوّار فى تلك السنه - وقد حاولت أن أعثر على ترجمه لهذا المحسن فيما تيسّر بين يدىّ من المصادر فلم أوفّق -.

وقد توجهت فى حينه إلى (مديريه الآثار العامه) فى المتحف العراقى ربيع عام ١٩٦٧ م لمقابله مدير الآثار العامه (فؤاد سفر) وكان وقتها مشغولاً مع بعض المسؤولين عن الصِّيَانه فى قسم التكييف فى (سرداب التكييف) فاستقبلنى مُرَحِّباً وترك المهندسين والاختصاصيين وكان قسم منهم ضباطاً من وزاره الدفاع - وكانت بغداد مهدده بالفيضان - وصعد إلى حديقه المتحف وجلس معى على

مصطبه ولحق بنا ضابط برتبه عميد وهو ينادى العلامه فؤاد سفر قائلاً: يا دكتور المتحف فى خطر وأنت جلست فى الحديقه تتحدث مع هذا الشاب! فردّ عليه العلامه فؤاد سفر ردّاً طريفاً: أخى أنا وأنت والمتحف وجدنا لخدمه هذا الجيل!!

فاستحيى الضابط وقال: أرجو المعذره، على راحتك دكتور، ونحن بانتظارك، ثم عاد إلى فريق الصيانه فى (السرداب).

والتفت إلىَّ العلامه فؤاد سفر بوجه مشرق وهو يقول: تفضل أنا متفرغ إليك! فشكرته وبدأت حديثى عن بحثى عن سعيد بن جبير وهو ينصت مبتهجاً وبيّنت له رأيى فيما رواه ياقوت الحموى فى (معجم البلدان) عن قبر سعيد، فأجابنى العلامه فؤاد سفر مشكوراً: (أنَّ موضع قبر سعيد هذا ثابت تاريخياً كما أننى مقتنع بأن عماره القبه على يد (كنعان أغا) قد سبقتها عمارهٌ بشكل من الأشكال، أما تحديد هويه (كنعان أغا) من دون معرفه بقيه اسمه الكامل فهو أمر لا يخلو من الصعوبه خاصه وأن اللفظه (أغا) تركيه وكانت تطلق على العسكرى والمدنى من الموظفين والمستخدمين من الدرجه الوسطى وأحياناً العليا).

ثم سألته عن أمرٍ هُوَ أدرى به من غيره لأنه عالم آثار من صميم أهل ما بين النهرين، قلت: أستاذ، حدث أثناء تجديد عماره المرقد أن وجد أهل مدينه حى واسط أحجاراً تغطى التراب الذى يحتوى رفاه سعيد وتتميز بأن عليها كتابه مسماريه فما تعليلك وأنت العالم المختص بالسومريات؟ فتبسّم وأجاب إجابه قاطعه كأنه أدرك قلقى من ردٍّ يشككك فى يقينى بموقع القبر وصاحبه ويرجح زَعْمَ ياقوت الحموى قال: اطمئن فهذه الديار هى مملكه (انتمينا) الملك السومرى الذى فَجَّرَ نهر الغراف من دجله إلى هذه الديار التى قامت فيها حضاره سومريه وإن كانت قد زالت، فآثارها لم تزل، وهذا عندنا من طبائع نشوء وفناء الحضارات أن

تنشأ حضاره فوق طبقه بقايا حضاره سابقه ومن البديهى لمن يحفر قبراً فى هذا المكان أن يستغل الأحجار والصخور التى تعرض له أثناء الحفر أو تكون متناثره فى الموقع، فَلِمَ لا ينتفع بها فى صيانه القبر! وهذا أمرٌ لاحظناه كثيراً ما يتكرر حدوثه عندنا كآثاريين، وهذا ما حدث لسعيد تماماً عندما دُفِنَ فى هذه الديار).

فشكرته وأطريتُ علمه وحسن تحليله ثم ودّعته وودّعنى وعاد إلى مهمته.

عماره المسجد

وفى عام ١٩٠٠ م بنى أحد أفراد أسره (الشعر باف) جامعاً ملاصقاً للإيوان من الجهه الجنوبيه على مساحه من الأرض تبلغ مساحتها (٣٠٠ م ٢) وبسقف معقود بقباب صغيره على أساطين وسط الجامع، ثم صار هذا الجامع بعد ذلك خاصاً بالنساء، وصار الإيوان المحيط بالضريح مصلى للرجال يصلون فيه فرادى لأن الفسحه المحيطه بالضريح لا تتجاوز مساحتها (١٠٠ م ٢) ونيف.

تجديد عماره المرقد

لقد صمدت عماره المرقد والقبه التى شيدها (كنعان أغا) أكثر من ثلاثه قرون وهى تصارع العوامل الجويه وعوادى الزمن دون صيانه ولا رعايه حتى تهدم من القبه القسم الأعلى، وظهر أن بناءها كان مصمماً من قبتين الواحده تغلف الأخرى، العليا تحمى الصغرى التى فوق الضريح بريازه متقنه شاهدتها بنفسى قبل نَقضها وإعاده بنائها، حيث ظل القسم الدّاخلى عامراً عند النظر إليه من داخل القبه.

وبقيت حال القبه الخارجيه عقوداً من الزمن ولم يعمل أحد على إصلاحها حتى أصيبت القبه الداخليه بشروخ عِدّه مما جعل أمرها يبعث على القلق ثم ازداد

الخوف من أيولها إلى السقوط على رؤوس الزوّار لما سرى الخراب إلى المسجد الملاصق للضريح.

علماً أنّ دائره الأوقاف لم تعر الموضوع أىّ اهتمام مما حفّز أبناء مدينه (حى واسط) إلى تبنى مشروع إعاده إعمار مرقد ومسجد سعيد بن جبير بما يليق بمقامه لأنهم أدركوا أن ترك القبه والمسجد على حالهما مما يسىء إلى سمعتهم عند باقى إخوانهم الزوّار من أرجاء العراق وبلاد المسلمين ممن بدأوا يتوافدون فى السنين الأخيره إلى قبر سعيد بن جبير بعد تيسّر وسائل المواصلات وتمهيد وتعبيد الطرق.

وتبنّى العلامه الجليل الشيخ عبد الأمير بن الشيخ موسى القسّام الأَمَرَ وَفَتَحَ باب التبرعات فى الخمسينات من القرن العشرين وكلّف أحد الأتقياء من أبناء المدينه وهو (المرحوم الحاج ظاهر البهلى - ت ١٩٧٠ م -) ليكون على رأس العاملين عليها.

ولكن أحد المسؤولين فى العهد الملكى زعم أن الحكومه بصدد إعاده عماره المرقد والمسجد بريازه فخمه تليق بمنزله (شيخ التابعين سعيد بن جبير) وادّعى أن الحكومه قد خولته للقيام بهذا العمل الجبار الذى ستنفق الحكومه مبالغ طائله على عمارته، وطالب بتسليم التبرعات إليه بصفته ممثل الحكومه وستتكفل الحكومه بالباقى!!!

ومرّت الأيام وأبناء (حى واسط) يسلمون التبرعات لهذا المسؤول وهم ينتظرون أن يبشرهم هذا المسؤول بأن الحكومه بَرَّتْ بوعدها!

وفجأه انتقل هذا المحتال مختلساً الأموالَ لِيُعيدَ ما تعوّد عليه من الاحتيال فى غير مَحل!!

ولما بلغ الخبرُ مسامع (الشيخ عبد الأمير بن الشيخ موسى القسام) تبسم بوجهه الصبوح الوسيم وقال: فوّضتُ أمره إلى الله وهو نعم المولى ونعم النصير!).

وأعاد الشيخ حمله التبرعات، وباشر المرحوم الحاج ظاهر البهلى يحمل كيسه ذا اللون الأسود، حيث كان الكيسُ شعاراً كافياً فى مغزاه لأبناء المدينه، فما أن يمر الحاج ظاهر وبيده (الكيس الأسود) إلّا وامتدّت الأيدى بما يملأه دون أن يتكلف الحاج ظاهر فتح فمه.

والعلامه المرحوم الشيخ عبد الأمير بن الشيخ موسى القسام قائم على عقد الندوات يحث إخوته وأبناءَه ويثير هممهم حتى كان الفقير المعدم يأبى إلّا أن يساهم ولو بقطعه نقد صغيره يدفعها عنه وعن أفراد عائلته، وكنّا نتندّر فى ذلك ونقول: فلان اشترى (طابوقه) فى الجنّه.

وَرُسِمَتْ الخرائط وَبُوشِرَ بالعماره عام ١٩٦١ م.

وبدأ البناء على مساحه واسعه من الأرض، وبعد سبع سنوات أى عام (١٩٦٨ م) اكتملت عماره القبر تظلله قبه كبيره جميله الرّيازه يحيط بها صحن واسع، واستمرّ البناء والإضافات حتى اكتمل الصحن الكبير الذى يحتوى على غرف عديده.

وأوصلت الكهرباء إلى المرقد، وبُلِّطَ الطريق الذى يربط مركز مدينه (حى واسط) بالمرقد الشريف.

ولم يتوقف أبناء المدينه عن جمع التبرعات للضريح، بل صارت عاده جمع التبرعات لتطوير المرقد وصيانته ظاهره محببه إلى نفوسهم يتبركون بها ويفخرون.

وبعدما اكتمل المرقد وصحنه ومرافقه الخدميه وصار مزاراً ومَعْلَماً سياحياً وضعت مديريه الأوقاف العامه المرقد تحت إشرافها.

الخاتمه

(ومن شاء أنْ يعظم الشهاده ما عليه إلاّ أن يتوجه إلى مدينه (حى واسط) ليستقبله (سعيد بن جبير) تحت قبته الشامخه فى الجنوب الشرقى من المدينه، قائلاً له: ها أنذا سعيد بن جبير قارعت ظلم الحجاج وانتصرت عليه وفزت بالشهاده والذكر الحميد، أرقدُ بين قوم أكرموا مثواى فانظر أين أنا وأين الحجاج؟

وعند الضريح يجد الزائر وجوهاً ناضره مستبشره تعلقت قلوبها بسعيد الشهيد السعيد ولسان حالها يقول: إنّ سعيداً عاش قدوه ومات قدوه وله عند الله حظوه نسأل اللَه به مستشفعين يوم الدين لأنه من عبادِهِ المُخْلَصِينَ ممن ساروا على هدى سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ومنهاج آله الطيبين الطاهرين شفعاءِ يوم الدين يوم لا تقبل شفاعه إلا لمن ارتضى!

والحمد لله رب العالمين.

ص:۲۶۲

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإتقان فی علوم القرآن السیوطی، جلال الدین، عبد الرحمن بن أبی بکر (ت ٩١١ ه -) (القاهره ١٣٧٠ ه - ١٩٥١).

٣. الإجازات العلمیه، د. عبد الله الفیاض (بغداد ١٩٦٧ م).

۴. الاحتجاج، الطبرسی، الحسن رضی الدین أبو نصر بن الفضل الطبرسی من أعلام القرن السادس الهجری (النجف ١٣٨۶ ه - ١٩۶١ م).

۵. إحیاء علوم الدین، الغزالی، محمد (ت ۵٠۵ ه -) مطبعه البابی الحلبی (مصر ١٩٣٩ ه - ١٣۵٨ م).

۶. الاختصاص، الشیخ المفید، محمد بن محمد بن النعمان البغدادی (ت ۴١٣ ه -) (طهران ١٣٧٩ ه -).

٧. أربعه قرون من تاریخ العراق الحدیث، لونکریک ستیفن هیمسلی، ترجمه د. جعفر خیاط، ط ٣ (بغداد ١٩۶٢ م).

٨. الأربعین، الشیرازی، جمال الدین (ت ١٠٠٠ ه -) (طهران.

٩. إرشاد الفحول إلی علم الأصول، الشوکانی (ت ١٢۵٠ ه -) عالم الکتب (لبنان).

١٠. الاستیعاب فی معرفه الأصحاب، القرطبی، الحافظ أبو محمد، محمد بن عبد البر (ت ۴۶٣ ه -) تحقیق محمد البجاوی، دار الجیل (بیروت لبنان ١۴١٢ ه -).

١١. أُسد الغابه فی معرفه الصحابه، ابن الأثیر عز الدین (ت ۶٣٠ ه -) دار الفکر (بیروت، لبنان ١۴٠٩ ه -).

١٢. إسعاف الراغبین، الصبان، محمد بن علی (ت ١٢٠۵ ه -) نور الأبصار) ح:

١٣. أسنی المطالب، الجزری، شمس الدین، محمد بن محمد (ت ٨٣٣ ه -) (القاهره (لا. ت)).

۱۴. الإصابه فی تمییز الصحابه، العسقلانی، ابن حجر (ت ۸۵۲ ه -) (القاهره ۱۹۳۹ م).

۱۵. أضواء علی السنه المحمدیه، أو دفاع عن الحدیث، أبو ریه، محمود، ط ۲، أنصاریان، (قم ۱۴۲۰ ه - ۱۹۹۹ م).

۱۶. الأعلام، الزرکلی، خیر الدین (ت ۱۳۹۶ ه -) (القاهره ۱۳۴۵ ه - ۱۹۲۷ م).

۱۷. الإکلیل، الهمدانی، الحسن بن أحمد (القاهره ۱۳۸۶ ه - ۱۹۶۶ م).

۱۸. أمالی المرتضی، الشریف المرتضی، علی بن الحسین، تحقیق حمد أبو الفضل (ت القاهره ۱۹۵۴ م).

۱۹. الأمالی، ألشیخ الصدوق (ت ۳۸۱ ه -) (النجف ۱۳۸۹ ه - ۱۹۷۰ م).

۲۰. الإمامه والسیاسه، ابن قتیبه الدینوری، الإمام الفقیه أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ۲۷۶ ه -) تحیق د. طه محمد الزینی، مؤسسه البابی الحلی (القاهره ۱۳۸۷ ه - ۱۹۶۷ م).

۲۱. إمتاع الأسماع، المقریزی، تحقیق محمود شاکر، لجنه التألیف والترجمه والنشر (القاهره ۱۹۴۱ م).

۲۲. إیمان أبی طالب، الحائری، فخار بن معد (النجف ۱۳۸۴ ه - ۱۹۶۵ م).

۲۳. بحار الأنوار، المجلسی، محمد باقر (ت ۱۱۱۱ ه -) (طهران ۱۳۷۶ ه -).

۲۴. بحر الأسانید، السمرقندی، الحافظ أبو محمد (ت ۴۹۱ ه -).

۲۵. البرهان فی علوم القرآن، الزرکشی، بدر الدین، محمد بن عبد الله (ت ۷۹۴ ه -) تحقیق محمد أبو الفضل (القاهره ۱۳۷۶ ه - ۱۹۵۷ م).

۲۶. البیان فی تفسیر القرآن، الخوئی، أبو القاسم (النجف ۱۳۸۵ ه - ۱۹۶۶ م).

۲۷. البیان والتبیین، الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ۲۵۵ ه -) تحقیق عبد السلام محمد هارون، مؤسسه الخانجی، ط ۳ (القاهره ۱۳۶۷ ه - ۱۹۴۸) وطبعه (القاهره ۱۳۸ ه - ۱۹۶۸ م).

۲۸. تاریخ الخلفاء، السیوطی، جلال الدین، عبد الرحمن بن أبی بکر (ت ۹۱۱ ه -) تحقیق محمد محی الدین عبد الحمید (القاهره ۱۹۶۹ م).

۲۹. تاریخ الرسل والملوک، الطبری، محمد بن جریر (ت ۳۱۰ ه -) (القاهره ۱۹۳۹ م).

۳۰. تاریخ الکوفه، النراقی، حسین بن أحمد (النجف ۱۳۷۹ ه - ۱۹۶۰ م).

۳۱. تاریخ الیعقوبی، أحمد بن یعقوب بن واضح الإخباری (ت ۲۹۲ ه -) (النجف ۱۳۵۸ ه -).

۳۲. تاریخ بغداد، الخطیب البغدادی، أبو بکر أحمد بن علی (ت ۴۶۳ ه -) (القاهره ۱۳۴۹ ه - ۱۹۳۱).

۳۳. تاریخ مدینه دمشق، ابن عساکر، أبو القاسم علی بن الحسن هبه الله (ت ۵۷۱ ه -) دار الفکر (بیروت ۱۴۱۶ ه -).

۳۴. تاریخ واسط، بحشل، أسلم بن سهل الرزاز، تحقیق سرکیس عواد (بغداد ۱۹۶۷ م).

۳۵. تحفه الأشراف لمعرفه الأطراف، العلامه أبو الحجاج المرّی (ت ۶۰۵ ه -) (طبعه دار القیامه بمبای).

۳۶. تذکره الحفّاظ، الذهبی، شمس الدین، محمد بن أحمد بن عثمان بن فایماز (ت ۷۴۸ ه -) (بیروت ۱۳۷۴ ه -).

۳۷. تذکره خواص الأمه، سبط ابن الجوزی، أبو المظفر یوسف (ت ۶۵۴ ه -)، منشورات الشریف الرضی (قم ۱۴۱۸ ه -).

۳۸. تفسیر القرآن العظیم، أبو الفداء، ابن کثیر الدمشقی، (ت ۷۷۴ ه -) (حلب (لا. ت)، وط ۲، دار المعرفه (بیروت ۱۴۰۸ ه -).

۳۹. تفسیر روح المعانی، الآلوسی، شهاب الدین (ت ۱۲۷۰ ه -).

۴۰. تفسیر سوره النور، الطباطبائی، الحسین بن مرتضی (میس ۱۲۸۸ ه -).

۴۱. التفسیر والمفسرون، الذهبی، محمد حسین، (القاهره ۱۳۸۱ ه - ۱۹۶۱ م).

۴۲. تهذیب الآثار وتفصیل الثابت عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من الأخبار، لأبی جعفر الطبری، محمد بن جریر بن یزید (ت ۲۲۴-۳۱۰ ه -) مسند عبد الله بن عباس (ر) السفر الثانی قرأهُ وأخرّجَ أحادیثه أبو فهر محمود محمد شاکر، مطبعه المدنی بمصر (القاهره ۱۹۸۲ م).

۴۳. تهذیب التهذیب، العسقلانی، ابن حجر (ت ۸۵۲ ه -)، ط ۱، دار الفکر (بیروت ۱۴۱۵ ه -).

۴۴. جامع البیان، الطبری، أبو جعفر محمد بن جریر (ت ۳۱۰ ه -) (القاهره ۱۳۷۳ ه - ۱۹۵۴ م).

۴۵. جامع الرواه، الأردبیلی، محمد بن علی (طهران ۳۳۴ ه -).

۴۶. جمع الجوامع، السیوطی جلال الدین، عبد الرحمن (ت ۹۱۱ ه -).

۴۷. جوامع السیره، الأندلسی، ابن حزم (ت ۴۵۶ ه -) تحقیق د. إحسان عباس ود. ناصر الدین الأسد (القاهره (لا. ت)).

۴۸. جواهر العقدین، العلامه السمهودی (ت ۹۱۱ ه -) دار الکتب (بیروت ۱۴۱۵ ه -).

۴۹. حِلیه الأولیاء، الأصبهانی، أبو نعیم (ت ۴۳۰ ه -) (القاهره ۱۳۵۴ ه - ۱۹۳۵ م).

۵۰. حیاه الحیوان الکبری، الدمیری، کمال الدین (ت ۸۰۸ ه -)، (القاهره ۱۳۸۳ ه - ۱۹۶۳ م).

۵۱. الحیوان، الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ۲۵۵ ه -) تحقیق عبد السلام محمد هارون، (القاهره ۱۹۴۹ م - ۱۹۵۰ م).

۵۲. خمسون ومائه صحابی مختلق، العسکری، مرتضی (بغداد ۱۳۸۹ ه - ۱۹۶۹ م).

۵۳. الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور، السیوطی، أبو بکر، عبد الرحمن بن أبی طالب (ت ۹۱۱ ه -) (طهران (أوفست)).

۵۴. الدرر فی اختصار المغازی والسیر، ابن عبد البر، الحافظ یوسف النمری، تحقیق د. شوقی ضیف (القاهره ۱۳۸۶ ه - ۱۹۶۶ م).

۵۵. دلایل النبوه، الأصبهانی، أبو نعیم (ت ۴۳۰ ه -) (حیدر آباد ۱۳۲۰ ه -).

۵۶. الدوله العربیه وسقوطها، یولیوس فلهاوزن، (دمشق ۱۳۷۶ ه - ۱۹۵۶ م).

۵۷. الدیارات، الشابشتی، علی بن محمد (بغداد ۱۹۵۱ م).

۵۸. ذخائر العقبی، المکی، أحمد بن محمد (ت ۶۹۴ ه -) ط المقدسی (القاهره ۱۳۵۶ ه -).

۵۹. الذریعه إلی تصانیف الشیعه، أغا بزرک الطهرانی (ت ۱۳۸۹ ه -) (أزسال ۱۳۲۰ ه - ۱۳۲۲ ه -).

۶۰. ذکر أخبار أصبهان، الأصبهانی، أبو نعیم (ت ۴۳۰) (لیدن ۱۹۳۱ م).

۶۱. ذیل الأمالی والنوادر، القالی، أبو علی (بیروت (لا. ت)).

۶۲. رجال الکشی، محمد بن عمر بن عبد العزیز، تعلیق أحمد الحسینی، مؤسسه الأعلمی (کربلاء (لا. ت)). ۶۳. الرجال، ابن داود، الحسن بن علی (طهران ۱۳۴۲ ه -).

۶۴. الرجال، الطوسی، أبو جعفر، محمد بن الحسن (ت ۴۶۰ ه -) (النجف ۱۳۸۱ ه - ۱۹۶۱ م).

۶۵. روضات الجنات فی أحوال العلماء والسادات، الخوانساری، محمد باقر الموسوی الأصبهانی (ت ۱۳۱۳ ه -) تحقیق أسد الله اسماعیلیان (طهران ۱۳۴۷ ه -).

۶۶. الریاض النضره، محب الدین الطبری (ت ۶۹۴ ه -) ط محمد أمین الخانجی بمصر.

۶۷. سبل الهدی والرشاد فی أسماء خیر العباد، الشامی، محمد بن یوسف (ت ۹۴۲ ه -).

۶۸. سفینه البحار، القمی، الشیخ عباس (ت ۱۳۵۹ ه -) (طهران (أوفسیت)).

۶۹. سنن ابن ماجه، القزوینی، أبو عبد الله محمد بن یزید، (ت ۲۷۵ ه -) (دار الفکر، بیروت (لا. ت)).

۷۰. سنن ابی داود، السجستانی، أبو داود (ت ۲۷۵ ه –) دار الفکر (بیروت، لبنان (لا. ت)).

۷۱. سنن الترمذی، أبو عیسی محمد بن عیسی بن سوره (ت ۲۷۹ ه –) (الجامع الصحیح) دار إحیاء

التراث العربی (بیروت (لا. ت))

۷۲. السنن الکبری، البیهقی، أبو بکر احمد بن الحسین بن علی، (ت ۴۵۸ ه -) دار الفکر، (بیروت، لبنان (لا. ت)).

۷۳. سیر أعلام النبلاء، الذهبی، شمس الدین (ت ۷۴۸ ه -) (القاهره ۱۹۵۶ ه -).

۷۴. السیره النبویه، العلامه المحقق السید سامی البدری، مؤسسه طور سینین (قم ۱۴۲۶ ه - ۲۰۰۵ م).

۷۵. شذرات الذهب فی أخبار من ذهب، الحنبلی ابن العماد عبد الحی (ت ۱۰۸۹ ه -) (مصر ۱۳۵۰ ه -).

۷۶. شرح دیوان جریر، الصاوی، محمد بن إسماعیل، (القاهره ۱۳۵۳ ه -).

۷۷. شرح نهج البلاغه، المعتزلی، ابن أبی الحدید (ت ۶۵۶ ه -) طبع دار إحیاء التراث العربی، ط ۲ (بیروت ۱۳۸۵ ه -).

۷۸. شیخ المضیره، أبو هریره، محمود أبو ریه، ط ۳ (دار المعارف بمصر ۱۹۷۰ م).

۷۹. صحیح البخاری، أبو عبد الله، محمد بن إسماعیل، (ت ۲۵۶ ه -)، ط ۱، المطبعه العثمانیه المصریه (القاهره ۱۳۵۱ ه - ۱۹۳۲ م) وطبعه عالم الکتب، ط ۵ (بیروت ۱۴۰۶ ه -).

۸۰. صحیح مسلم، النیسابوری، مسلم بن الحجاج، (ت ۲۶۱ ه -)، دار الفکر، ط ۲، (بیروت، لبنان ۱۳۹۸ ه -).

۸۱. الصراع بین الأمَوِیّین ومبادئ الإسلام، د. نوری جعفر، مطبعه الزهراء (بغداد ۱۹۵۶ م).

۸۲. الصواعق المحرقه، ابن حجر الهیتمی المکی (ت ۹۷۴ ه -) (المطبعه المیمنیه بمصر، وطبعه مؤسسه الرساله (بیروت لبنان ۱۴۱۷ ه -)، ط

۱.۸۳. الطبقات الکبری، الزهری، محمد بن سعد (ت ۲۳۰ ه -) (بیروت ۱۳۷۷ ه - ۱۹۵۷ م).

۸۴. عبد الله بن سبأ، العسکری، مرتضی (بغداد ۱۹۶۹ م).

۸۵. العراق قدیماً وحدیثاً، الحسنی، عبد الرزاق (صیدا لبنان ۱۳۷۷ ه - ۱۹۵۸ م).

۸۶. العقد الفرید، الأندلسی، ابن عبد ربه أحمد بن محمد (ت ۳۲۷ ه -) (القاهره ۱۳۴۶ ه - ۱۹۲۸ م).

۸۷. عمده القاری فی شرح صحیح البخاری، العینی الحنفی، محمود بن أحمد (ت ۸۵۵ ه -).

۸۸. عیون الأخبار، الدینوری، ابن قتیبه، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت ۲۷۶ ه -) (القاهره ۱۳۸۳ ه - ۱۹۶۳ م).

۸۹. غایه النهایه فی طبقات القراء، ابن الجزری، شمس الدین أبو الخیر، محمد بن محمد (ت

۸۳۳ ه -) تحقیق ج. برجشتراس (القاهره ۱۳۵۱ ه - ۱۹۳۲ م - ۱۹۳۳ م).

۹۰. الغدیر فی الکتاب والسنه والأدب، الأمینی (ت ۱۳۸۹ ه -)، عبد الحسین بن أحمد، ط ۴، دار الکتاب العربی (بیروت ۱۳۹۷ ه - ۱۹۷۷ م).

۹۱. فتوح البلدان، البلاذری، أبو الحسن (ت ۲۷۹ ه -)، (القاهره ۱۹۵۹ م).

۹۲. فجر الإسلام، د. أحمد أمین المصری، ط ۷ (القاهره ۱۹۵۵ م).

۹۳. فرائد السمطین، الحموینی، شیخ الإسلام، إبراهیم بن محمد الجوینی الخراسانی (ت ۷۳۰ ه -) تحقیق محمد باقر المحمودی، نشر مؤسسه المحمودی (بیروت ۱۳۹۸ ه -).

۹۴. الفرائد الغوالی علی شواهد الأمالی للسید المرتضی، الشیخ محسن آل شیخ محمد النجفی (النجف ۱۳۵۵ ه -).

۹۵. فردوس الأخبار، الدیلمی، شیرویه بن شهردار بن شیرویه (ت ۵۰۹ ه -) دار الفکر (بیروت ۱۴۱۸ ه -).

۹۶. الفصول المهمه فی معرفه أحوال الأئمه علیهم السلام المالکی، ابن الصباغ علی بن محمد (ت ۸۵۵ ه -) مؤسسه دار الکتب التجاریه، (النجف (لا. ت)).

۹۷. الفهرست، ابن الندیم، محمد بن إسحاق (ت ۴۳۸ ه -) (القاهره (لا. ت)).

۹۸. فوائد المجموعه، الشوکانی، القاضی محمد بن علی (ت ۱۲۵۰ ه -).

۹۹. فیض القدیر شرح الجامع الصغیر، المناوی، محمد بن عبد الرؤوف (ت ۱۰۳۱ ه -) تحقیق أحمد عبد السلام، دار الکتب العلمیه (بیروت، لبنان ۱۴۱۵ ه -).

۱۰۰. قاموس الرجال، التستری، محمد تقی (طهران ۱۳۰۰ ه -).

۱۰۱. القصد والأمم، القرطبی، یوسف بن عبد البر (النجف (لا. ت)).

۱۰۲. الکامل فی التاریخ، ابن الأثیر، علی بن محمد الجزری، (ت ۶۳۰ ه -) (بیروت ۱۳۸۵ ه -، ۱۹۶۵ م).

۱۰۳. الکشاف عن حقائق التنزیل وعیون الأقاویل فی وجوه التأویل، الزمخشری، أبو القاسم، جار الله، محمود بن عمر (ت ۵۳۸ ه -) (طهران (أوفست)) عن طبعه حیدر آباد.

۱۰۴. کفایه الطالب، الکنجی، محمد بن یوسف (ت ۶۵۸ ه -).

۱۰۵. کنز العرفان فی فقه القرآن، السیوری، أبو عبد الله، (النجف (لا. ت)).

۱۰۶. مباحث عراقیه، یعقوب سرکیس (بغداد ۱۹۶۰ م).

۱۰۷. مجمع البیان، الطبرسی، ابو علی، الفضل بن الحسن (ت ۵۴۸ ه -) تحقیق السید هاشم الرسولی، دار إحیاء التراث العربی (بیروت - لبنان ۱۳۷۹ ه -) وطبعه (طهران ۱۳۸۲ ه -).

۱۰۸. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهیثمی، أبو بکر (ت ۸۰۷ ه -) دار الکتاب العربی ط ۳ (بیروت - لبنان ۱۴۰۲ ه -).

۱۰۹. المحاضرات، الفیاض، د. عبد الله (بغداد ۱۹۶۷ م).

۱۱۰. المحلّی، الأندلسی، ابن حزم الظاهری (ت ۴۵۶ ه -) تحقیق أحمد محمد شاکر، (القاهره (لا. ت)).

۱۱۱. مختصر شواذ القرآن من کتاب البدیع، ابن خالویه (ت ۳۷۰ ه -) تحقیق المستشرق: ج. برجشتراسر (القاهره ۱۹۳۴ م).

۱۱۲. مرآه الجنان وعبره الیقضان فی معرفه ما یعتبر من حوادث الزمان، الیافعی عفیف الدین، عبد الله بن أسعد بن علی بن سلیمان الیمنی (ت ۷۶۸ ه -) (بیروت ۱۳۹۰ ه - ۱۹۷۰ م).

۱۱۳. المرقاه فی شرح المشکاه، الهروی، علی القاری (ت ۱۰۱۴ ه -).

۱۱۴. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودی، أبو الحسن، علی بن الحسین (ت ۳۴۶ ه -) (القاهره ۱۳۵۷ ه - ۱۹۳۸ م).

۱۱۵. المستدرک علی الصحیحین، الحاکم النیسابوری، أبو عبد الله بن حمدویه (ت ۴۰۵ ه -) دار الفکر (بیروت - ۱۳۹۸ ه -) وطبعه حیدر آباد ۱۳۳۴ ه -.

۱۱۶. مسند ابن حنبل، أحمد بن حنبل، (ت ۲۴۱ ه -) طبعه دار المأمون للتراث، وطبعه دار الفکر (بیروت - لبنان).

۱۱۷. مطالب السَّؤول فی مناقب آل الرسول، محمد بن طلحه العدوی الشافعی (ت ۶۵۲ ه -) تحقیق عبد العزیز الطباطبائی مؤسسه البلاغ (بیروت - لبنان ۱۴۱۹ ه -).

۱۱۸. المعارف، ابن قتیبه الدینوری، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت ۲۷۶ ه -) تحقیق الصاوی، محمد إسماعیل (القاهره ۱۳۵۳ ه - ۱۹۳۴ م).

۱۱۹. معانی الأخبار، الشیخ الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علی (ت ۳۸۱ ه -) (طهران ۱۳۷۹ ه -).

۱۲۰. معاویه بن أبی سفیان، لعباس محمود العقاد (القاهره).

۱۲۱. معجم البلدان، الحموی، یاقوت، أبو عبد الله شهاب الدین بن عبد الله الرومی (ت ۶۲۶ ه -) (بیروت ۱۳۷۶ ه - ۱۹۵۳ م).

۱۲۲. المعجم الصغیر، الطبرانی، سلیمان بن أحمد (ت ۳۶۰ ه -) دار الکتب العلمیه، (بیروت، ۱۴۰۳ ه -).

۱۲۳. المعجم الکبیر، الطبرانی، سلیمان بن أحمد (ت ۳۶۰ ه -)، (طهران) وطبعه دار إحیاء التراث

العربی تحقیق حمدی عبد المجید.

۱۲۴. معجم قبائل العرب القدیمه والحدیثه، عمر رضا کحاله، (دمشق ۱۳۶۷ ه - ۱۹۴۹ م).

۱۲۵. معرفه الصحابه، الأصبهانی، أبو نعیم (ت ۴۳۰ ه -) ط (طهران) وطبعه دار الوطن، الریاض ۱۴۱۹ ه - تحقیق عادل بن یوسف العزازی.

۱۲۶. مفتاح العلوم، السکاکی، أبو یعقوب، یوسف بن أبی بکر محمد بن علی (ت ۶۲۶ ه -)، البابی الحلبی (القاهره ۱۳۵۶ ه - ۱۹۳۷ م).

۱۲۷. المفردات فی غریب القرآن، الراغب الأصفهانی، أبو القاسم الحسین بن محمد (ت ۵۰۲ ه -) تحقیق محمد سید کیلانی، دار المعرفه (بیروت - لبنان (لا. ت)).

۱۲۸. المقاصد الحسنه، السخاوی، شمس الدین محمد (ت ۹۰۲ ه -).

۱۲۹. مقتل الحسین، الخطیب الخوارزمی، الموفق بن أحمد، (ت ۵۶۸ ه -) تحقیق محمد السماوی، أنوار الهدی (قم ۱۴۱۸ ه -).

۱۳۰. مقدمه کتاب العبر، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ۸۰۸ ه -) (بیروت ۱۹۷۱ م).

۱۳۱. من لا یحضره الفقیه، الشیخ الصدوق (ت ۳۸۱ ه -) (النجف ۱۳۷۸ ه -).

۱۳۲. مناقب آل أبی طالب، ابن شهر آشوب، محمد بن علی المازندرانی (ت ۵۸۸ ه -) طبعه حجریه (طهران (لا- ت))، وطبعه دار الأضواء؛ تحقیق یوسف البقاعی (بیروت ۱۴۱۲ ه -).

۱۳۳. مناقب الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام، ابن المغازلی، الحافظ الفقیه، علی بن موسی الشافعی (ت ۴۸۳ ه -) دار الأضواء (بیروت ۱۴۱۲ ه -).

۱۳۴. مناقب الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام، الخطیب الخوارزمی، الموفق بن أحمد المکی (ت ۵۶۸ ه -) تحقیق مالک المحمودی، مؤسسه النشر الإسلامی (قم ۱۴۱۱ ه -).

۱۳۵. المنتخب من کتاب ذیل المذیل، الطبری، أبو جعفر، محمد بن جریر (ت ۳۱۰ ه -) (القاهره ۱۳۵۸ ه - ۱۹۳۸ م).

۱۳۶. منتهی المقال فی أحوال الرجال، الحائری، الشیخ أبو علی (طهران ۱۳۰۰ ه -).

۱۳۷. الموالی فی العصر الأموی، ابن النجار، محمد الطیب، (القاهره ۱۳۶۸ ه - ۱۹۴۹ م).

۱۳۸. موده القربی، العلامه، الهمذانی الشافعی، الإمام الحافظ أبو إسحاق إبراهیم بن الحسین بن علی.

۱۳۹. نزهه الأرواح، الهروی، صدر الدین الفوزی.

ص:۲۷۰

۱۴۰. نقد الصحیح، الفیروز آبادی، مجد الدین (۸۱۷ ه -).

۱۴۱. نهایه الأرب فی فنون الأدب، النویری، شهاب الدین، أحمد بن عبد الوهاب، (طهران (لا. ت)) وطبعه دار الکتب المصریه).

۱۴۲. النهایه فی غریب الحدیث والأثر، ابن الأثیر، الإمام مجد الدین أبو السعادات المبارک بن محمد الجزری (ت ۶۰۶ ه -) تحقیق محمود الطناحی وطاهر أحمد، دار إحیاء الکتب العربیه، (القاهره ۱۳۸۳ ه - ۱۹۶۳).

۱۴۳. نور الأبصار فی مناقب النبی المختار، الشبلنجی، مؤمن بن حسن مؤمن، دار الفکر (بیروت - لبنان (لا. ت)).

۱۴۴. هدایه السعداء، الدولت آبادی، شهاب الدین، (ت ۸۴۹ ه -).

۱۴۵. الوزراء والکتّاب، الجهشیاری، محمد بن عبدوس (ت ۳۳۱ ه -) تحقیق مصطفی السقا، مطبعه مصطفی البابی الحلبی (القاهره ۱۳۵۷ ه - ۱۹۳۷ م).

۱۴۶. وفیات الأعیان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلّکان، شمس الدین أحمد بن محمد بن أبی بکر (ت ۶۸۱ ه -) تحقیق د. إحسان عباس (طبعه بیروت) و (طبعه مصر) تحقیق محی الدین عبد الحمید (القاهره ۱۹۴۹ م).

۱۴۷. ینابیع الموده، القندوزی، سلیمان بن إبراهیم، (ت ۱۲۹۴ ه -) تحقیق علی جمال أشرف، دار الأسوه، (قم ۱۴۱۶ ه -).

المحتويات

مقدمه اللجنه العلميه ٥

تصدير ٧

المُقَدِّمَهُ ٩

الفصل الأول

سعيد بن جبير

اسمه وشهرته ١٩

كنيته وألقابه ٢٠

نشأته ٢٠

صِفاته ٢١

دراسته ٢٣

شيوخه ٢٩

منزلته العلميه ٣١

الفصل الثانى

نتاجه الفكرى

أ: التفسير ٣٨

الإسرائيليات ٤٣

أسلوب سعيد فى التفسير ٤٧

اعتماد النحويين على سعيد ٥٢

استنباطه ٦٣

حديث «أنا مدينه العلم وعلىٌ بابها» ٦٦

أخبار سعيد عن ابن عباس ٧٢

أسرار القرآن الكريم ٧٨

اختلاف البحث القرآنى من حيث الأسلوب بين القدماء والمتأخرين ٨٣

نماذج من تفسير سعيد بن جبير ٨٨

ب: أسباب النزول ٩٦

نماذج مما رواهُ فى أسباب النزول ٩٨

ج: القراءه عند سعيد ١٠١

مدخل إلى علم القراءات ١٠١

دور سعيد فى نشوء المدارس المتخصصه بعلم القراءات ١٠٢

منزله سعيد بين القرّاء ١٠٦

(نماذج من القراءات المقارنه) ١١٠

د: الحديث عند سعيد ١٢٥

نماذج مما رواه سعید من الحدیث الشریف ۱۳۰

سلاح رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ۱۳۱

فی الحشر ۱۳۱

فی الصبر علی الأذی ۱۳۲

فی الختان ۱۳۲

فی باب التوکل علی الله ۱۳۳

الخلفاء اثنا عشر خليفه ۱۳۳

مثل أهل بيتى مثل سفينه نوح ۱۳۴

الخلفاء والأوصياء أوّلهم وآخرهم عليهم السلام ۱۳۴

ومما رواه عن ابن عباس عن (زمزم) ۱۳۴

الوصيُّ والخليفهُ بعد رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ۱۳۵

حديث حزب الله ۱۳۵

أشراط الساعه ۱۳۶

أنفاس أهل النار ۱۳۶

الحجر الأسود ۱۳۶

رُوَاتُهُ وتَلاميذه ۱۳۷

ه -: آراء سعيد الفكريه وسلوكه الاجتماعى ۱۴۴

رأيه فى الرُّقيه ۱۴۵

رأيه فى خُطبه الجمعه؛ - مظاهره إسلاميه - ۱۴۶

رأيه فى النفس البشريه ۱۴۶

رأيه فى الخَشيَهِ ۱۴۷

رأيه فى العباده ۱۴۷

فى الموت ۱۴۹

رأيه فى المال ۱۵۰

زهده ۱۵۱

رأيه فى الخضاب ۱۵۱

الفتوى عند سعيد ١٥٣

الزواج المنقطع - مُتْعَهُ النساء -!!! ١٥٦

فتواه فى شهاده أهل الكتاب عند الضروره ١٥٧

الصَّلاةُ عند سعيد بن جبير ١٦١

الدُّعاءُ عند سعيد ١٦٣

التوكل على الله ١٦٤

الفصل الثالث

صله سعيد بمشاهير عصره

فى مكه المكرمه ۱۷۰

سعيد يرحل إلى الكوفه ۱۷۲

الحجاج والياً على العراق ۱۷۴

سعيد يصبح إماماً وقاضياً ۱۷۸

سعيد يسهم فى ثوره ابن الأشعث ۱۸۱

ظروف الثوره ۱۸۲

الحجاج ينكث الأمان ۱۸۳

الفصل الرابع

اختفاء سعيد وعزلته

سعيد ينتقل بين الأمصار ۱۹۰

إلى أصبهان ۱۹۰

فى أذربيجان ۱۹۳

فى مكه المكرمه ۱۹۴

سعيد يتصل بإمام زِمانه على بن الحسين عليهما السلام ۱۹۶

الفصل الخامس

الحجاج ينشط فى البحث عن سعيد

القبض على سعيد فى مكه ۲۰۱

سعید فی الطریق إلی واسط ۲۰۳

قصّه سعید والراهب واللبوه ۲۰۶

الفصل السادس

سعید بین یدی الحجّاج

المحاوره بین سعید والحجاج ۲۲۱

المجموعه الأولی ۲۲۲

المجموعه الثانیه ۲۲۷

الحجاج بعد مقتل سعید ۲۳۱

الفصل السابع

سعید بن جبیر والحجاج فی المیزان

نُبوءَه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی الحجاج ۲۴۹

الفصل الثامن

مرقد سعید بن جبیر

عماره القبر ۲۵۷

عماره المسجد ۲۵۹

تجدید عماره المرقد ۲۵۹

الخاتمه ۲۶۲

المصادر والمراجع ۲۶۳

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹